بقية الحديث عن إفريقية

بقلم
محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ

حقوق الطبع والنشر محفوظة

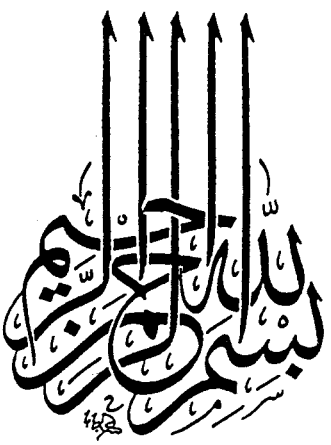
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنني عندما أصدرت كتابي (في إفريقية الخضراء: مشاهدات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين) لاقى قبولاً من القراء ومحبي الإطلاع في بلادنا وفي سائر البلدان الإسلامية لم يكن تفاؤلي يصل إلى معشاره، فقد كنت أظن قبل ذلك أن كتب الرحلات وبخاصة منها ماكان لغرض ديني لايهتم بها إلا قلة من القراء غير أن رأيي هذا تغير بعد الإستقبال الكريم الذي قوبل به ذلك الكتاب.

فكنت أتلقى الرسائل التشجيعية الكثيرة، وكان بعض الفضلاء ومحبي أدب الرحلات يتحدثون إليّ مشافهة بتقديرهم الحسن للكتاب، ويؤكدون لي من خلال تعليقاتهم عليه بأنهم قرأوه كله. ثم تأكد ذلك عندي حينما طبع الكتاب أكثر من طبعة، وبعضها بطريقة التصوير التي تصور الكتاب وتوزعه من دون أن تنوه بطبعه. وآخر الطبعات طبعة خاصة بوزارة المعارف في المملكة العربية السعودية حينما قررت إدارة المكتبات المدرسية فيها طبعه بنفقتها وتوزيعه على مكتبات مدارس المملكة في المراحل الدراسية المختلفة.

وكان من التقدير للكتاب أيضاً أن قررت إدارة الاكاديمية العربية العسكرية العليا في القاهرة جعله أحد المراجع في الدراسات الإفريقية لطلبتها.

إضافة إلى كون الكتاب قد ترجم إلى عدة لغات، وبعضها ترجمة لملخصات أو مختارات منه.

كل هذا الاستقبال الكريم لأول كتاب كتبته عن إفريقية حفزني إلى المزيد من الكتابة عن أقطار في القارة الإفريقية لم يتضمن الكتاب الأول الحديث عنها فكان من ذلك الكتاب الثاني في هذا الموضوع بعنوان (صلة الحديث عن إفريقية)، وقد نشرته دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض.

وبعد ذلك قمت بزيارات وسافرت في مهمات إلى أقطار أخرى إفريقية فكان الإخوة من الأدباء وكان الأصدقاء الذين أحسنوا الظن بالكتابين الأول والثاني يطلبون مني معاودة

الحديث عن إفريقية، فكان هذا الكتاب الذي سميته (بقية الحديث عن إفريقية) لأنني كتبته بالطريقة التي كتبت بها الكتابين السابقين، وإن كان الحديث فيه ليس مرتبطاً بالأقطار التي تحدثت عنها فيهما أو في كتب أخرى فهو كتاب مستقل يتحدث عن بلاد مستقلة لايجمع بينها وبين الأقطار التي تحدثت عنها في الكتابين السابقين إلا كونها جميعاً تقع في القارة الإفريقية وهي : فولتا العليا (بوركينافاسو) وساحل العاج وتوقو وبنين أما التسمية فلم أكن اتوقع بعد أن انهيت الكتاب الأول (في إفريقية الخضراء) أنني سوف أؤلف كتابا آخر على غراره عن إفريقية ومع ذلك ألفت الكتاب الثاني (صلة الحديث عن إفريقية) وطبع بالفعل.

وهـذا هو الكتاب الثالث (بقية الحديث عن إفريقية) قد تيسر تأليفه، وتقرر صدوره وكيف يكون اسم الكتاب الذي بعد هذا الكتاب؟

أيكون (بقية البقية من حديث إفريقية)؟ أم يكون له اسم آخر قد يستوحى من وقائع الرحلات القادمة؟ لا أدري فلكل حادث حديث.

والله المسئول أن يكتب لهذا الكتاب القبول كما كتبه للكتاب الأول أو أكثر من ذلك فإنه سبحانه هو حسبنا ونعم الوكيل وعلى توفيقه الاعتماد والتعويل.

الرياض

المؤلـــف

محمد بن ناصر العبودي

إلى فولتا العليا (بوركينافاسو)

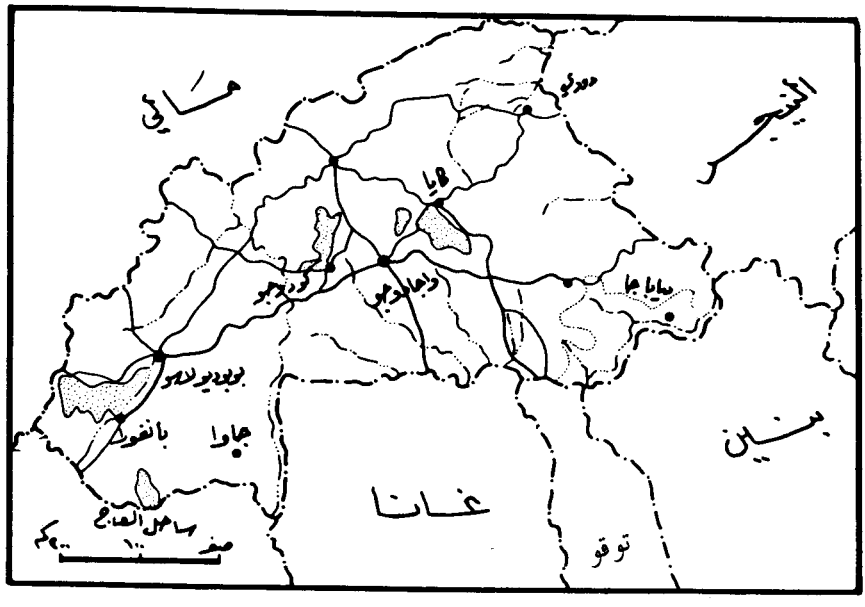

موقع فولتا العليا بين بنين وساحل العاج

من نيامي إلى واغادوغو :

غادرنا مطار نيامي في النيجر الذي يسوده الترتيب والنظام على عدم اتساعه حتى كان موظفوه يدققون في جوازات المسافرين ويتأكدون من صورهم المثبتة على الجوازات.

وذلك في الساعة الرابعة ظهراً مع شركة (يوتى) الفرنسية على طائرة كبيرة من طراز (دي سي ١٠) جميع العاملين فيها من مضيفين ومضيفات هم من الفرنسيين وقد اعلنت المضيفة أن السفر إلى (واغادوغو) سيستغرق خمساً واربعين دقيقة وعندما نهضت الطائرة بدا نهر النيجر الذي كان أسلافنا من العرب يسمونه (نهر النيل) وبدت الوديان التي تسيل بالمطر تتجه في مجاريها كلها إليه تصب فيه.

وعلى كثرة الركاب في الطائرة فان اغلبيتهم من البيض وليس في الدرجة الأولى التي ركبنا فيها إلا عدد قليل من الإفريقيين بينهم مدير شركة الطيران الإفريقي (ايرافريك) وقد لاحظت هنا ماتأكد لدي بعد ذلك من كون الأفارقة هؤلاء يفعلون في توديع النساء الاجنبيات كما يفعل الفرنسيون من التقبيل أمام أزواجهن من دون أن يستنكر هؤلاء أو يكون لهم رد فعل على ذلك.

وقد حذت هذه الشركة الفرنسية حذو الشركة الإفريقية التي قدمنا معها من جدة إلى نيامي في عدم تقديم هدية ولو رمزية لركاب الدرجة الأولى كما تفعل أكثر الشركات العالمية ومنها السعودية.

في مطار واغادوغو.

عندما تدنت الطائرة كان منظر الأرض أخضر خضرة غير كثيفة اكثرها من اعشاب وأشجار غير استوائية ثم ظهر نهر الفولتا الذي سميت على اسم اعلاه هذه البلاد كلها ومع وجود هذا النهر وكونها تقترب من خط الأستواء أكثر مما كنا عليه في نيامي فان الخضرة لم تكن كثيفة كثافتها في المناطق الاستوائية لاننا لانزال غير بعيدين عن إفريقية المدارية كما يسمى بعض الناس المنطقة الواقعة بين المنطقتين الاستوائية والصحراوية في إفريقية.

وقد استقبلتنا قرية بين يدي المدينة ذات منازل سقوفها من الصفيح يلمع في الشمس.

والمطار له مدرج طويل ضيق ولكن ساحة وقوف الطائرات لابأس بها في السعة.

وجدنا في الاستقبال في المطار طائفة من إخواننا الكرام منهم مدير المراسم في وزارة

الخارجية الأستاذ ادريس ودراقو ومدير المطار الرائد سليمان ودراقو رئيس جماعة أنصار السنة في فولتا العليا وعدداً من أعضاء الجمعيات الإسلامية قد ارتدوا الملابس العربية ومعهم أحد المتخرجين من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ويعمل الآن متعاقداً مع دار الافتاء والدعوة مرشداً وداعياً في هذه البلاد واسمه (أبو بكر قاسم سانا) من قبيلة السيراقولا .

وقد أخذونا إلى قاعة كبار الضيوف في المطار أو ماتسميه العامة من الكتاب (صالون الشرف) وذلك لانجاز معاملات دخولنا لاننا لم نكن نحمل سمات دخول غير أن السفارة السعودية في نيامي كانت قد ابرقت إلى وزارة الخارجية في فولتا العليا واخبرتها بموعد قدومنا كما ابرقت للرائد سليمان ودراقو مدير المطار بمثل ذلك لذلك استقبلونا استقبالاً رسمياً لم نكن نسعى إليه .

كان الإخوة يتحدثون إلينا في الشئون الإسلامية وهم فرحون مستبشرون بقدومنا محبة لله وفي الله ورجاء في الاطلاع على مشروعاتهم الإسلامية على أمل العمل على مساعدتهم في تنفيذها .

وقد لاحظت أن القوم رسموا رسوماً على حوائط غرفة الاستقبال لأفارقة قد صوروهم صوراً غير جميلة وبالغوا في إظهار معايب الجسم الإفريقي وإن كانوا قد زعموا انهم بذلك يبرزون خصائصه مثل إبراز الأليتين عاريتين وتشويه منظر الوجه وطول الساقين طولا مفرطاً .

ثم ذهبنا على سيارة جديدة فاخرة مكيفة الهواء مزودة بالهاتف قال مدير المراسم ؛ إن الحكومة قد وضعت هذه السيارة وسائقها تحت تصرفكم إلى حين مغادرة البلاد ، إلا أنه أسر بعد ذلك عندما اراد مفارقتنا في الفندق إلى رفيقي السفير الدكوري بأنه ليس لديهم اعتماد بشراء (البنزين) للسيارة فشكرنا له ذلك وابدينا استعدادنا لشراء كل الوقود اللازم لها لأنهم كانوا يظنون أننا سنسافر في جولات بعيدة خارج العاصمة ونحن نردد المثل العامي (الولد رخيص ببشارته) .

عندما تحركت السيارة من المطار إلى المدينة كان كل شيء يقع عليه بصرنا يدلنا على أننا في بلاد إفريقية حقيقية أكثر مما كان ذلك في نيامي حتى عري النساء رأينا له شاهداً في امرأة تركت نصفها الأعلى كله باديا للعيان .

ولفت نظري كثافة السكان في الشوارع إلا أنها اقل اتساعاً من شوارع مدينة نيامي وهي أيضاً تحفل أكثر بالمنازل المتلاصقة أو شبه المتلاصقة المبنية بالاسمنت المسلح .

كان الشيخ الدكوري وهو خبير بهذه المدينة (وغادوغو) قد اخبرني ان الأفضل أن ننزل في فندق حكومي جيد يعرفه غير أن الأخ أدريس ودراقو مدير المراسم تجاوزه إلى فندق آخر قال: إنه افضل لنا من دون أن يستشيرنا في ذلك وهو (فندق ميكاييل) ويملكه أحد اللبنانيين الأثرياء في هذه البلاد.

ويقع في قلب المدينة التجاري في منطقة حافلة بالصخب من السيارات والدراجات ومن مجاورة أكبر سوق شعبي في العاصمة. فنوافذه تطل على منازل غير بهيجة بخلاف المناظر التي كان يراها من يطل من نافذة فندق (جاوي) في مدينة نيامي التي قدمنا منها.

وبعد أن أطمأن بنا الجلوس في الفندق ودعنا إخواننا المستقبلون بعد أن قال مدير المراسم إنني سأعود إليكم بعد ذلك لتنفيذ البرنامج الذي لابد من أن يكون فيه مقابلة رئيس الجمهورية أما باقيه فيمكنكم أن تضعوا ماشئتم فيه من الاطلاع على أمور البلاد والتجول في انحائها اذا اردتم وقد عينا هذا الأخ اسحاق ليكون دائماً في خدمتكم فهو يعرف اللغة العربية جيداً وعاش في مكة المكرمة عدة سنوات. فشكرنا له ذلك.

وجدنا الفندق من الدرجة الأولى ولكنه ضيق الأرض لذلك لاتوجد له مرافق متسعة حتى بركة السباحة قد جعلوها صغيرة في الطابق الأول.

وأما مطاعمه ومشاربه فإنها فاخرة الأثاث نظيفة الرياش ولكن الغلاء فيها إلى جانب غلاء الغرف فيه قد جعل أكثر غرفه خالية فالغرفة فيه تتراوح إجرتها بين تسعة عشر ألف فرنك إفريقي وواحد وعشرين ألفا مع أنها كلها ذات سريرين متساوية في المرفقات ولكنهم ميزوا أسعارها بحسب سعة مساحتها فهو أغلى من فندق (جاوي) بكثير في الأجر، ودونه بكثير في القدر.

وقبل الغروب خرجنا لشرب الشاي في مكان جيد في المدينة فتجلت لنا بدراجاتها الكثيرة بل الهائلة الكثرة مما لم أر له نظيراً في أي بلد آخر.

وفيما يتعلق بافريقية كنت أظن أن أهل مدغشقر هم أكثر الاقطار الإفريقية استعمالاً للدراجات غير أنني رأيت أن (واغا دوغو) هذه هي أكثر دراجات منها ومن كمبالا عاصمة يوغندا بكثير.

والدراجات من نارية ومن هوائية منتشرة ترجع كثرتها إلى أن العرف عندهم لايرى بأساً في أن تركبها الفتيات والنساء كما يركبها الرجال وكثيراً مالفت نظري وجود امرأة إفريقية تركب الدراجة وخلف ظهرها طفلها قد ربطته كما تفعل وهي ماشية رغم ماتتطلبه قيادة الدراجة

من انتباه ومايتتج عنها من حركة سريعة قد تفوت على الأم بعض العناية بالطفل المربوط إلى ظهرها.

كما أن إرداف النساء والفتيات بعضهن بعضا على الدراجات كثير وشائع وكذلك إرداف الرجال النساء خلفهم موجود ولكنه ليس كثيراً. والاءرداف هنا ـ بكسر الهمزة ـ ان يركب الراكب شخصا حلفه.

ومن المناظر التي تذكرك بمنظر الفتيات في أوربا أنك ترى عدة منهن راكبات على الدراجات كما تركب الفتيات هناك فيخيل إليك وأنت تنظر اليهن إذا كن يرتدين ملابس ضافية أنك في أوروبا غير أنك ما أن تقترب منهن أو يقتربن منك حتى يكشف لك السواد أنك في وادء والحقيقة في واد.

وعند ماسألناهم عن سبب انتشار هذه الدراجات؟ أجابوا. إن ذلك بسبب غلاء الوقود أذْ يباع لتر البنزين بثلثمائة وثلاثين فرنكا وهذا شيء كثير جدا اذ هو يباع عندنا بربع ريال سعودي ويساوي ذلك خمسة وعشرين فرنكا فقط فالفرق بين سعره في البلدين إذاً هو أكثر من اثنى عشر ضعفا.

ولكن غلاء البنزين موجود في أكثر البلدان الإفريقية على تفاوت في ذلك فلماذا لم تكثر الدراجات فيها كما كثرت في فولتا العليا؟ الجواب: إن السبب لايقتصر على غلاء البنزين ولابد من أن يكون هناك سبب آخر بدليل أن الهند دولة واحدة يكاد سعر البنزين فيها يكون موحداً، ومع ذلك تشتهر مدينة فيها بأنها مدينة الفتيات اللآتي يركبن الدراجات لأنها تتميز بذلك عن المدن الأخرى وهي مدينة (أمرتسر) في منطقة البنجاب القريبة من الحدود الباكستانية.

وشوارع المدينة أقل سعة من شوارع نيامي ولكنها أكثر أشجاراً واشجارها كبيرة وارفة الظلال وذلك لكونها أقدم عمارة من نيامي واوسع اقتصادياً في القديم إذْ أن نيامي بل النيجر كان يعاني من الفقر وعدم القدرة المالية حتى اكتشف معدن اليورانيوم في صحرائه فعاد ببعض العملات الأجنبية فسارع القائمون على الأمر فيها باستغلالها.

يوم الأربعاء ٥/ ١٢/ ١٤٠٢هـ :

الاجتماع بأعضاء الجمعية الإسلامية :

وصل سبعة اعضاء من الجمعية الإسلامية الرئيسية هنا وهي الجمعية الإسلامية الوحيدة

التي تعترف بها الحكومة وباقي الجمعيات التي كانت مختلفة معها قد انضمت تحت لوائها وإن كانت لا تزال لها شخصية اعتبارية.

وهم من كبار الشخصيات العاملة في الحقل الإسلامي وبعضهم كانوا من الموظفين الكبار السابقين عندما تقاعدوا لم يشأوا أن يقعدوا في المقاهي أو في اصول الحيطان في الشارع كما يفعل أمثالهم. وإنما بذلوا أنفسهم للعمل الإسلامي والخدمة النافعة شأن كثير من إخواننا المسلمين في افريقية وفي القارة الهندية.

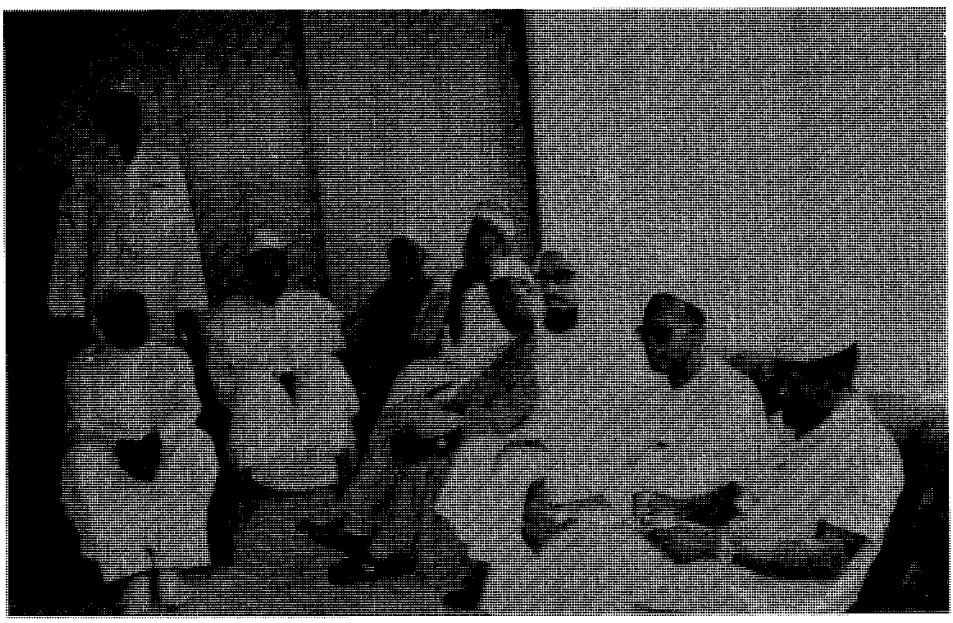

أعضاء الجمعية الإسلامية بينهم المؤلف في فندق ميكاييل في واغادوغو

وقد القيت فيهم كلمة ترجمها إلى اللغة الفرنسية الشيخ أحمد جالو المدير العام لمدارس الجمعية. ذكرت لهم فيها مهمتنا في هذه البلاد وبينت الدافع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التي قدمنا منها في تقوية العلاقات بالأخوة المسلمين وهو التعاون على البر والتقوى.

ثم طرحت موضوع إنشاء مجلس محلي للمساجد يرتبط بالمجلس الأعلى العالمي للمساجد في مكة المكرمة. وقد رد على الكلمة الحاج ديدي (سعيدي) بولي الأمين العام للجمعية.

ومما قاله إن البيان الرسمي للحكومة يقول إن المسلمين ثلاثة ملايين من ستة ملايين أي

نصف السكان ولكن المسلمين يزيدون باستمرار ومامن اجتماع هام للمسلمين كصلاة العيد والاحتفالات الأخرى الا وتدخل أعداد جديدة من المواطنين في دين الله وقال: إن المسلمين كانوا قبل ثلاثين سنة أقلية لاقوة لها والآن المسلمون هم الاكثرية في العاصمة.

وقال: الكنيسة لها إدارة منظمة ولها رئيس ومجلس محلي ومساعداتها للمسيحيين تكون منظمة يشرفون على نفقتها ونحن المسلمين في كثير من البلدان الإفريقية تأتي المساعدات للمشروعات الإسلامية عن طريق الحكومات التي تصرفها عن وجهها في بعض الأحيان، وتتصرف بها في أحوال أخرى، ثم استدرك قائلاً: وهذا الذي اذكره ليس من باب المعارضة ولكنه من باب الاخبار بالواقع.

وقال إننا نسعى الآن لمنافسة المسيحيين في المشروعات الدينية بقدر مانملكه من امكانات قليلة.

ثم طلب بعض الحاضرين أخذ صور تذكارية وهو الأخ حسن قريري احد رؤساء الجمعية السابقين وكان يعمل في الجيش وجرح في الحرب العالمية الثانية ومايزال رغم تقاعده وكبر سنه يتكلم عن محاسن الإسلام في التلفزة والإذاعة المحلية باللغة الفرنسية لأنه متمكن منها.

في المصرف الوطني:

اعطتنا رابطة العالم الإسلامي مبلغاً نقدياً بالدولار لنودعه في حساب نفتحه باسم المركز الذي تقيمه الآن وذلك للإنفاق منه في مصاريف المركز.

وقد رأينا المراجعين من المواطنين الإفريقيين كثرة كاثرة ربما كانوا يودعون أو يسحبون من المصرف (البنك) ولم أر فيه من الموظفين لا الكبار ولا الصغار أحداً من غير الإفريقيين وكانت اجراءاتهم طبيعية بدون تأخير أو تعقيد كما أن الموظفين يقومون باعمالهم بشكل جيد حسبما تراءالي.

وقد صرفت بنفسي دولارات امريكية كل دولار بثلثمائة وخمسين فرنكا من فرنك إفريقية الغربية لأن فولتا العليا مثلها في ذلك النيجر تشترك في عملة واحدة مع عدة دول افريقية من المستعمرات الفرنسية السابقة.

وفرنكها الإفريقي مربوط بالفرنك الفرنسي يزيد سعره بزيادته وينقص بنقصه. والسعر المحدد له هو خمسون فرنكا إفريقيا بكل افرنك فرنسي جديد واحد. وعلى هذا يكون الريال السعودية يساوي مائة افرنك إفريقي وبتعبير أوضح أن الفرنك يعادل (هللة) سعودية واحدة

والهللة هي الجزء الواحد من مائة جزء من الريال السعودي بمثابة السنت الواحد للدولار الأمريكي.

ولهذا السبب صارت عملة هذه الدول الإفريقية التي يسميها بعض الناس الدول الناطقة بالفرنسية وما الفرنسية فيها إلا لغة المستعمرين التي صارت لغة التعليم والدواوين، والا فان عدد الذين لايعرفون الفرنسية من مواطنيها اكثر من عدد الذين يعرفونها بالملايين.

ولكن ربط عملتها بالعملة الفرنسية عاد عليها بفوائد جمة يقتضيها العقل وإن لم تحبذها العاطفة من ذلك ضمان العملة بعدم إنهيار اسعارها كما حدث لعملات بعض الدول التي انهارت أسعارها مثل غانا التي يباع نقدها في السوق الحرة داخل البلاد بما يعادل ٨٪ من قيمته في البنك ومثل غينيا التي لاتساوى قيمة عملتها في السوق الحرة إلا أقل من ذلك.

ولهذا السبب كانت هذه الدول التي تتعامل بالفرنك الافريقي لايوجد فيها سوق سوداء وإنما سعر العملة الأجنبية في البنوك وفي خارجها واحد والثمن الذي دفعته مقابل ذلك هو أن تكون السيولة النقدية أو قدرة الحكومة على توفير الاوراق النقدية محددة بمقدار ماتكسبه بالفعل من تلك العملات.

والحر في مدينة (واغادوغو) أقل منه في نيامي وبخاصة في منتصف النهار رغم كون أهل البلاد أكثر سواداً من أهل النيجر وذلك لأننا هنا قد خرجنا من نطاق الصحراء وقربنا من نطاق خط الاستواء.

الجامع الكبير :

ذهبنا إليه بصحبة الدكتور عدنان القباني مدير مركز الرابطة وهو طبيب لبناني عينته الرابطة لهذا الغرض والأخ أبو بكر سانا والأخ اسحاق سليمان كاكاندي وأما رفيق السفر وزميل المهمة السفير عبدالوهاب الدكوري فان زيارة هذا المسجد الجامع لها معنى خاص في نفسه لأنه هو أول من سعى في إنشائه عام ١٩٥٣م في زمن الاستعمار الفرنسي لهذه البلاد قال: وهو أول مسجد جامع بل قال: إنه أول مسجد أنشيء فيها على الإطلاق لأنه لم يكن فيها قبله الا مسجد صغير لم يبن على هيئة بناء المساجد.

قال: وكانت الإدارة الفرنسية هنا لم تشجع إنشاء الجامع الكبير على اعتبار أن المسلمين كانوا في ذلك الوقت أقلية عددية واغلبهم فقراء لايقدرون على إنشاء مسجد كبير قال: قلت لحاكم الإقليم انكم تشجعون بناء الكنائس وتزعمون حرية الأديان في مستعمراتكم على حين توجد كنائس عديدة في مستعمراتكم التي تقطنها أغلبية إسلامية ولايوجد مسجد في

هذه المدينة التي تقطنها أقلية إسلامية قال: فكان من ذلك أن أمر بتسهيل إنشاء هذا المسجد وقد بني بالفعل صغيراً في ذلك الوقت إلا أنه أعيد بناؤه بعد ذلك ووسعت نواحيه على ماهو عليه الآن.

المسجد الجامع الكبير في واغادوغو وفي أيمن الصورة الدكتور القباني والسفير الدكوري

ويقع في حي هام من قلب المدينة التجاري وله منارتان اندلسيتان بارزتان تريان من اكثر انحاء المنطقة وهما بشكلهما المربع يدلان على تأثر الذين بنوه بالفن الأندلسي المغربي. إلا أن ذلك لم يمنعهم من إدخال ماله علاقة بفن البناء العربي الشرقي وذلك ببناء منارتين إضافيتين للجامع مدورتين إلا أنهما أصغر من المنارتين المربعتين الاندلسيتين فيكون لهذا المسجد اربع منارات ظاهرة.

وقد سموا أحد ابوابه (باب السلام) وكتبوا ذلك عليه بخط سوداني ردئي والسوداني إذا ذكرناه هنا فانما نريد به ماكان يريد به اسلافنا المؤلفون العرب وهو السوداني الغربي (بالغين المنقوطة) لا السودان العربي (بالعين المهملة) فهذا تسميته محدثة بالنسبة إلى تسمية السودان الغربي الذي عرف بهذا الاسم في كتب الثقافة العربية قبل ألف عام.

كما كتبوا تحت السقف الخارجي مباشرة داخل الرواق نطاقاً من الآيات القرآنية الكريمة مكتوبة بخط جيد.

ويقع المسجد الرئيسي المسقوف وسط أفنية واسعة تحيط به من جميع الجهات عدا جهته القبلية فيها عدة أشجار للظل وهي مفتوحة مغمورة بالناس ومن ذلك ركن منها قد فرشت فيه حصر كثيرة تحت مظلة رأيت بعض الناس يصلون فيها وخبرني الشيخ أبو بكر سانا أنه قد اعتاد أن يلقي فيها دروس الوعظ والارشاد في كل يوم واخبرني أنه يحضر في العادة لسماع هذه الدروس عدد كبير من الناس.

واكثرهم يعرفون أن الشيخ ابابكر متعلم في المملكة العربية السعودية كما أنه ملازم على ارتداء الملابس العربية الكاملة في أكثر الأحيان بما فيها (الغترة) على الرأس وهي التي تميز الملابس العربية الكاملة عن غيرها من ملابس طلبة العلم والمتمسكين بالدين في هذه البلاد فهم يلبسون عادة قميصاً طويلاً أبيض وغطاء الرأس طاقية أو عمامة.

وقد أسرع حارس المسجد (سليمان البدو) من قبيلة موشي بفتح ابواب المسجد ولم يكن إمامه الشيخ (موسى ساشكري) موجوداً لأن الوقت ليس بوقت صلاة ولم تكن زيارتنا مقررة من قبل والمسجد مبني من الاسمنت وبناؤه الداخلي معتاد بسقف واعمدة ليست على طراز معين من البناء ولكنهم كتبوا بعض الكتابات على الحائط دون السقف كما زينوا المنارات والحوائط التي فوق السقوف بزينة من الجبس المخرق مما يعطي انطباعاً عن النفقة الكثيرة التي صرفوها عليه في وقت لم تكن فيه المساعدات تأتي إلى إفريقية من البلاد العربية والإسلامية ولكن كان ذلك كله بجهود محلية من إخواننا المسلمين في هذه البلاد وبمساعدة أثرياء المسلمين المقيمين فيها من البلاد الإسلامية المجاورة العريقة في الإسلام مثل مالي والسنغال.

كان وجودنا في المسجد قبل اذان العصر بقليل ومع ذلك كان الناس موجودين بكثرة في الساحات الخارجية وعندما فتح المسجد الداخلي بادروا إليه استعداداً للصلاة.

ولولا أننا كنا قد صلينا العصر مع الظهر جمعاً لانتظرنا الصلاة معهم وقد لاحظ ذلك مؤذن المسجد عندما ما صادفناه يدخل ونحن خارجون فقال: انني سأؤذن للعصر فأخبرناه بأمرنا.

جولة في مدينة واغادوغو :

ومعنى اسمها : بلاد النبلاء بلغة البامبرا فواغا: نبيل (دوقو): بلاد ويبلغ عدد سكانها

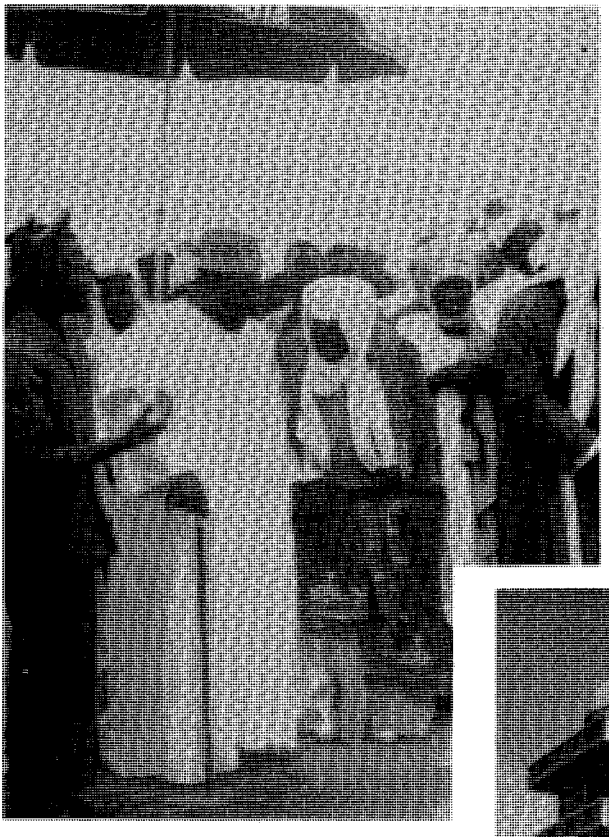

إمام الجامع الكبير الثالث
في اليسار على يمينه امبراطور
قبيلة موشي

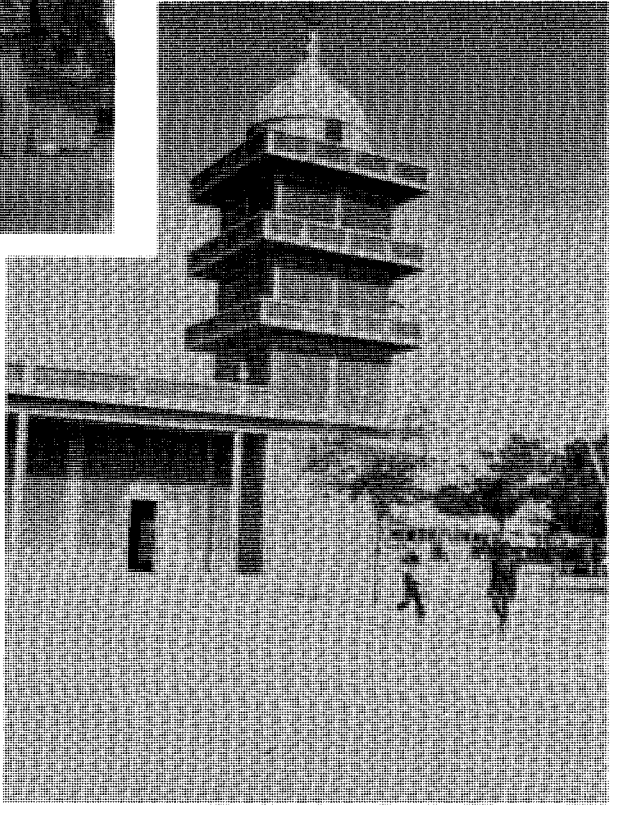

منارة جامع واغادوغو
عاصمة فولتا العليا

اربعمائة الف نسمة حوالي ٦٠٪ منهم مسلمون.

وهي عاصمة جمهورية فولتا العليا التي لم يكن لها كيان معروف قبل الاستعمار الفرنسي بل كانت تشغل أجزاء من أراضي بعض جيرانها أو من أراضٍ ليست منسوبة لدولة من الدول، ودرست حدودها في زمن الاستعمار مثل كثير من البلدان الإفريقية كجارتها ساحل العاج.

واسم الدولة (فولتا العليا) فرنسي معناه اعالي فولتا الذي هو نهر الفولتا الشهير كما يقولون في السودان العربي مديرية (أعالي النيل).

وأما أصل تسمية النهر بفولتا فإنها موضع خلاف وإن كان الاكثر يقولون إنها كلمة برتغالية معناها: الرجوع لأن المكتشفين الأوائل من البرتغاليين الذين دخلوا هذه المنطقة من البحر المحيط رجعوا عندما وصلوا إلى هذه المنطقة من النهر.

ولهذا فإنه ليس لهذه الكلمة أية علاقة بكلمة (فلاته) أو فلاتي بالتاء التي اطلقت في بلادنا في الأصل على الفلانين بالنون لأن الواقع التاريخي ينفي ذلك، ولأن الفلاتين الذين نعرفهم بهذا الاسم عندنا يقال لهم ولايزال في بلادهم وفي منطقة السودان الغربي كلها بالنون أما الفرنسيون فإنهم يسمونهم الفول أو البول ـ بالباء الاعجمية المفخمة.

مررنا بساحة كبيرة في قلب العاصمة اسمها ساحة الأمم المتحدة تحيط بها ابنية جيدة (عمارات) اكثرها فيما ذكروا قد بني بعد الاستقلال وبجانبها قصر رئاسة الجمهورية الذي من المقرر أن نقابل فيه رئيس الجمهورية فيما بعد.

ثم سرنا مع شوارع جيدة نستظل بظلال أشجار وارفة ضخمة مما يدل على أنها غرست قبل استقلال البلاد بزمن طويل.

حتى وصلنا إلى جسر على بحيرة كبيرة تسمى (نورمازو) تتجمع مياهها من عدة انهار صغيرة أو على الأصح أودية صغيرة وتزود العاصمة بمياه الشرب.

ورأينا بجانب الجسر المقام عليها طائفة من الأطفال والشباب يسبحون فالجو يغري بالسباحة لأنه حار شامس وبعض النساء الإفريقيات على طرفها قد غصن في مياهها إلى الصدر وهو يغسلن أشياء معهن.

وبعد الجسر مررنا بقرية كل بيوتها من الطين الجيد الذي لايبعد كثيراً عن الطين الذي كنا نستعمله في بلادنا في بناء المنازل قبل الازدهار الاقتصادي الأخير.

حديقة الحيوان

وكـان يصحبنا المرافق الأخ (اسحاق سليمان) ويترجم من اللغة الوطنية الإفريقية إلى العـربية أو على الأدق من اللغـات الوطنية لأن لديهم أكثر من لغة واحدة في هذه البلاد الصغيرة شأن كثير من الدول الإفريقية خلف الصحراء.

كان أول ماشاهدناه في الحديقة طاووساً كبيراً يختال في مشيه وهو يسير طليقاً دون أن يحد من حريته قفص أو شبكة. ثم طائفة من القرود المختلفة الأحجام بل والأنواع منها نوع أسود صغير.

وفيهـا انواع كبيرة من السلاحف المعتادة ذات اللون السكري وتماسيح صغيرة رمادية اللون وحية ضخمة مما يسمى في السودان وتشاد والكاميرون باللغة العربية (أصلة)، وهي تسمية عربية فصيحة وقد انطوت على نفسها طيات ضخمة متعددة وكأنها قد تشبثت بجلدها الثمين الذي يقتلها الصيادون من أجله لامن أجل أنها تؤذيهم فهي لاتؤذي الإنسان إلا اذا هاجمها وهي إذا ارادت ذلك فإنها لاتلدغه لأنها ليست في انيابها سم يميته وإنما تبلعه في بطنها ونظراً إلى أنه ليس لها أضراس تطحنه فإنها تعمد إلى جذع شجرة فتتلوى عليه فتحطم عظام الرجل الذي ابتلعته حتى يسهل هضمه اذ لم يمكنها قضمه.

أخبرني بعض إخواننا الافارقة أن الذين يعمدون إلى صيدها منهم يتسلحون بسكين كبيرة حادة يأخذونها بأيديهم فيشقونها بها قبل أن تبتلع الرجل.

وما لنا وللحيات وحديثها المفزع وإن كان غريباً فلنتحدث عن منظر جميل لغزال صغير لطيف فلونه في لون الزعفران الفاتح قليلاً وشكله مثل شكل الغزال النجدي غير أنه أقل منه في خصلتين كان يشبه الشعراء العرب بهما المحبوبة وهما سعة العينين وضمور الخاصرتين.

وهذا الغزال اللطيف رأيته في منظر ظريف اذْ كان واقفاً في بركة ماء، وعهدنا بظبائنا أنها لاتخشى الظمأ بل هي من الجوازي التي لاتحتاج إلى شرب الماء ابداً تجتزيء عن الماء بالنسيم كما يقول الشعراء أو شعراء العلماء سيان ومن ذلك سميت الجوازي وبذلك أيضاً سميت بعض النساء بالجازية على اسم الظبية من الغزلان.

وكنت أعجب لهذا الغزال الإفريقي الذي وضعوا في قفصه بركة من الماء كأنه دب القطب أو فرس النهر وربما كان أصل منشئه في أرض مطيرة ولذلك عاش غير قادر على احتمال الظمأ.

الظباء خارج البركة في حديقة واغادوغو
والطير الكبير الذي طردها يبدو أيسر جذع الشجرة الضخمة في حوض الماء

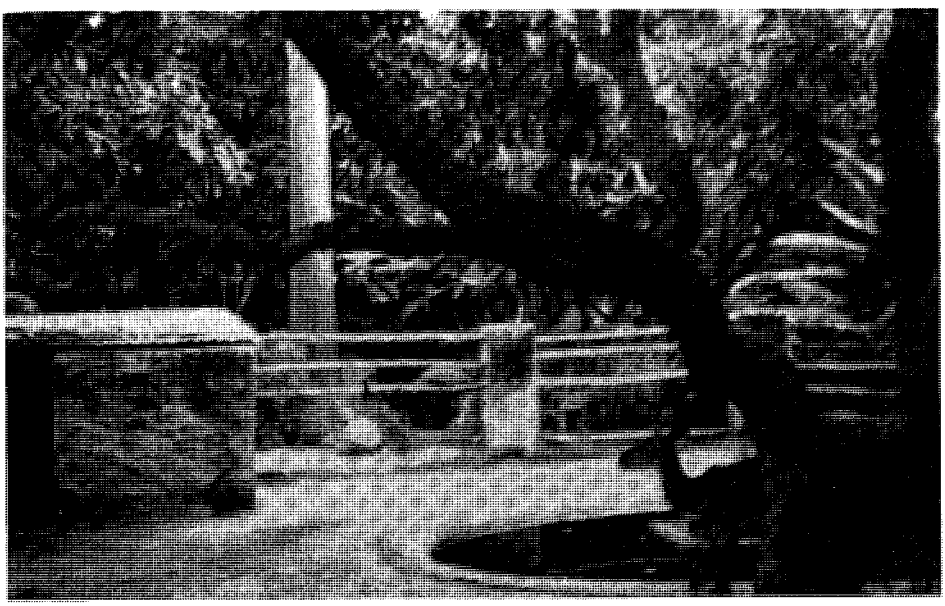

في حديقة الحيوان في واغادوغو ظبي أبيض بجانب البركة

ومن الغريب أنه مثل كثير من أبناء عمه أو الأجانب عنه من الحيوان لم تستطع شمس إفريقية تسويد إهابه سواء أكانت هذه الثياب التي عليه هي ثيابه أم غير ثيابه.

وكنت أتأهب لالتقاط صورة له وسط الماء انظر إليه وهو ينظر إلي كأنما يسخر مني أو يعتب عليَّ، قائلاً لو كان يستطيع القول: ما لهذا الذي هو غريب الوجه واللسان والحملقة في هذا المكان، وهل أنا إلا حيوان بن حيوان جلبت عن أسر، وحبست عن قهر، وما أدري ما يكون لي بعد ذلك من أمر.

غير أن متطفلاً من المتطفلين ثقيل الظل، طويل الرجل، من طيور الماء التي تحشر أنوفها الطويلة في قيعان البحيرات ولو كانت منتنة كأنما قد غار من هذا الحيوان البري أن ينافسه على مهده البحري فأسرع ينهر الغزال يهدده بمنقاره الحاد، وينفش ريشه يبين أنه على استعداد للعناد فما كان من الغزال الحالم إلا أن آثر الانسحاب على الاحتراب فخرج من البركة وحرمت أنا من صورة كنت أنوي أن اتحف بها قاريء الكتاب. وعسى أن يكون فيما صوره القلم غناء عما أهدرته القدم قدم ذلك الطائر المائي.

ومن عند الغزلان المسالمة التي لم تكدر اقسامها المخاصمة ذهبنا إلى مخلوقات اخرى تركت الشر قهراً لاطبعاً ولو لم تردعها الاقفاص لكانت تفعل بحيوان الحديقة مايفعله القناص ألا وهي الاسود والنمور ومنها أسد أحمر محلي كبير الحجم قالوا: إن جنسه لايزال يعيش حتى الآن في بلادهم.

وعلى عكس أسدهم في ضخامة الجسم كان ضبعهم صغير الجرم، إلا أن لونه هو لون ضبعنا الأشهب وهو هو الضبع عندنا الذي هو أقعس عكس الأحدب مؤخرة ظهره منخفضة عن مقدمة فقاره، ولونه كلون الغبش الذي اختلط ليله بنهاره.

وهناك طائفة من الصقور الصغيرة الاحجام، ولها في نفوسنا نحن أبناء الجزيرة العربية مقام وأي مقام لأننا نصيد بها الصيد ونشبه بها أهل البطش والأيد.

أما ختام الزيارة فلم يمكن مسكاً وإنما كان النتن يمشي على الأرض، والقبح في الطول والعرض إنه الخنزير الذي جمع إلى قبح الشكل قبح الفعل إنه الخنزير البري الذي قد يهجم على الإنسان فيغيضه من هجومه عليه أنه هجوم من خنزير ابن خنزير ودناءة من شرير حقير.

وأما الحديقة فإنها كما رأيناها صغيرة المكان. نزرة الحيوان ولكنها ظليلة الأشجار ذات الثمار ففيها أشجار الليمون وابناء عمه الحمضيات وفيها أشجار العمبة (المانجو) الظليلات ولم تكن الحديقة بدعاً في ذلك، وإنما المنطقة خارجها كلها أشجار ملتفة وقد وجدنا بعض

ثمارها تبيعها نساء إفريقيات عند المدخل إلى الحديقة منها جوافا وليمون ويوسفي كما كن يبعن فولاً سودانياً مطبوخاً وكل ذلك رخيص إلا أنه غير نظيف إذ الجوافا كانت تحوم عليها الأذبة على حد قول الشاعر الجاهلي ـ وما من أحد يذود عنها إما لعدم مبالاتهم بذلك أو لأن الكثرة تغلب الشجاعة.

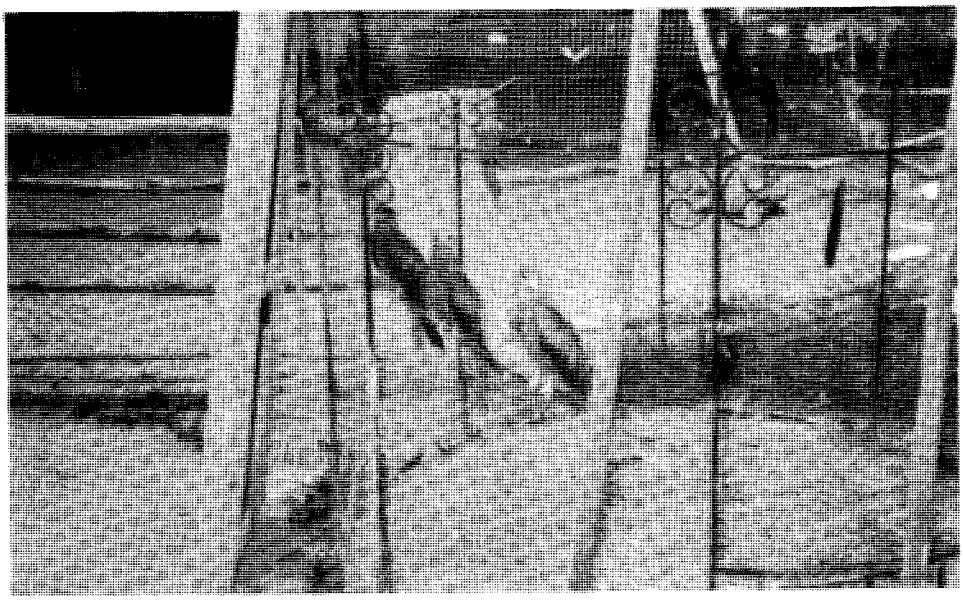

الصقور في حديقة الحيوان في واغادوغو

وإلى جانب هؤلاء النسوة كان أطفال إفريقيون عراة قالت إحداهن: إن بعضهم لها ولما سألناها عن عدد اطفالها اعتذرت باستحياء عن أن تخبر بذلك وقال الشيخ الدكوري إن بعض الإفريقيات لايخبرن بالعدد الحقيقي لاطفالهن خوفاً عليهم من الإصابة بالعين أو من شيء شبيه بهذا.

ومن أهم مايميز اطفال إفريقية بوجه عام انتفاخ السر في وسط البطن ولا أدري سبب ذلك إلا أن يكون عدم العناية بالتطهير والتنظيف عند قطع الحبل السري بعد الولادة ولكن هذا كان أمراً عاماً في أكثر بلدان العالم غير المتمدين وكان كذلك في بلادنا قبل التقدم الصحي الحالي فكانت المولدة تقطع حبل السرة من الوليد بسكين المطبخ ولم نكن نشاهد في اطفالنا كثرة السر المنتفخ اللهم إلا إذا كانت الثياب عليهم تستر ذلك.

ثم قمنا بجولة على جانب آخر من هذه البحيرة التي تقع خلف سد صغير من مجرى مائي يمدها مادون ذلك السد بالمياه في منطقة مزروعة بالذرة وهي الغذاء الرئيسي لعامة الناس في هذه البلاد.

ثم عدنا إلى داخل المدينة مع أبنية جديدة بعضها بني بعد الاستقلال وبعضها كان قبله في عهد الاستعمار الفرنسي وايًّا كان الأمر فيها وفي مشروعات أخرى فان القوم قد احسنوا القيام عليهـا وحافظوا على الموجود منها بل حسنوه بخلاف ماحصل في غانا المجاورة التي اهملت المشروعات القديمة بعد الإطاحـة برئيسها السابق (قوامي نكروما) حتى اصبحت بعض الأحياء فيها مزابل حقيقية كما شاهدتها في العام الماضـي لأن أكوام القمائم والنفايات تختلط مع مياه المجاري الخارجة إلى الشوارع والازقة مع مجار مكشوفة وأحياناً تكون على هيئة مياه سوداء منتنة سائبة في أرض الشارع أو الزقاق بين المساكن وعدنا مع شارع الاستقلال وهو شارع رئيسي هام.

ويلاحظ كثرة السيارات الجديدة في الشوارع واكثر السيارات القديمة تبدو عليها آثار الصيانـة والعناية بخلاف بعض الدول الافريقية والآسيوية التي يبدو إهمال المسؤلين فيها واضحاً بشكل غير مباشر على حالة السيارات فيها أول مايركبها السائح في المطار.

فاخترقنا المدينة وخرجنا مع ضاحية فيها كنيسة كبيرة الحجم فاخرة البناء تحيط بها أحواش وافنية خارجية واسعة ومرافق متعددة.

ومع ذلك فاتباعها في نقص واتباع الإسلام في زيادة مطردة رغم الفارق بين الفريقين دعاة النصرانية ودعاة الإسلام في الامور المادية والخبرة الإدارية ولكن نقص المال عند المسلمين يقابله الاحلاص في الاعمال والصدق في الدعوة.

ثم مررنا بقصر الامبراطور (موروناپي كوغري) امبراطور قبيلة موشى أو ملك قبيلة موشى اكبر القبائل الافريقية في فولتا العليا وشاهدنا اكواخ الحراس والاتباع خارج القصر من دون أن نحاول دخوله لأن البرنامج يتضمن زيارته فيما بعد.

ومن ألطف مايشاهد على فناء القصر الخارجي مدفع يطلق كل صباح تحية للامبراطور والبـاب الذي يخرج منه الامبراطور راكباً حصانه في كل يوم جمعة كأنما هو ذاهب مستعد للجهاد فيأتي اتباعه إليه في مشهد تمثيلي يرجونه الا يذهب فيترجل عن حصانه ويعود من حيث أتى إلى داخل القصر.

وللسلطان اعوان له بمثابة الوزراء، ورجال بمثابة الجيش اتباع له يقدر عددهم بثلاثة الآف رجل فيما قيل لنا.

ثم انطلقنا من قصر الامبراطور الذي فقد سلطانه الحقيقي الذي ورثه عن أسلافه السلاطين الحقيقين لقبيلة موشي وبقي له من ذلك مظهر السلطة والتعظيم الحقيقي من القبيلة والاحترام من الدولة.

فدخلنا حياً مجاوراً اسمه (وارمني) فكان المنظر الذي شدنا إلى عمق إفريقية منظر امراتين تهرسان شيئاً في مهراس في الشارع تتناوبان الهرس وإحداهما ليس على نصفها الأعلى شيء من اللباس فيرى المارة ثدييها تطوح بهما يميناً وشمالاً وارتفاعاً وخفضاً وهي تعمل.

ومررنا قريبا من ذلك بزاوية للتيجانية الفرقة الصوفية المشهورة في المغرب والسودان الغربي وأصلها من المغرب ثم انتقلت إلى هناك وفيها كما تعرف اليوم لعامة الناس بدع من البدع المنكرة لكن الذين ينتصرون لمؤسسها الأول الشيخ أحمد التيجاني يقولون: إن أكثر المنكرات الظاهرة فيها هي محدثة فيها أو مدسوسة عليها ليست مما ارتضاه مؤسسها ولا مما أثر عنه.

ولم ندخل هذه الزاوية التيجانية لأننا نبرأ إلى الله منها ومن مثيلاتها من الطرق الصوفية المحدثة ونقول لاتباعها ليسعكم ويسعنا ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ والسلف الصالح من الإتباع وعدم الابتداع فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ومن ناحية العقل: لماذا يجعل المسلم بينه وبين ربه واسطة من شيخ صالح أو ولي مقرب والله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء وهو المحيط علمه بكل شيء ولايحتاج العبد في التقرب إليه بأية واسطة لأنه قريب ممن دعاه ورجاه كما قال تعالى ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**﴾.

أما المشايخ الصالحون والأولياء المقربون فإننا ينبغي أن نقتصر في تعظيمهم على متابعتهم في العمل الصالح بعد وزن اعمالهم بميزان الشرع المطهر لأنهم بشر غير معصومين من الخطأ والسهو. وندعو لهم على اجتهادهم واخلاصهم في اعمالهم.

هذا ولو كنا نعرف أن في هذه الزاوية التيجانية علماء من محبي البحث ومن مريدي الحقيقة والانصاف في القول لكنا قد دخلنا إليهم وبسطنا مانراه حقا في هذا الموضوع ولكن قيل لنا: إنه ليس فيها من طلبة العلم من يحب النقاش.

حي كمسونقو:

لم نقف أو نطل المكث في الأحياء السابقة وأما حي (كمسونقو) فقد وقفنا فيه عند بيت لصديق الشيخ الدكوري.

وهذا البيت كغالب بيوت الحي مبني بلبن الاسمنت وفيه بعض البيوت القليلة المبنية بالطين أما الأكواخ الافريقية المبنية من القش أو الأعواد فإنها تكاد تكون غير موجودة وأغلب بيوته لها باحات أمامية ضيقة ولكنها لاتخلو من أشجار نضرة أكثرها ظهوراً أشجار (العمبة) أي المانجو واشجار الظل (بنسيان).

وقال مرافقنا الأخ اسحاق سليمان إنه ساكن في هذا الحي وإن أكثر السكان فيه هم من المسلمين.

والوان السكان فيه هي السواد الذي هو السائد في هذه البلاد بل في كل هذه المنطقة وإن كان يختلف في قبيلة أو في بلد عن بلد من سواد حالك كأكثر السنغاليين وقبيلة موشى كبرى القبائل في هذه البلاد التي منها أكثر سكان الحي. أو يكون سواداً خفيفاً كلون بعض سكان السودان الغربي الذين يخف سواد بعضهم كالفلانيين الذين حافظوا على نقاء أصلهم حتى يكاد يخرج بهم عن حد السواد إلى حد السمرة في بعض الأحيان.

وفي العودة إلى الفندق تجدد عجبنا من كثرة الدراجات بعامة ومن كثرة عدد الفتيات اللاتي يركبنها خاصة.

واتضح لنا من كثرة الناس في الشوارع من رجال ونساء وأطفال أن بعضهم يقطعون جزءاً من وقتهم في الشارع وربما كان مرجع ذلك إلى كون البيوت غير واسعة أو غير مريحة كما هي عليه الآن في كثير من البلدان الإفريقية حيث يضاف إلى ذلك أن العرف لايستنكر بروز النساء في الشارع ولا انجاز بعض الأعمال المنزلية فيه ربما كان ذلك لحداثة عهد السكان بحياة الريف أو على الادق بحياة الغابة في مناطق استوائية حارة لايحتاج الإنسان البدائي فيها إلى اللجوء إلى مساكن تقيه الحر والبرد وليس فيها في القديم اعراف أو اديان سماوية تأمره بالتستر والصيانة ولذلك نجد أنه في بلاد الهند حيث تماثل المناطق الاستوائية الحارة أو تقاربها في بعض المناطق ولكن توجد أعراف وتقاليد مرعية قديمة فإن الفقر وضيق المساكن لايحمل السكان على العيش في الشارع الا في حالات الفقر المدقع الموجود بالفعل في مناطق هناك اكثر مما هو موجود في البلاد الإفريقية الفقيرة.

يوم الخميس ٦/ ١٢/ ١٤٠٢هـ

إلى مركز الرابطة :

زيارة مركز الرابطة وتفقد ما أنجز منه هي من المهمات التي قصدتها رحلتنا هذه. والمراد به مركز أقامته المملكة العربية السعودية بواسطة رابطة العالم الإسلامي ليكون فيه مستوصف ومدرسة ومكتبة عامة ومسجد وملعب رياضي ليؤدي خدمات إنسانية ودينية للسكان.

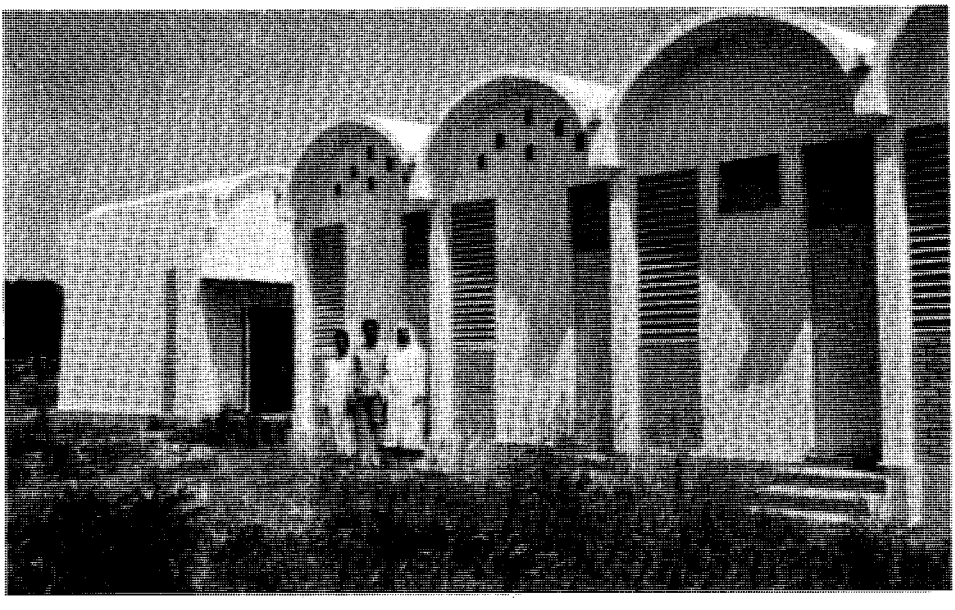

المهندس بولي بين المؤلف والسفير الدكوري

ذهبنا إليه بصحبة الدكتور عدنان القباني مدير المركز والمهندس موسى بولي المشرف على بناء المركز وهو مسلم من أهل فولتا العليا اتفقت معه السفارة السعودية في نيامي على ذلك فقصدنا حياً في شرقي العاصمة يسمى (باتتوا) ومعناها بالفرنسية رجل الاوزة سمي بذلك لكونه فيه طريق يشبه رجل الإوزة يؤدي إلى عدة طرق رئيسية ومنها طريق غانا الذي سلكناه في الدخول إلى هذا الحي.

وقد اختير مكان المركز فيه لأنه حديث متسع تقام في أطرافه الآن دارات (فيللات) ومنازل جيدة للأغنياء وكبار الموظفين ولأنه لحداثته خالٍ من المستوصفات.

وتبلغ مساحة أرضه اثنين واربعين الف متر مربع قدمتها حكومة فولتا بالمجان وتنتشر في الأرض أشجار كبيرة مثمرة وإن كانت برية منها الشجرة التي ذكر ابن بطوطة الزيت الذي يستخرج منها باسم القرتى.

وهي شجرة كبيرة تشبه بالمقدار شجرة العمبة (المانجو) المتوسطة الحجم.

وفي جزء من أرض المركز ذرة نامية زرعها أحد المواطنين على المطر من دون سقي بإذن من المسؤل عن المركز كما اخبرونا.

ثم اطلعنا على مبنى المكتبة العامة وهو صغير انيق ومبنى المستوصف لايبعد عن ذلك وقد بني على طراز بين العربي والطراز الحديث في اسقفه قباب مستطيلة على هيئة سقوف الأقبية ـ جمع قبو إلا انها غير مرتفعة.

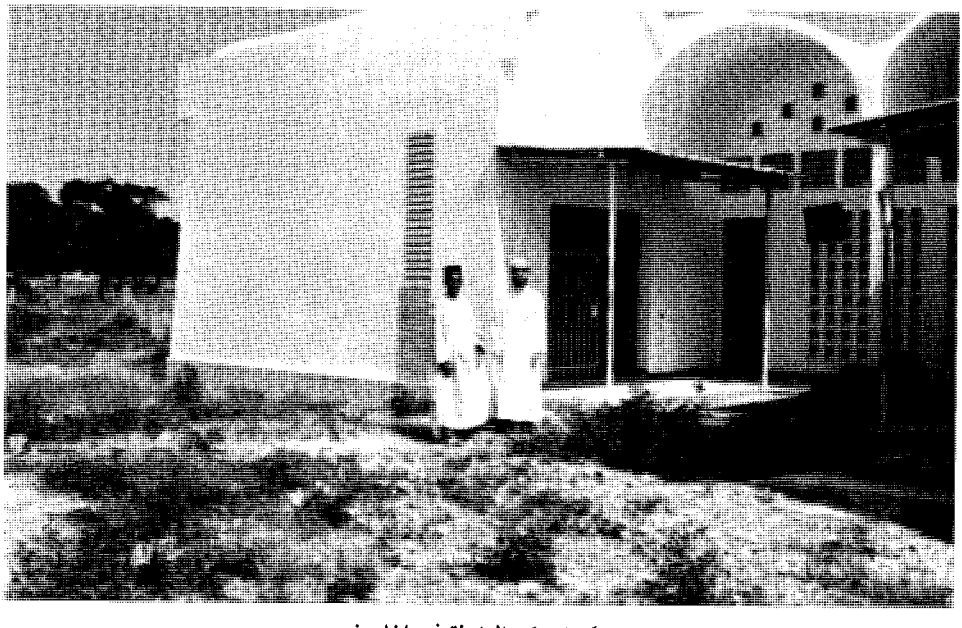

مكتبة مركز الرابطة في واغادوغو

وقد استقبلنا فيه الحارس وقد جلس بالقرب من جرار فخارية كبيرة (أزيار) يبرد فيها ماء الشرب وهي محلية بدائية ذات لون أحمر ذكرتني بالازيار التي توضع في كثير من البلاد العربية لماء الشرب العام قبل توفر أنابيب المياه الباردة على الكهرباء.

هكذا يسلمون على رؤسائهم :

عندما كنا عائدين من مبنى المكتبة العامة في آخر المكان إلى حيث تقف السيارة في أول الأرض وكنت ارتدي الملابس العربية وزميلي السفير الدكوري يلبس ملابس مالي الوطنية الفضفاضة إذا بأحد الأشخاص عندما رآنا رمى نفسه على طريق حفرته السيارات التي تنقل مواد البناء إلى المركز حتى غدا ترابا وأسرع إلى ذلك الغبار كأنما يريد أن يسجد غير أنه وضع مرفقيه على الأرض واتكأ عليها رافعاً رأسه ثم بدأ يخفضه ويعفر جسده بالغبار ثم قام وأخذ

يستدير يبعد الغبار الذي علق بثيابه، و لكنه كان لايزال رأسه إلى الأرض منحنيا كهيئة المنحني للتحية والاحترام.

ولما عجبت من هذا المنظر الذي تقع عليه عيني لأول مرة بهذا الشكل سألت عنه المرافقين فقالوا: إن هذا الرجل من قبيلة موشي وإن هذه هي عادتهم في تحية رؤسائهم ومن يحترمونهم كثيراً.

واستعاد ذهني صورة تعظيم اليوربا لمشايخهم وكبرائهم وتعظيم الحوس أو الهوسا للخليفة في مدينة صوكوتو والحكام على وجه العموم في شمال نيجيريا.

كما تصورت ماكنت قد قرأته في الكتب العربية عن تعظيم أهل السودان الغربي لملوكهم ورؤسائهم.

وفي هذا الحي الحديث حي (باتتوا) الذي لم تعم العمارة أراضيه بعد يجتمع النقيضان من مبان حديثة على هيئة (فيللات) واكواخ قليلة طينية كأنها من بقايا الزمن التي لاتلبث أن تتبعه فتندثر على حد قول أبي الطيب المتنبي:

تتخلف الآثار عن أصحابها حينا فيدركها الفناء فتتبع

وطائفة من المواطنين الاصلاء ربما كانوا من أهل الريف قد تجمعوا مابين رجال ونساء وأطفال تحت ظلال الأشجار الكبيرة.

ثم سوق شعبي بسيط كل الباعة فيه من النساء اكثر مايبعنه في هذا الصباح خضروات شحيحة من خضروات الطبخ يبعنها على جانب الطريق تحت السماء الصاحية. غير أن مظاهرهن كسائر المواطنين ليست مظاهر الفقر المدقع أو الجوع المفزع أو حتى العري الشديد، فلا يظهر من أجسادهن الا ما اباحته التقاليد وهي تقاليد توسع مجال النظر للعيون وتضيق الثياب ولكنهم بذلك لايبالون.

جنازة مسيحية :

قابلتنا جنازة لأحد المسيحيين موضوع على سيارة يتبعها موكب من السيارات يبلغ عددها حوالي العشر وحوالي خمسين دراجة. وقد وقفت السيارات المقابلة لموكب الجنازة على جانب الطريق مع انه متسع ولكنهم فعلوا ذلك احتراما للميت كما أن السيارات التي كانت في الاتجاه نفسه قد تمهلت فصارت تتبع الموكب.

أما الجنازة نفسها فقد وضعت على سيارة شحن صغيرة (وانيت) في تابوت مسجى عليه

بعض الورد وقد وقف بجانبها على الشاحنة اربعة رجال والسيارة تسير بهم.

وقد أوقف السائق سيارتنا حتى مرت الجنازة وهو مسلم اسمه (نانا عمر) ولم يستغرق ذلك غير دقائق معدودة.

ثم مررنا بمستشفى للعيون تابع لإحدى الكنائس الغربية ويقع إلى جانب مستشفى انشأته الكنيسة أيضاً قريباً من الكنيسة الكبيرة التي مررنا بها أمس.

زيارة الجمعية الإسلامية :

حان موعد اجتماع الجمعية الإسلامية الرئيسية في فولتا العليا وكنت طلبت أن يكون الاجتماع في مركز الجمعية ليكون رداً على الزيارة التي قام بها زعماؤهم إلينا في الفندق غير أنني فوجئت بأن الاجتماع في الجامع الكبير وقالوا إن السبب في ذلك أن مقر الجمعية ضيق وغير لائق فهو خال من الفرش والمقاعد فضلاً عن سوء مظهره كما تبين لنا ذلك فيما بعد.

كان عدد المجتمعين من اعضاء الجمعية كثيراً لأنه كان محدداً منذ أمس كما أنه ضم معظم الأعضاء العاملين النشطين فيها ماعدا رئيسها الذي كان غائباً عن البلاد.

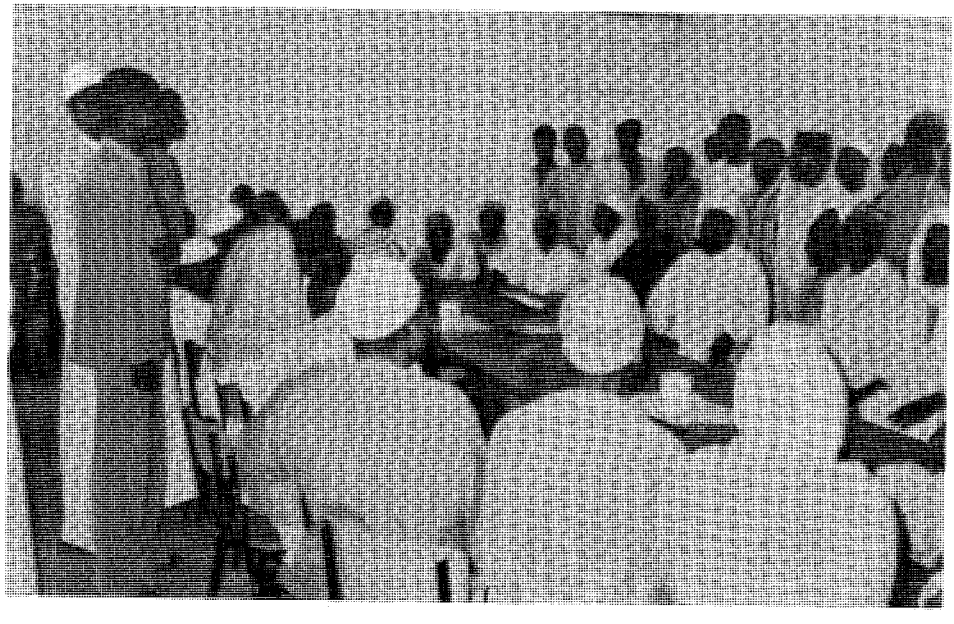

في جمعية الأئمة والوعاظ في واغادوغو

القيت فيهم كلمة مبسوطة بينت لهم الغرض من قدومنا إلى هذه البلاد وأنه ليس غرضاً سياسياً ولا تجارياً، وإنما هو لقاء بالأخوة المسلمين لله وفي الله.

وقد ترجمها من العربية إلى لغة موشى جملة جملة الحاج جابر أحمد سيناء الذي ذكر انه تعلم العربية في هذه البلاد وفي السودان.

فرد عليها الأمين العام للجمعية بكلمة قال فيها: إن اعضاء الجمعية والمسؤلين فيها موجودون ماعدا رئيس الجمعية فهو غائب عن المدينة. وقال: إن هذه الجمعية هي محاولة لجمع العاملين في الدعوة في هذه البلاد على كلمة واحدة وتوجيه المنظمات والهيئات الإسلامية تحت راية واحدة حتى نستطيع أن نخاطب إخوتنا المسلمين في البلاد العربية والإسلامية بصوت واحد. وعسى أن نصل إلى هذه الغاية في المستقبل وماحققناه الآن في هذا الأمر يبعث على التفاؤل ففي فولتا العليا إحدى عشرة محافظة في كل محافظة منها فرع لهذه الجمعية. وفي كل بلدة من هذه المحافظات مسجد أو أكثر من مسجد تشرف عليه الجمعية بشكل مباشر أو غير مباشر والإسلام ينتشر بقوة في فولتا العليا ولله الحمد، وفولتا العليا معدودة من بين الدول الخمس والعشرين الاكثر فقراً في العالم لذلك فإن المسلمين فيها يطلبون المنح الدراسية لابنائهم والمساعدة على بناء المساجد في مدنهم وقراهم وهذه الجمعية الإسلامية معترف بها من الحكومة ونستطيع أن نتكلم باسم المسلمين على نطاق رسمي.

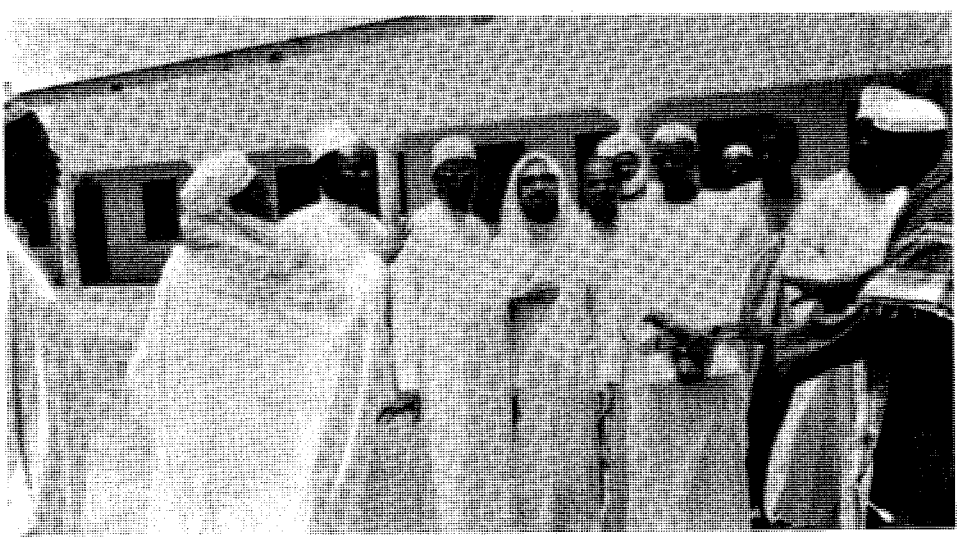

مع أعضاء الجمعية الإسلامية الرئيسية في واغادوغو

ثم انتقلنا معهم لمشاهدة مكتب الجمعية الواقع بجانب المسجد الجامع وهو مؤلف من غرفتين صغيرتين مظلمتين على حالة سيئة في البناء، خاليتين من الأثاث إلا من مكتب عليه آلة كاتبة وهما من الضيق بحيث لاتتسعان لاكثر من عشرة اشخاص إن وجدوا فيها مقاعد والا فهي خالية من ذلك.

والواقع أن هذا ليس لائقا بأن يكون مكتباً لجمعية إسلامية صغيرة فضلاً عن الجمعية الإسلامية الرئيسية ولكنهم قالوا إنهم لم يستطيعوا الحصول على مبنى أحسن منه بل قالوا إنهم جهدوا حتى استطاعوا بناء هاتين الغرفتين على ارض ملحقة بأرض الجامع. وتنبغي مساعدتهم على بناء مقر مناسب لهم بل مركز جيد يفي بحاجات الجمعية من مكاتب وخزائن كتب (مكتبة) وقاعة للمحاضرات.

وقد أخبرونا أنهم حصلوا على أرض يريدون إقامة ذلك المركز عليها إذا تيسرت لهم المعونة عليه فطلبنا منهم الاطلاع عليها لنسعى في مساعدتهم على ذلك فيما بعد.

في المدرسة الإسلامية :

انطلقنا من مكتب الجمعية ذي المظهر المحزن لكونه يدل على ضعف إمكانات الجمعية المادية وقلة ذات اليد عندها قاصدين المدرسة الإسلامية التي يسمونها المدرسة المركزية في مكان بعيد نوعاً ما عن الجامع وكان يرافقنا في السيارة الأخ الشيخ أحمد جالو مدير المدرسة والمشرف على شئون التعليم في الجمعية فرأيناها حسنة المظهر بناؤها بالاسمنت المسلح بنتها الجزائر وسلمتها للجمعية وتشتمل على خمس عشرة غرفة منها اثنا عشر فصلاً دراسياً تضم سبعمائة طالب كما أخبرونا بذلك والا فالدراسة الآن متوقفة من أجل العطلة الصيفية وقالوا إنها سوف تستأنف بعد خمسة أيام.

وفي المدرسة عشرون مدرساً منهم ثلاثة من المصريين واربعة من الليبيين والبقية من المواطنين من هذه البلاد، وتقوم الجمعية بالإنفاق على المدرسة الا أنها تتسلم مساعدة على رواتب بعض المدرسين وتأخذ من الطلاب رسما رمزياً في الشهر هو سبعة الآف فرنك ويساوي سبعين ريالاً سعودياً.

والدراسة فيها بالعربية كما يدرسون الفرنسية وبعض المواد المدنية بها وأخبرونا أن لديهم مدرسة أخرى بنتها لهم الحكومة الليبية من الاسمنت المسلح أيضاً كما أنهم يحتاجون إلى المساعدة على بناء ستة فصول لمدرسة إعدادية تكلفت اثنى عشر مليون فرنك إفريقي أي مائة وعشرين الف ريال سعودي.

جمعية العلماء :

بعـد مشاهدة المدرسة والتقاط بعض الصور التذكارية فيها طلبوا منا التوجه إلى غرفة الاجتماع في المدرسة فاذا بطائفة كبيرة من الإخوة يبلغ عددهم حوالي الخمسين اخبرونا بأنهم اعضاء في جمعية سموها جمعية العلماء ويريدون بهم ائمة المساجد والوعاظ منهم الحاج (ابو محمد ميغا) وهو يتكلم بالعربية كما يتكلم بها اغلب الموجودين إن لم يكونوا كلهم وإن كانوا غير سريعى الفهم للكلام ولاينطلقون في الحديث بها لأنهم تعلموها في هذه البلاد ولم يتمرنوا على التحدث بها أو الاستماع إلى المحادثات السريعة فيها .

وقد القيت فيهم كلمة مختصرة أكدت فيها وحدة العمل فيما بيننا وبينهم ورجوت لهم فيها المزيد من التوفيق وجمعيتهم داخلة في الجمعية الإسلامية الرئيسية ومنضمون تحت لوائها العام .

جمعية أنصار السنة :

وهـذه الجمعية المعروفة جيداً لدى العاملين في الحقل الإسلامي الخارجي في المملكة العربية السعودية هي الآن على اتفاق أيضاً مع الجمعية الإسلامية الرئيسية بعد أن كان قد نشب نزاع بينها وبين بعض الجمعيات والطوائف ذات الاتجاه الصوفي غير النقي ورئيسها الرائد سليمان ودراغو مدير مطار العاصمة معروف لدينا أيضاً منذ مدة بالعمل لتنقية العقيدة الإسلامية في هذه البلاد من الشوائب والبدع توجهنا إلى مقر الجمعية الذي يقع بجانب مسجدها فوجدنا بناءه رثاً مكونا من اعمدة من خشب غير قوي وغير جميل وجدرانه من الطين الذي وقف عند ارتفاع يقارب المتر والنصف أما سقفه فاكثره من الصفيح ومؤخرته من الحصر . .

وجدنا المسجد معموراً بالناس رغم كون الوقت ضحى وليس بوقت صلاة مفروضة وكان منهم انـاس من أهل البلاد ومنهم حلقة لجماعة التبليغ قادمة من فرنسا لزيارة هذه البلاد ويسكن افرادها في هذا المسجد وقد جئناهم وهم متحلقون في درس للمذاكرة يلقيها عليهم أخ مغربي يعيش في فرنسا اسمه (رئيف أبو عزة) .

وصادفنا فيه أيضاً الأخ هشام طبارة وقد جاء من فرنسا للتبليغ أيضاً فشربنا شرابا بارداً من عصير البرتقال المعلب في هذه البلاد وللشراب البارد فيها وبخاصة في وقت القائلة معنى خاص نظراً لشدة الحر، وكان ذلك في غرفة من عدة غرف صغيرة ملحقة بالمسجد وقد وضع فيها إخواننا أهل التبليغ القادمون من فرنسا أشياءهم بدلاً من أن يضعوها في المسجد وإن كانوا هم يجلسون وينامون فيه، فهذا هو رأي هؤلاء الجماعة ولو كانوا من الأغنياء أن يناموا

في المسجد في البلد الذي يحلونه ويشتركوا في الطعام ويتعاونوا في أمورهم فقيرهم مع غنيهم وقادرهم على العمل مع عاجزهم.

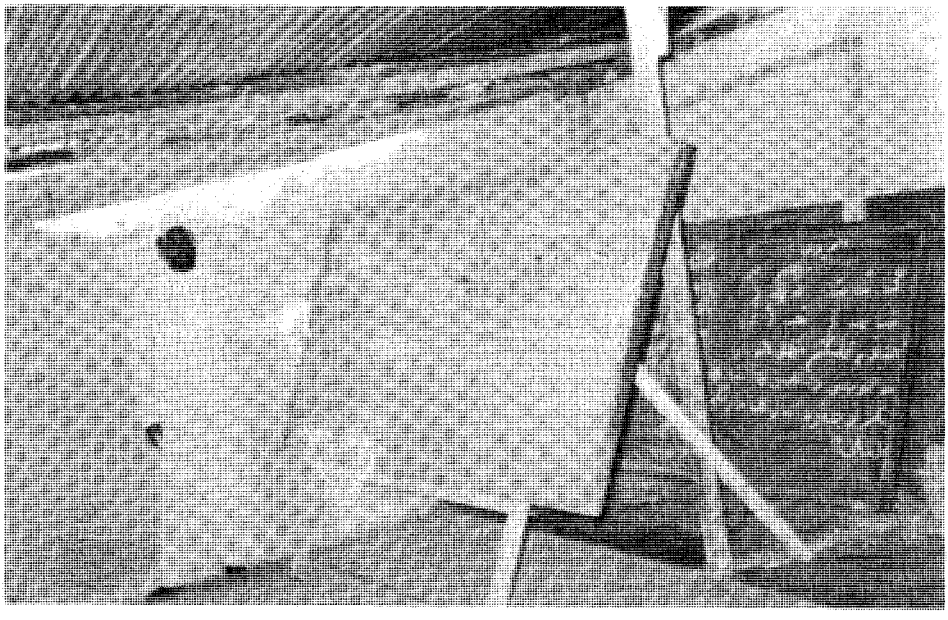

سبورة بالعربية في مسجد أنصار السنة في واغادوغو

والمسجد على سعته يمتلىء بالمصلين في أوقات الصلاة في الأيام المعتادة. أما في صلاة الجمعة فإن الناس يصلون خارجه أيضاً. ولذلك تعتزم الجمعية بناء مسجد آخر أوسع وعلى طراز قوي حديث على أرض يملكونها قد أعدوها لهذا الغرض.

وقد ذهبنا بصحبة الأخ الرائد سليمان ودراغو رئيس الجمعية لمشاهدة تلك الأرض فمررنا في الطريق بمسجد ذي مئذنة مربعة ظاهرة قال لي الأخ سليمان إنه لافراد من قبيلة اليوربا جمعوا الأموال اللازمة لبنائه من التبرعات ثم شيدوه بهذه الصفة.

وشاهدنا الأرض المعدة لبناء مسجد انصار السنة فوجدناها مسورة بالطين مجاورة لبيوت كلها مبنية من الطين الرث غير الجيد وبجانبها كومة من الطين الأحمر معدة لاستعمالها في البناء مجلوبة من مكان آخر ذكرني منظرها بما كنا نفعله في بلادنا من جلب الطين وتكويمه بالقرب من الأرض المعدة للبناء.

وليست الأرض واسعة بل لاتزيد على خمسمائة واربعين متراً مربعاً ولذلك نصحنا الأخ سليمان بالبحث عن غيرها ونقل قيمتها إليها مع إضافة مايتيسر جمعه في شراء أرض تكون أوسع من هذه وأوفى بحاجات الجمعية في المستقبل لأنهم بعد ذلك وعلى ضوء التوسع في الأعمال وزيادة الأعضاء المنتفعين من مرافق الجمعية والمصلين في المسجد سيجدون أن هذه الأرض صغيرة عن أن تتسع لكل ذلك وقد يضطرون عند ذلك لشراء مايجاورها بأثمان باهظة ربما لايكون في استطاعتهم أن يحصلوا عليها.

ومن المناظر النادرة في هذه البلاد أننا وجدنا امرأة حارس في الأرض أو هو ساكن فيها فلما أردنا الدخول إليها لانها مسورة كما ذكرت اسرعت المرأة تحول وجهها عن جهتنا ثم تستدير إلى جهة أخرى ثم غطت وجهها كله واقبلت تكلمنا على استحياء.

وهذا شيء نادر إذْ الحجاب لايكاد يوجد حتى بين المسلمين المتدينين فكيف بغيرهم.

ولكن هذه المرأة وزوجها من أنصار السنة ووجودها هنا على هذه الصفة مما يصح أن يقال فيه إن (في الزوايا خبايا).

ولما سألنا الأخ سليمان عن المبلغ الذي جمعوه لمشروع البناء على الأرض اجاب أنه بلغ حتى الأن اربعة ملايين فرنك ويساوي هذا اربعين الف ريال سعودي.

وعند العودة مررنا بمسجد آخر لقبيلة اليوربا أردنا دخوله ولكن كان مغلقا ويتميز بمنارة له مربعة غير عالية.

وبهذه المناسبة قال مرافقونا: إنه حتى عام ١٩٥٣م لم يكن يوجد في العاصمة (واغادوغو) الا مسجد واحد صغير لاتقام فيه الجمعة أما الآن فإن عدد المساجد فيها يبلغ مابين ثلثمائة إلى ثلثمائة وخمسين مسجداً شكوا في هذا الأمر لأنه لم يكن لديهم إحصاء مضبوط لعدد المساجد.

ثم عدنا إلى الفندق في جو حار قلت للأخ الشيخ الدكوري: إنه ربما ينذر بالمطر فلما كان الليل وسقط المطر قال ممازحاً كيف عرفت ذلك؟ فقلت مطايبا: إنه سر المهنة.

في حضرة الامبراطور.

فوجئت هنا بوجود الامبراطور المسلم كما كنت قد فوجئت في مدغشقر بلاد الجمهورية الشعبية الاشتراكية كما يزعمون بوجود الملكة المسلمة ملكة تيمور وقد قصصت قصتها وذكرت شيئاً عن مكانتها في كتاب (مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين) مما كان موضع استغراب كثير من القراء الكرام.

وهنـا عندما قال لي رئيس ديوان المراسم بوزارة الخارجية إن البرنامج قد تضمن زيارة الامبراطور عرفت أنه جد لاهزل فكيف مبلغه من ذلك؟

قال لي الشيخ الدكوري زميلي في المهمة ورفيقي في السفر: إن الأمر جد كله. وأن لقب الامبراطور تعترف به الدولة رسمياً وتكتبه في جواز السفر لذلك الرجل امام اسمه الرسمي وليس هو لقبا أجوف بمعنى أنه ليس له ظل من الحقيقة إطلاقا وإن كان ليس له المعنى الكامل لهذه الكلمة الرنانة التي ذهب عهدها الذهبي وحدها القاطع بذهاب الامبراطور الحقيقي هيلا سلاسي امبراطور الحبشة وذهب عصرها الزائف بذهاب الامبراطور بوكاسا امبراطور جمهورية وسط إفريقية المسكينة فهذا الامبراطور هو سليل الاباطرة أو على الأدق الملوك الذين تعاقبوا على حكم قبيلة (موشي) أكبر القبائل الإفريقية في (فولتا العليا).

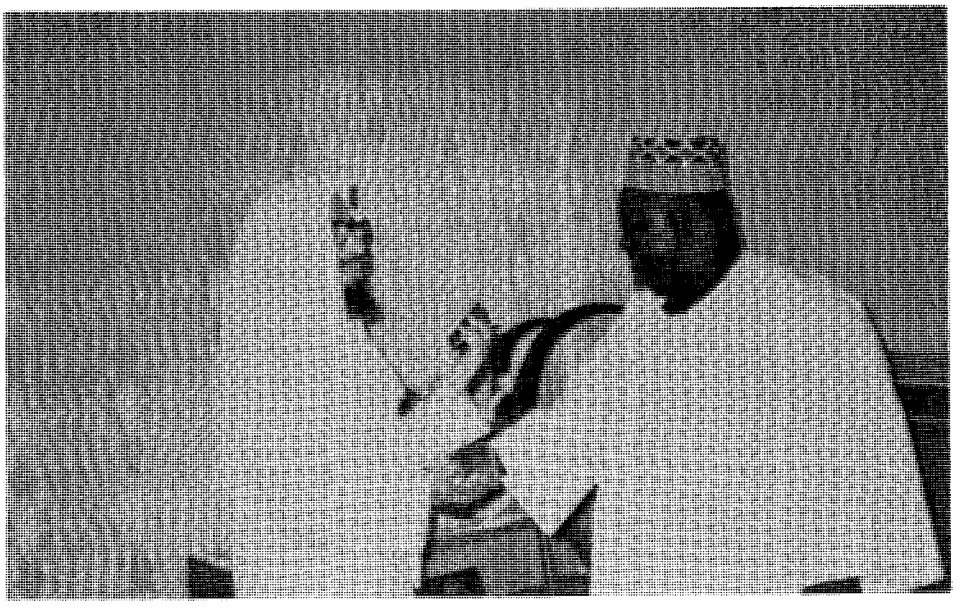

الامبراطور يستقبل المؤلف في قصره

وكـان نفـوذهم في السـابق حقيقيا غير أنه من واقع تعظيم القبيلة المذكورة لرؤسائهم ومحـافـظة على تقـاليدهم المـوروثة العريقة تمسكوا بمظهر الملكية هذا فأبقوا على منصب امبراطور القبيلة يدفعون إليه الأعطيات ويمنحون ممثليه الإعانات وفي عهد استعمار فرنسا للبلاد كان له نفوذ داخلي أكبر في الشئون الداخلية للقبيلة وبعد الاستقلال وقيام جمهورية

فولتا العليا المؤلفة من قبائل أخرى مع قبيلة موشي الكبيرة ومن عناصر متحضرة من مالي والنيجر لم يلغوا النظام الملكي لهذه القبيلة لأنها هي التي تريد المحافظة عليه، ولكن الامبراطور عرف قدره وفهم وضعه في هذا النظام الجمهوري فأصبح يمارس السلطة الداخلية، ويحرص على الانضباط والنظام في ظل الأمن الوطني العام، فكان الانسجام الذي أبقى له مابقى من المقام. وحافظ على ارادة هذه القبيلة الكبيرة في بقاء هذا الامبراطور الذي تعتبره رمزاً لوحدتها، ومظهراً من مظاهر تماسكها ومحافظتها على كيانها القبلي القديم.

وطبيعي أن ذهابنا إليه ليس لمجرد كونه امبراطوراً ولا للفرجة على مظهر غريب من مظاهر الابقاء على تقليد قديم ولكن لكونه أخاً لنا مسلما يعمل للإسلام وقد دخل في الإسلام عدد من افراد القبيلة على يديه، لذلك رأينا زيارته وتشجيعه على مواصلة العمل للإسلام إضافة إلى أن المراسم الحكومية هي التي وضعت زيارته في البرنامج قبل أن نطلب ذلك منها.

قصر الامبراطور :

كان موعد الزيارة في الساعة الخامسة والنصف وفي الخامسة عصراً حضر الينا في الفندق الأخ الحاج (طاهر كنقو) مندوبا عن الامبراطور والأخ طاهر يتكلم العربية ويسمي الامبراطور الملك ربما لأنه ظن أن كلمة الامبراطور غريبة عن العربية لعدم تبحره فيها، وهو شيخ وقور ذو لحية ظاهرة وعارضين أبيضين وأصحاب اللحى في إفريقية قليل.

وقال لي المرافق الأخ اسحاق سليمان إنه أحد رجال الامبراطور المقربين وقال لي الأخ الدكوري بعد ذلك: إنه ممن يسمون في مظهر الامبراطور الوزراء وهذا لقب مظهري من الناحية الاصطلاحية الإدارية ولكنه حقيقي من الناحية اللغوية فقط فالوزير من آزر يؤازر بمعنى ساعد وناصر وهم وزراؤه ومعاضدوه بل ناصروه في واقع الأمر.

ويرتدي الأخ الحاج (طاهر كنقو) قميصا طويلا كالذي نلبسه نحن السعوديين ويضع على رأسه عمامة من (غترة) حمراء سعودية مما لفت نظري فسألته عن المكان الذي تعلم فيه العربية؟ لأنني ظننت أنه قد حصل على هذه العمامة من المملكة أثناء وجوده فيها حاجاً أو معتمراً فأجاب: إنه في فولتا في أول الأمر ثم في مكة المكرمة ثانياً.

كما يضع على كتفه شالاً صوفياً إضافيا رغم الحر الذي لايطيق الانسان فيه أن يضع أي شيء على رأسه إلا أنه تقليدي مثل الذين يضعه اليمنيون المتمسكون بالزي الوطني القديم يضعونه على اكتافهم أو يلفونه حول صدورهم.

داخل قصر الامبراطور :

كنا قد وصلنا قصر الامبراطور وهو قصر فخم بالنسبة إلى المساكن في هذه البلاد يقع وسط ساحات داخلية واسعة جداً دخلنا مع أحد بواباتها الواسعة كأنما ندخل حرم إحدى الجامعات الغنية، وقد كان عند البوابة خدام فتح أحدهم مصراعا من مصراعي الباب دخلنا منه بسيارتنا ورأينا اكثر ما في القصر ينطق بالذوق والقدرة على الانفاق بدون إسراف من ذلك عدة سيارات جيدة وذكرت بذلك بيت ملكة تيمور القبيلة العربية في مدغشقر وكيف أنه ينطق لسان حاله بضيق ذات اليد وبالمحافظة على القديم بل العريق في القدم.

كان أول شخص استقبلنا عند باب القصر الداخلي ابن الامبراطور واسمه محمد وهو شاب يدل مظهره على الثراء والذكاء وإن كنا رأينا قبل ذلك طائفة من الناس لم يكلمونا ولم نكلمهم اذ أن في صحبتنا المندوب (الخاص) الحاج طاهر.

صعدنا مع درج نظيف مفروش ببلاط ملون جميل شبيه (بالسراميك) إلى الطابق الثاني حيث جلسنا في غرفة لطيفة بل كل مافيها ينطق بالذوق الرفيع.

بعد أن اطمأن بنا المجلس دخل علينا الامبراطور الأخ (موروناني كوغري) محييا باخلاص باشا برزانة مظهره يدل على الرزانة والوقار فهو ضخم الجسد من دون ترهل. تكلم بفرنسية فصيحة كما اخبرني بذلك عنه الشيخ السفير الدكوري الذي كان يترجم كلامه إلى العربية وعرفت بعد ذلك من تصرفاته ومن حديثه ومن عقليته المتزنة أنه شخص متعلم وكان يشغل منصب ضابط في الجيش الفرنسي قبل ذلك.

ولونه مثل لون باقي قبيلة (موشي) السواد الشديد إلا أنه السواد اللدن أو قل الغض الذي ليس عليه غبار التقشف ولاصدأ البادية، ولا ينم على أي شيء يدل على شعوره بالعنصرية والتميز كأن يظهر الخجل من مقامه أو أن يظهر التعالي على من يخالفونه في اللون ولو كان ذلك في البياض فقد عهدنا من بعض الإفريقيين في أول عهدهم بالاستقلال أنه كان قد تولد عندهم رد فعل على اضطهاد المستعمرين البيض لهم إبان الاستعمار تمثل في احتقار البيض في بلادهم وازدرائهم أو على الأقل الرد عليهم بمثل فعلهم على حد قول المثل (الجزاء من جنس العمل).

وكان كلما تكلم عظم في عيني وكلما سمعت من أفكاره ظهر لي أكثر أنه متعلم متزن.

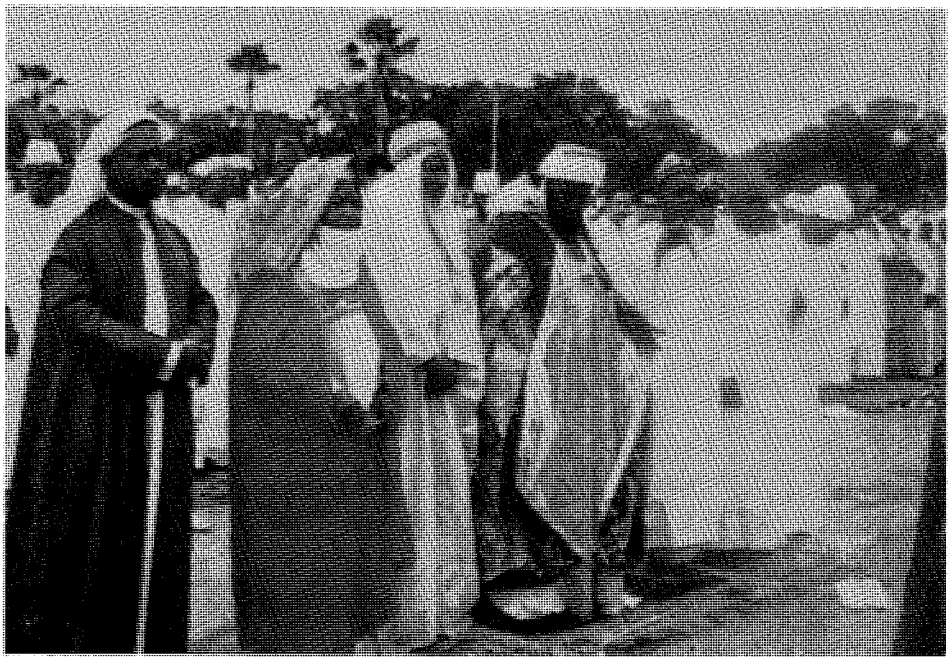

الامبراطور مع حاشيته وقد أخذوا زينتهم يوم العيد

قال : نحن أول من ادخلوا الإسلام إلى هذه البلاد إن اجدادنا الإباطرة الذين يحكمون قبيلة (موشي) نعرف منهم تسعة وثلاثين قبلي منهم أحد عشر امبراطوراً قبلي من المسلمين وقال: إن أول من اسلم من هؤلاء هو الامبراطور (رولوقو) أسلم على يد ضيف من قبيلة (يارسو) جاء من (مالي) وكان ذاهبا إلى الحج فمر بهذه البلاد واستضافه الامبراطور فأعجبه أول ما اعجبه منه لباسه الأبيض شديد البياض النظيف غاية النظافة فدعاه إلى الإسلام فأسلم الامبراطور وطلبه أن يقيم عنده يعلمه وأهله الإسلام وبنى له داراً وزوجه حتى يبقى عنده.

ثم رفع الامبراطور موروناني رأسه إلى أحد أعوانه وأشار إليه بشيء وظل يحدثنا برزانة وهو يقول: إن لدينا مصحفا مخطوطاً تحتفظ به أسرتنا كابراً عن كابر ربما كان من عهد ذلك الامبراطور فهو قديم ولانعرف تاريخه ولكننا نعتقد أن وجوده عندنا لاتقل مدته عن ثلثمائة سنة.

ثم احضره الرجل فصار الامبراطور يخرجه من غلاف من الجلد النظيف كان فوق غلاف

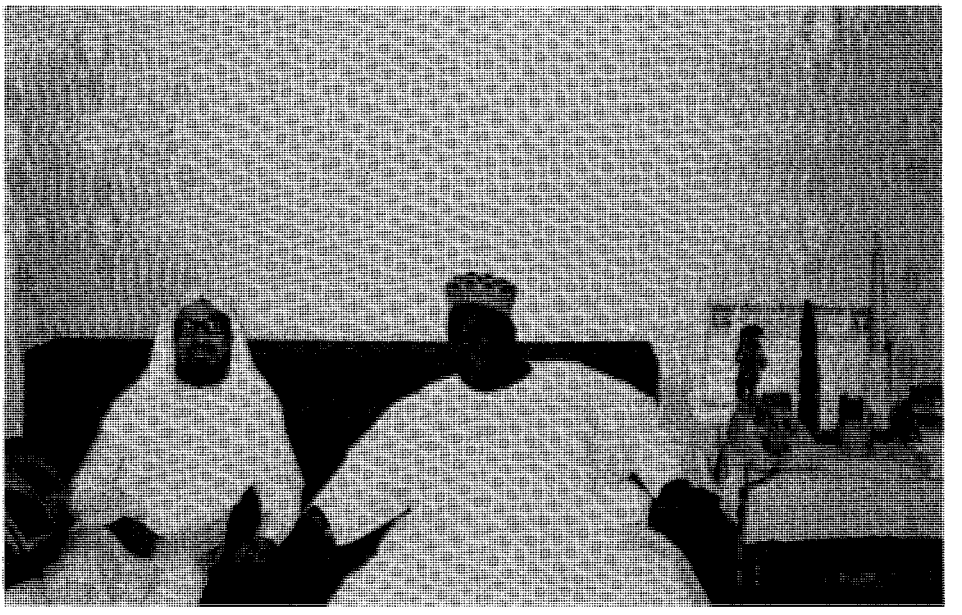

مع الامبراطور مورانابي ملك قبيلة موشي في قصره في واغادوغو

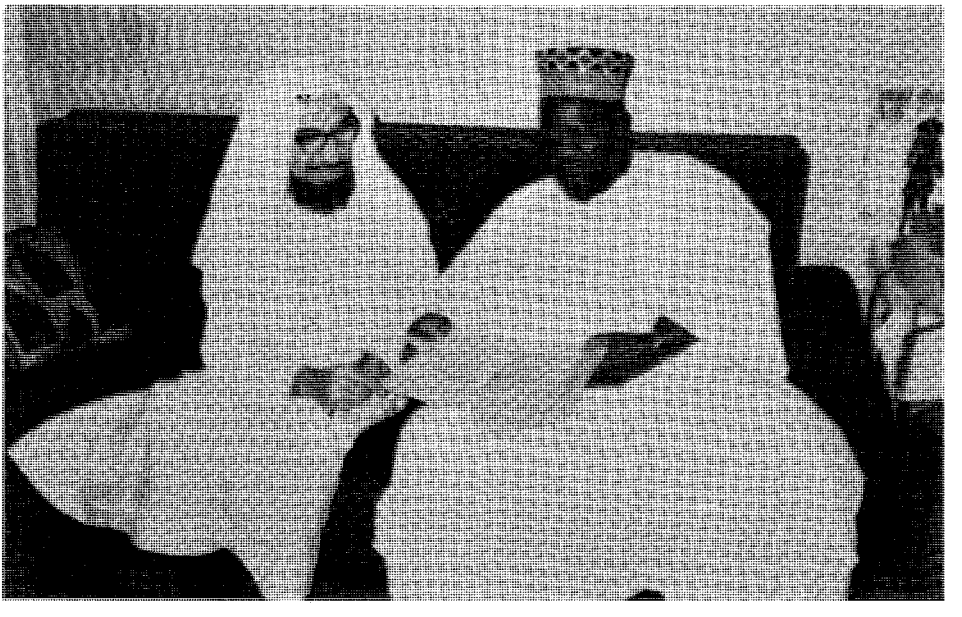

الامبراطور يري المؤلف المصحف القديم المحفوظ لديهم

جلدي آخر. ثم ابرز المصحف الشريف فقلبته ابحث عن تاريخه فلم أجد فيه تاريخا ولكن مظهر ورقه وكتابته يدل على القدم المتوسط إن صح التعبير فمن واقع معرفتي بالمخطوطات العربية وحسبما عرفته من مكتبة المخطوطات في مكتبتي الخاصة أنه من مخطوطات القرن العاشر الهجري وهو بخط مغربي جيد وقد بقي على حالة جيدة من الصيانة لم تؤثر فيه السنوات لأنه كان بلاشك محفوظاً داخل هذه الأغلفة من الجلد وهو نفسه مجلد بجلد جيد وان كانت كراساته غير متماسكة من الأسفل.

وقد قال الأخ الامبراطور في كلمته : إنه مسرور بهذه الزيارة لأنه كان يرى دائماً أنه ينبغي الاكثار من الزيارات والاتصالات بين المسلمين لأن هذه أهم وسيلة للتعارف ومن ثم التعاون على مافيه المصلحة الإسلامية العامة وكان يشعر دائماً بالحاجة إلى مثل هذه الاتصالات.

كان يتكلم وكنت أتأمل المجلس فأجد في ركن منه جلد أسد مفروشاً على الأرض قد بقي فيه رأس الأسد كاملاً محنطاً فاغراً فاه. وفوق سقف المجلس صورة أسد مرسومة بالجبس بلون أسود وفوق مائدة في ركن منها رأسا أسدين بيض مما يعطي انطباعا أنه كانت للأسد منزلة خاصة عند الأمبراطور إن لم يكن عند زعماء القبيلة وهذا أمر مفهوم لاسيما اذا تذكرنا أن الأسد هو رمز الفتك عند كثير من الشعوب حتى إنه يوجد له مئات الأسماء باللغة العربية وحتى ألف بعض اللغويين ومنهم الفيروز ابادي كتبا في اسماء الأسد باللغة العربية خاصة.

ولاحظت أن بعض الذين دخلوا من المواطنين وعددهم قليل كانوا يحيونه وقد وضعوا ركبهم على الأرض تعظيماً له كما أنهم يجلسون على الأرض تاركين الكراسي الخالية حتى مبعوث الافتاء الذي تخرج من المدينة المنورة إلا ماكان من أمر الأخ الرائد سليمان ودراقو مدير المطار ورئيس انصار السنة فإنه سلم سلاماً معتاداً ليس فيه شيء من الخضوع وجلس على الكرسي معنا مثله مثلنا ومثل الامبراطور وعرفت السبب في ذلك منه وهو أنه ينتمي إلى نفس الاسرة التي ينتمي إليها الامبراطور كما أنه من أنصار السنة الذين لايقبلون مثل هذه الأشياء كما قيل لنا.

وواصلنا الاستماع إلى حديث الأخ الامبراطور وهو يقول إن رعاياه من قبيلة موشي كانوا يؤلفون قبل الاستقلال ٤٨٪ من عدد السكان وأنهم الآن اصبحوا يكونون ٥٥٪ منهم.

وقال إن لديه صور الاتفاقات التي كان اجداده قد عقدوها مع فرنسا وفيها الاعتراف بسلطتهم وقد قدم الامبراطور (مورونابي كوغري) الينا اثناء الجلسة الفول السوداني المقلي وكرات من الدقيق المحلى المغلي بالزيت وطائفة من الأشربة الغازية المعتادة.

وسألته عما يعرفونه عن أصل قبيلة موشي فقال: في التاريخ المتوارث عندنا أن أصلها من الحبشة ذهبت منها إلى كينيا ثم غانا قبل أن تحل في الأرض المعروفة في فولتا الآن فسألته عما إذا كان يعرف الطريقة التي قطعت بها المسافة من كينيا إلى غانا وعن اعتقاده عن كيفية ذلك فأجاب أنه لايعرف ذلك.

الامبراطور داخل سيارته الرسمية التي عليها العلم

وقد ودعناه شاكرين بعد أن التقطنا معه صوراً تذكارية وانا في غاية السرور من اكتشاف أشياء على هذا القدر من الغرابة والأهمية بالنسبة إلى الأخوة المسلمين في هذه البلاد.

ثم ذهبنا مع الأخ (طاهر كنقو) إلى خارج سور القصر لرؤية بقايا المسجد الطيني القديم الذي كان قد تهدم ويسعى الامبراطور إلى إعادة بنائه ولكنه لم يفاتحنا بشأنه. كما أنه لم يفاتحنا بأي طلب للمساعدة ربما كان ذلك ترفعاً منه ولكن السفير الدكوري اخبرني أنه كان قد رفع التماساً إلى جلالة الملك خالد بهذا الأمر، وقد بقي من هذا المسجد القديم بعض حيطانه تذكرني بمشاهد بعض الابنية الطينية القديمة التي غابت عن عيوننا الآن بعد أن انحسر استعمال البناء بالطين.

كان الأخ (طاهر كنقو) يحدثني ونحن نمشي عن سبب سهولة الكلام عليه بالعربية وهو أنه منذ سبع وعشرين سنة ذهب إلى الحج ماشيا على رجليه فاقام في السودان ستة أشهر ثم أقام في مكة سنتين وذكر أنه احتاج هناك في بعض الأوقات إلى أن يحمل الماء على كتفيه وينادي عليه (مويه مويه) ليتمكن من العيش أما الآن فإنه بخير وله زوجات وتسعة أولاد.

مجرد تكروني :

هذا الأخ المسلم الوجيه الذي ترك سائر أمواله وبلاده ومكانته فيها من أجل أن يؤدي فريضة الحج ويجاور فترة في حرم الله الآمن رغم المشقات والصعاب المادية والمعنوية التي واجهته حتى إنه اضطر من أجل أن يكسب قوته إلى أن يحمل الماء على كتفيه ينقله من أماكن تجمعه إلى داخل بيوت مكة المكرمة في وقت لم تكن فيه انابيب المياه دخلت إلى بيوت مكة.

هذا الرجل ربما لايزيد في نظر كثير من الناس الذين لايقدرون الأمور حق قدرها ولاينظرون إلا لظواهرها على مجرد (تكروني) من الآف التكارنة الذين يرونهم يمتهنون المهن الشاقة ويقنعون بالقليل من الأجر من أجل أن يتمكنوا من البقاء في البلد الحرام فترة من الوقت.

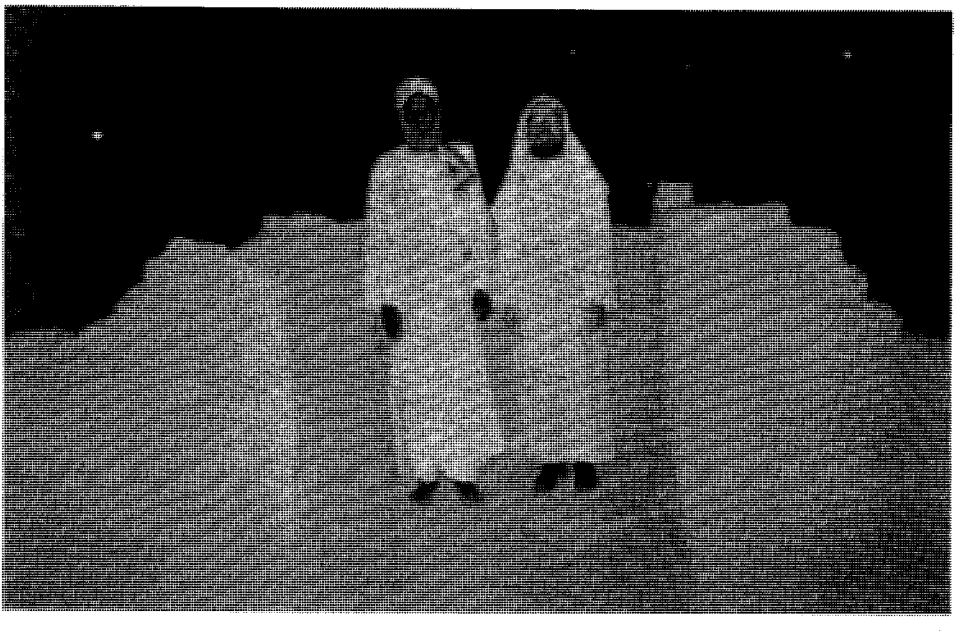

مع الشيخ طاهر كنقو في داخل محراب المسجد المتهدم بجانب قصر الامبراطور في واغادوغو

وقد يحتقرهم أو يحتقر بعضهم بعض الناس وهم لو تأملوا في حالهم لعلموا أنهم لايقلون عنهم محبة للخير، وصبراً على تحصيله ومثله كثير من إخواننا المسلمين الأفارقة الذين كانوا موجودين في بلادنا قبل التطور الاقتصادي الاخير عندنا فكانوا يقنعون باليسير من العيش ابتغاء الأجر الكبير من الله سبحانه وتعالى.

عشاء فولتاوي :

كان عشاء الليلة لدى الشيخ ابريما (إبراهيم) حمادي جالو مدير الادارة العربية في وزارة خارجية فولتا وهو أحد تلاميذنا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة إذ درس وتخرج في الجامعة أثناء عملي فيها، وهو إلى ذلك أحد تلاميذ الشيخ عبدالوهاب الدكوري وكان هو سبب الحاقه بالجامعة عندما كان الشيخ الدكوري سفيراً لجمهورية مالي في جدة ـ وهو من قبيلة كبيرة مشهورة من الفلانيين يقال لهم: (جالو) وهم منتشرون مثل بقية الفلانيين في منطقة السودان الغربي التي تشمل مالي والنيجر واكثر السنغال وأجزاء من عدة بلدان مجاورة لمالي الحالية.

ذهبنا إلى منزل الشيخ إبريما، وهي النطق المحلي لاسم ابراهيم في حي (داكوبي) في الساعة الثامنة ليلاً وكان الجو غائماً والبرق متصلا يبدد سناه سواد هذه الليلة من ليالي إفريقية الخضراء.

فلما دخلنا إلى البيت وجدنا الشيخ ابراهيم قد أعدَّ مجلساً في فناء مكشوف قد فرش بالسجاد العربي وبالارائك العربية إلا أننا لم نكد نهم بالجلوس حتى انهمرت السماء بالمطر مدراراً كأفواه القرب فسارعنا إلى الدخول في غرفة الجلوس من بيته المبني بالاسمنت المملوك له وقد أظهروا فرحهم بهذا المطر الغزير لأنهم في آخر موسم الأمطار والمطر في آحر الموسم ذو نفع كبير لهم وإن كان موسم المطر هذا العام لابأس به من حيث كفايته مزارعهم ومواشيهم فهم يقولون إن موسم المطر ينتهي في آخر سبتمبر ويمتد الفصل الجاف مع قليل من المطر حتى نهاية مايو وحضر العشاء الحاج (سينالي جيو) وسينالي هي اللفظ المحلي لجملة (سيدنا علي) وقد أصبحت منذ عهد طويل اسماً من الأسماء في السودان الغربي وهو سفير سابق لفولتا العليا في جدة إلا أنه لايعرف العربية.

كما حضر الشيخ أحمد جالو مدير المدارس العربية التابعة للجمعية الإسلامية وكان قد أكمل تعليمه في مصر. وهو صهر الشيخ ابراهيم جالو والد زوجته كما دخلت بنية له صغيرة في السابعة من عمرها تعرف مقداراً لابأس به من العربية ثم مرت زوجته فحيت والدها والضيوف بالعربية دون أن تجلس فهي تعرف العربية أيضاً مثل أبيها وزوجها.

وهكذا كانت اللغة العربية هي أداة الحديث في هذه الجلسة الممتعة المفيدة لي لأنها تناولت جوانب مختلفة من شئون هذه البلاد لولا أن جليسنا السفير (سيدنا علي) لايشاركنا فهم العربية فكنا نقطع حديثنا لنتكلم معه لئلا ندخل تحت النهي الوارد في الحديث ومعناه:

لايسار احدكم صاحبه الحديث ومعهما ثالث فإن ذلك يحزنه والتحدث بين اثنين بلغة لايفهما الثالث هو نوع من المسارة دون شك وكان مما قاله الأخ (سينالي) حول انتشار الإسلام في فولتا العليا في الوقت الحاضر: إنه قبل عشرين سنة كان ناقوس الكنائس هو الذي يوقظ الناس. أما اليوم فإنه الأذان ثم أضاف قوله إن تقدم الإسلام لايمكن دفعه. فتلونا عندئذ قوله تعالى: **﴿يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾**.

لم يكن الكلام عربيا فقط بل كان الطعام كذلك مطهياً على طريقة غير بعيدة عن الطريقة العربية، وكان كثيراً كثرة الطعام في البيوت العربية كما كان كل شيء في البيت وعلى المائدة ينطق بالذوق ويتسم بالنظافة.

يوم الجمعة ٧/ ١٢/ ١٤٠٢هـ

في السوق الطويل :

اسمه (جور ووكي) كما قال الأخ (اسحاق سليمان كاكاندي) وقال: معناه السوق الطويل الذي يفتح في كل يوم وهو سوق شعبي كبير يقع في مقابلة فندق ميكاييل الذي نسكن فيه وكنت أراه من نافذة الفندق مزدحماً بالناس طول أيام الاسبوع كما ذكر الأخ سليمان فأعجب أكثر ما أعجب له من اعداد كبيرة من الدراجات المعروضة للبيع مما يلي الشارع العام ويبلغ عددها الألآف دون مبالغة منها ماهو جديد وماهو مستعمل ولكل سوق نافقة بسبب إقبال القوم على شراء الدراجات أكثر من غيرهم واغلبها ذات لون ازرق.

ذهبت إلى هذا السوق الكبير مع المرافق اسحاق سليمان فكان من اوسع الأسواق الإفريقية التي رأيتها حاشا الأسواق في مدن نيجيريا التي منها سوق في لاجوس يبلغ طوله ثلاثة كيلو مترات فالإفريقيون قوم يحبون الشراء من البضائع المعروضة على الأرض أو على العربات خارج الحوانيت لأنها ارخص من البضائع المعروضة في الحوانيت، ولأنها اصلية في بلادهم على خلاف عرض البضائع في الحوانيت الكبيرة فذلك أمر محدث غريب على ما ألفوه من عادات.

أول ماشاهدناه في السوق بضائع أكثرها مستورد من احذية اللدائن والأقمشة وحتى الكتب الصغيرة وقد لاحظت أن طائفة من الباعة في الحوانيت التي هي من الأخشاب ولكنها نظيفة مرتبة قد وضعوا على رؤوسهم القلانس (الطاقيات) ويرتدون القمصان الطويلة الشبيهة بالقمصان العربية، وهذا يعني أنهم من المسلمين حسب الأعراف هنا فقلت للأخ اسحاق: أرى عدد المسلمين في هذا السوق كبيراً، وقد عرفت هذا من كثرة واضعي الطواقي على رؤسهم، قلت هذا بطريقة فهم منها انني كمن يشعر بأنه قد أكتشف شيئاً فضحك وقال: لم تعد الطاقية شعاراً للمسلمين هنا لأنهم كثرة ثم أخذ يسلم على اناس كثيرين في السوق ليس على رؤسهم طاقيات ولايلبسون القمصان فأجدهم من المسلمين.

وقال أحد المسلمين واسمه اسحاق كابوري من هؤلاء إن المسلمين في السوق أكثر من النصف ويتضح ذلك من حالة السوق في يوم العيد اذْ تكون أغلب محلاته مغلقة لأن المسلمين يذهبون للصلاة وقال إن هذا السوق أنشيء بعد الاستقلال وفي قسم منه سوق مسقوف نظيف قليل النظير في أسواق إفريقية الخضراء.

ومن المناظر الطريفة فيه التي هي مناظر افريقية خالصة منظر صف طويل من البائعات الإفريقيات أمامهن أواني (الدويف) من الفول السوداني وهن يبعنه على الناس في اوان يحضرونها أو في أكياس من اللدائن الرقيقة ويستعمل ادما للأرز، وكومات صغيرة من الفلفل الأحمر والاخضر الصغيرة الشديد الحرارة وهو لازم لأكثر الوجبات الإفريقية التي تتألف في معظمها من نوع واحد من العصيدة أو نحوها لأنه يساعد على افرازات المعدة ومن ثم على تفتيت الطعام المتماسك وسهولة هضمه وموز اخضر عملاق في طوله وضخامته وهو يستعمل هنا للطبخ لا للأكل، وثمار زيت النخيل التي تشبه البسر إلا أنها صلبة تحتاج إلى طبخ أو حرق بالنار، ويام وهو عروق ضخمة اغلظ من البطاطس ولكنها مستطيلة كبيرة خشنة وهو أحد الاغذية الرئيسية للطبقات الفقيرة في افريقية وثمار من ثمار النارجيل الذي يجود في المناطق الاستوائية وثمار نوع من فاكهة (الباباي) الصغير الجيد.

وفي قسم اللحوم كان هناك قسم للسمك المدخن ويفضله الإفريقيون ويكون من السمك الصغير والمتوسط، واكوام من الباميا الذي يكثر الأغنياء من استعماله في إفريقية على هيئة تخالف استعمالنا له، فهم ليسوا مثلنا يطبخونه قرونا كاملة مع المرق ويتخذون منه المرق في بعض الأحيان وإنما يسحقونه مع العصيدة أو يستخرجون حبه ويطبخونه مع الزيت على هيئة الادام للارز أو العصيدة.

ولذلك تباع مقادير منه مجففة وبخاصة من القرون الكبيرة الصلبة.

ولفت نظري صاحب حانوت عليه قميص عربي وعلى رأسه (شماغ أحمر) كالذي معي البسه في بعض الأحيان فسألته عن اسمه فأجاب (محمد أول) وقال الأخ اسحاق: إنه مؤذن مسجد (أنصار السنة) وهو يعرف قليلا من العربية ومثله جار له اسمه (ودراوي عبدالله).

وسألت عن سعر الكيلو الواحد من اللحم فقالوا: إنه من لحم البقر بستمائة فرنك اي ستة ريالات سعودية ومن الغنم بتسعمائة.

أما الطماطم فأنها اكوام صغيرة تباع الكومة التي تكون زهاء نصف كيلو في الوزن بمائة فرنك أي ريال واحد وشاهدت في السوق نوعاً من الفلفل الحار الأصفر غريب النوع.

وعلى عكس الأسواق الافريقية فإن كثيراً من الباعة في حوانيت السوق التي لاتعتبر حوانيت منفصلة بعضها عن بعض هم من الرجال ومعظم الذين يبيعون في بسطات وهي البضائع التي توضع في الأرض أو على شيء غير مرتفع كثيراً هن من النساء، ويلفت النظر كثرة بائعات عصيدة الفول السوداني الذي يستعمل في المرق للأرز ونحوه.

وسألتهم بهذه المناسبة عن سعر الأرز فذكروا: أنه مائة وخمسون فرنكا اي ريال ونصف الريال ولكنه ليس الغذاء الرئيسي بل غذاء إضافي للميسورين. أما الغذاء الرئيسي فهو الذرة وهناك مقادير من الدخن بنوعيه الخشن الأخضر والأملس الاصفر الذي نسميه في بلادنا المليسا، إلى جانب نوع من الدخن محلي لا أعرف أنه موجود لدينا.

والنظافة في السوق جيدة مع أنه وأمثاله مظنة لغير ذلك وكثرة أنواع الاغذية المعروضة فيه تدل على ماتتمتع به البلاد من حرية في الاقتصاد وعدم وجود الاشتراكية التي اقتضت في اكثر البلدان الإفريقية التي اخذت بها أن تتدخل الدولة في البيع والشراء فتكون النتيجة تقييد الحركة وبالتالي تعطل الانتاج وقلة الأغذية في الأسواق كما شاهدت ذلك في موزمبيق فرأيت أنه جلب الشح في المواد الغذائية المعروضة في المتاجر الحكومية أو عند التجار الصغار الذين يكونون في الحقيقة مجرد عملاء في البيع للحكومة وكنت اتألم وأنا أرى الصفوف الطويلة من طوابير الانتظار أمام تلك المحلات التي تظل وقتاً طويلاً دون أن تتحرك وفيها ربات البيوت قد وضعن أطفالهن على ظهورهن، أو أمسكن أيديهم بأيديهن.

وقد شاهدت في هذا السوق نوعاً غريباً من الفول السوداني يشبه البندق إلا أنه هش ويكون حبة واحدة منفردة بغلافها لاترى فيه أكثر من ذلك كما في المعتاد من الفول السوداني أن يكون فيه حبتان أو ثلاث.

أرض الجمعية الإسلامية :

قمنا بناء على موعد سابق بالتوجه إلى أرض الجمعية الإسلامية التي كانت قد اشترتها وقررت أن تبني فيها مركزاً إسلامياً يكون فيه مكاتب الجمعية وأوجه نشاطها. فمررنا بالمدرسة الإسلامية وأخذنا معنا الشيخ أحمد جالو ووجدنا هناك رجلاً في وجهه شروط مما يشبه الوسم مما هو مألوف حتى الماضي القريب في بعض القبائل الإفريقية والسودان وقد كاد ينقرض الآن من الجبل الجديد قالوا إن ذلك لزوال سببه فالحكمة منها في قولهم أنها علامة من العلامات القبلية المميزة لانتماء الشخص إلى القبيلة إذْ كل قبيلة لها طريقة خاصة في رسم هذه الشقوق في الوجه تماما مثل ماهو موجود لدينا في وسم الدواب وكان ذلك مهما خلال الحروب والمنازعات حتى اذا التقى الرجال للحرب أو للقتال وكان من بين صفوف الاعداء رجل من نفس القبيلة أخذ بسبب الاسر أو نحوه فإنه يعرف بهذه الشقوق ولا يؤذي كما أن المختطف وهو طفل يمكن التعرف عليه بمثل هذه الشقوق التي تكون في جلد الوجه على الخدين والجبهة في أكثر الأحوال.

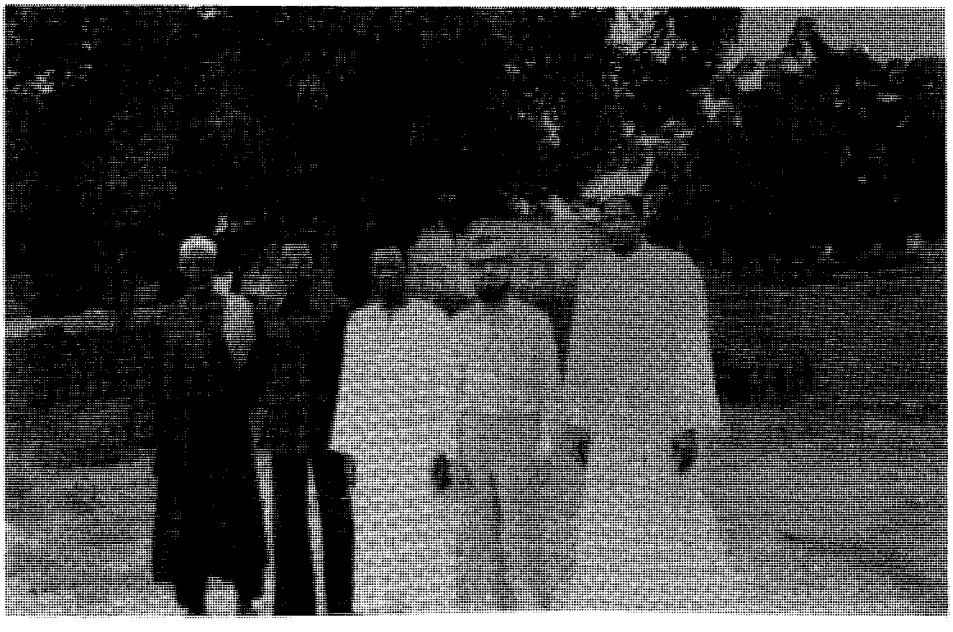

في أرض الجمعية الإسلامية الرئيسية في واغادوغو

أما الآن فإن الحرب والاختطاف قد زالا فزالت الحاجة إلى ذلك. ثم مررنا بمحل لاحد

الإخوة العاملين في الجمعية الإسلامية وهو الحاج (أحمد بتريا) ومحله مصنع لتلحيم الحديد وهـو رجل ينفق على سبيل الخير والحاج (عبدالله تابا سابا) ومعناها بلغة موشي صاحب القوس فمعنى تابا: قوس وسابا: صاحب وقيل لى انه أسكن أحد مبعوثي الرابطة في بيته لمدة سبعة شهور فلما سئل عما اذا كان قد تقاضـى منه أجره؟ أجاب بقوله: لقد اسكنته لله ورسوله.

ومـررنـا في طريقنـا إلى أرض الجمعية بالمسجد الجامع وكانت الساعة العاشرة وصلاة الجمعة في الواحدة والنصف فوجدنا السائلين المستجدين (الشحاذين) قد انتظموا صفوفا عند المسجد الجامع في هذا الوقت المبكر حرصاً على أن يجدوا مكاناً (استراتيجيا) لهم بالنسبة إلى مرور المصلين وفيهم نسبة من المكفوفين الذين أكثرهم من كبار السن وبعضهم من ذوي العاهات والجدير بالتنويه أنهم لايسألون الناس الحافا بل ينتظرون حتى يتصدق عليهم من يريد ذلك ولا يتحركون عن اماكنهم في المعتاد.

حتى وصلنا إلى حي في جانب المدينة يسمى (وايلقي) ومعناها بلغة قبيلة موشي: أوسعوا المكان. وهي القبيلة التي معظم سكان الحي منها وأكثرهم مسلمون ويبعد عن قلب المدينة خمسة كيلات وهو جديد إلا أنه يوجد فيه بعض البيوت القديمة مبنية بالطين واغلب الحواجز بين البيوت من الطين أيضاً.

وتبلغ مساحة الأرض تسعمائة وستة وثلاثين متراً اشتروها بمليوني افرنك أي عشرين الف ريال سعودي ويقولون إنهم قد جمعوا لعمارتها مبلغا لايتجاوز سبعة عشر الف فرنك على حين أن مشروع بناء فيها مؤلف من ثلاثة طوابق يحتاج إلى ستين مليون فرنك.

ووجدنا في الأرض شجرة كبيرة من الأشجار التي وصفها ابن بطوطه بالعظم قالوا: إنهم يسمـوهـا كريتي وهذا قريب من تسمية ابن بطوطة (قرتي). وفي هذا الحي مسجد مبنى بالطين قريب من هذه الأرض حالته غير جيدة وفي مكان آخر مسجد من الطين أيضاً تقام فيه الجمعة.

مسـجد فيصـل :

انتقلنا من هذا الحي فاخترقنا حياً ريفياً كل البيوت التي فيه من الطين وأكثر الأشجار النامية فيه هي أشجار العشر والنيم ويقع شمال المدينة وذلك لمعاينة مسجد الملك فيصل الذي سمي بهذا الاسم لأن الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله هو الذي تبرع بالمبلغ الأول الذي بني به غير أن تأخر البدء في بنائه جعل المبلغ غير كاف لطلائه أو فرشه فتركوا إكماله

على أمل أن تقوم المملكة أو احد المحسنين من الخارج بالتبرع بذلك وصاروا يصلون فيه الجمعة بل صار يمتلىء بالمصلين وإن كان لم يكمل منه الا بناء الهيكل وذلك أنه الجامع الوحيد في تلك المنطقة المبني بناءاً جيداً من الاسمنت المسلح ويتسع لعدد لابأس به من المصلين والمصليات اللاتي بني لهن قسم خلفي منفصل عن المسجد بساحة مكشوفة بمقدار عشرة أمتار يصلي فيها الرجال الذين لايتسع لهم المسجد.

ومن اللطيف في الأمر أنهم جعلوا في الحائط الامامي لمصلاهن شقوقا ضيقة يرين منها جماعة المصلين من الرجال ولا يرونهن على حين أن الجميع مختلطون خارج المسجد في الأزقة واحيانا في مرافق المنزل بالنسبة للفقراء.

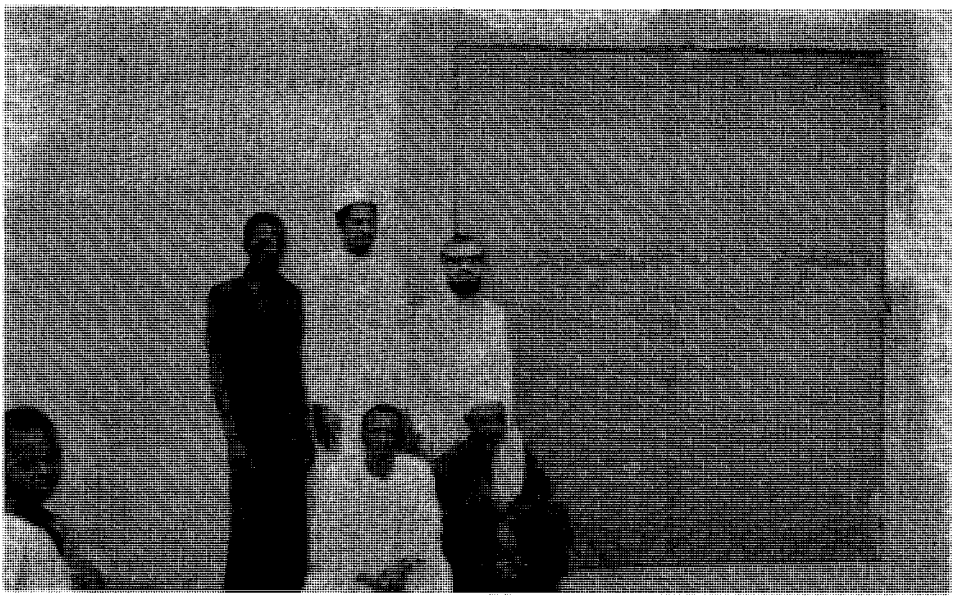

باب مسجد الملك فيصل في واغادوغو

ويشرف فرع الجمعية الإسلامية في هذا الحي على المسجد وعلى مدرسة للجمعية بناها اهل الحي عن طريق جمع التبرعات القليلة بعد صلاة يوم الجمعة.

والمسجد يحتاج إلى إكمال البناء والطلاء والملحقات كما يحتاج إلى مئذنة مناسبة وإلى بلاط للأرض كما أنه لم يزود بالماء والكهرباء لأن ذلك يحتاج إلى النفقة أيضاً كما أن نوافذه مبنية من اللبن المخرق الذي لايتحرك بطبيعة الحال كما لايمكن اغلاقه فيدخل منه الغبار والأوساخ

وقد جعلوها كذلك توفيراً لثمن النوافذ المعتادة.

وقد شاهدت فيه مكبراً للصوت على الحاشدات الصغيرة الجافة لأن الكهرباء لم تصله والمسجد يحتاج إليه في ابلاغ الأذان والخطبة يوم الجمعة. أما فراشه فإن جزءاً من أرضه فقط مفروش بحصر من اللدائن وحصر من الخوص وباقيه لافرش فيه.

وقد كتبوا الشهادتين على بابه الخارجي الذي هو من حديد صدىء بخط سوداني ردئي وقد عزمت على العمل في إنهائه بالكلام مع أهل الخير في المملكة أو عن طريق الهيئة العليا للدعوة الإسلامية التي أنا الأمين العام لها فسألتهم مجتمعين وهم أصحاب خبرة ومن الموثوق بهم عن المبلغ اللازم لإكمال ماذكر فأجابوا أنهم سبق أن قدروه وهو خمسة ملايين فرنك افريقي أي ما يساوي خمسين الف ريال سعودي.

وفي طريق الانصراف من هذا المسجد إلى الفندق مررنا بسوق صغير للحي مؤلف من بيوت من الطين والقش ورأيت بجانب السوق امرأتين مسنتين ليس على النصف الأعلى منهما شيء من اللباس.

ومع ذلك فإن هذا الحي لم يخل من منظر بهيج متمثل في أبقار كبيرة حسنة المظهر يكثر في لونها البياض.

حي بلاط الملك :

من هذا الحي الذي يقع في شمال المدينة الغربي ذهبنا مع وسط المدينة إلى حي معاكس له في الاتجاه اذْ يقع إلى الجنوب الغربي من قلب العاصمة، وهو حي (ساماندي) ومعناها بلغة موشي بلاط الملك لأن سكان الحي في القديم كانوا من اقارب الملك وعبيده وعبيد حاشيته ولايزال اغلب سكان الحي من قبيلة (موشي).

وقد ذهبنا لمشاهدة مسجد هناك توقف إكماله لأن أحد المسلمين الأخيار اشترى أرض المسجد وقام على بنائه فيها ولكنه توفي قبل ثلاث سنوات بدون أن يتمكن من إكماله فبقي المسجد ناقصا واسم ذلك الرجل الحاج (سعيدو يروبا) رحمه الله ويحتاج المسجد إلى تكملة قدروها بخمسة ملايين فرنك وتتكفل الجمعية الإسلامية الرئيسية بالإشراف على إكماله وتسعى إلى ذلك ما استطاعت غير أن الأمر كما قال الأمين العام للجمعية يتعلق بمساجد كثيرة في كل بلد من بلدان فولتا العليا، ولابد من معاونة هؤلاء الإخوة على تعمير المساجد وإنشائها في البلاد.

داخل المسجد الصغير في حي بلاط السلطان في واغادوغو مع أطفال المسلمين

والمسجد يقع في هذا الحي الشعبي (ساماندي) الذي من أظهر مافيه مما يدل على ذلك امرأة إفريقية تقلي سمكاً في وعاء من الزيت الذي يغلي فوق نار من الخشب ينادي دخانها الجاهلين بها وهي تبيعه على المارة ممن يأكلون في الشارع أو يحملونه إلى بيوتهم. ومقادير صغيرة جداً من الفحم ربما لا يكاد الواحد منها يكفي لطبخ دجاجة للبيع أيضاً، وفول سوداني قرب إناء فيه ماء يغلي فوق نار أيضاً تغليه امراة على النار وتبيعه مطبوخاً والفول السوداني المطبوخ يفضله السودانيون على الفول المقلي الذي يفضله اكثر العالم المتمدين يتخذ منه الناس فيه نقلا قبل الشراب.

وغير بعيد من هذا المسجد الذي وقف البناء فيه عند حد السقف أي أن تسقيفه بالفعل من الاسمنت المسلح انتقلنا لمشاهدة مسجد صغير جدا كان المسجد الوحيد في هذا الجزء من الحي ولكنه ضاق بأهله فشرع هذا الرجل المحسن (سعيدو يروبا) رحمه الله في هذا المسجد الجديد.

وسبب صغر هذا المسجد أنه كان في الأصل حجرة في بيت أحد المسلمين خصصها للصلاة ثم بنى بمعاونة المسلمين مسجداً صغيراً ذا منارة مطلية بالوان عدة ملفتة للنظر ولم

ينسوا أن يضعوا فوقها الهلال والنجمة شعار المسلمين ليكون ذلك مع طلائها المميز علامة على وجود المسلمين وجهودهم في هذا الجزء من الحي .

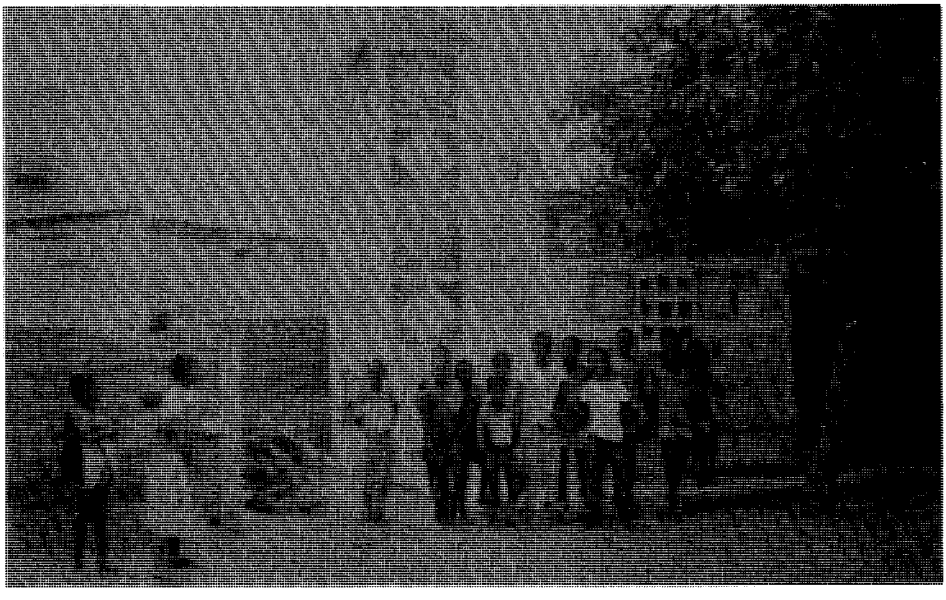

المسجد القديم في حي بلاط السلطان في واغادوغو

وبينما كنت استعد لالتقاط صورة لمنارة هذا المسجد من زاوية تصلح للالتقاط تجمع طائفة من الاطفال يريدون أن تشملهم الصورة فقلت لا اصوركم إلا في المسجد فمن كان من ابناء المسلمين فليدخل المسجد أريد بذلك أن أرى نسبة أطفال المسلمين بين الأطفال في الشارع فدخل أكثرهم وسألتهم عن اسمائهم فاذا بها كلها اسماء إسلامية والذين معنا من المسلمين من أهل الحي قالوا إن هؤلاء الأطفال الذين دخلوا المسجد كلهم من أولاد المسلمين .

ومسجد آخر يحتاج إلى نفقة :

بعد مغادرة حي (بلاط الملك) ومشاهدة مسجده الذي ينتظر الإكمال على أيدي أهل الخير انطلقنا مع الإخوة الكرام إلى حي آخر لاعلاقة لاسمه بالملك والملوك وإنما هو مستوحى ربما من تسمية سماه بها صعلوك بن صعلوك فهو حي (سي سين) وهي صيغة جمع لشجرة اسمها سينه وجمعها (سي سين) بلغة قبيلة موشي التي يتألف منها أكثر سكان الحي .

العصيد تحت النار في شارع في حي بلاط السلطان في واغادوغو

وهذا الحي رغم رداءة البيوت فيه ورقة الحال التي تبدو على ساكنيه فإن شارعه الرئيسي واسع وبقية شوارعه واسعة أيضاً، ولكنها ليس لها من صفات الشوارع الجيدة الا السعة فليس فيها اسفلت فضلاً عن أن يكون فيها أرصفة ولاتشجير ولكن فيها بعض النباتات الوحشية منها شجر عُشر، وبطيخ برى (جح) ذكر مرافقونا أنه ليس جيد الثمار. والسعة ظاهرة أيضاً حتى في البيوت التي تحيط باكثرها اسوار من الطين بعضها داخله اكواخ من القش هرمية الشكل.

عندما وقفنا عند باب المسجد لم أصدق عيني إذْ شاهدت أرضه واسعة جداً قد اداروا عليها سوراً جيداً من لبن الاسمنت المحكم وتبلغ سعته ستة الآف متر مربع وقد اخبرونا أن هذه الأرض منحة من الحكومة اعطتها الأهالي عندما طلبوا أرضاً يقيمون عليها مسجدهم ولكنهم فقراء وبناء المسجد يحتاج إلى مال كثير فحزموا أمرهم وكونوا لجانا تطوف بالمحسنين وتجمع من الناس بعد صلاة الجمعة الفلس بعد الفلس أو الفرنك فوق الفرنك حتى استطاعوا أن يبنوا في جزء من الأرض مصلى لهم واقاموا حوائطه بما يزيد على المتر وبلطوا ارضه بالاسمنت ثم سقفوه بالصاج وبقي مادون السقف وفوق الحوائط مفتوحاً توفيراً للنفقة

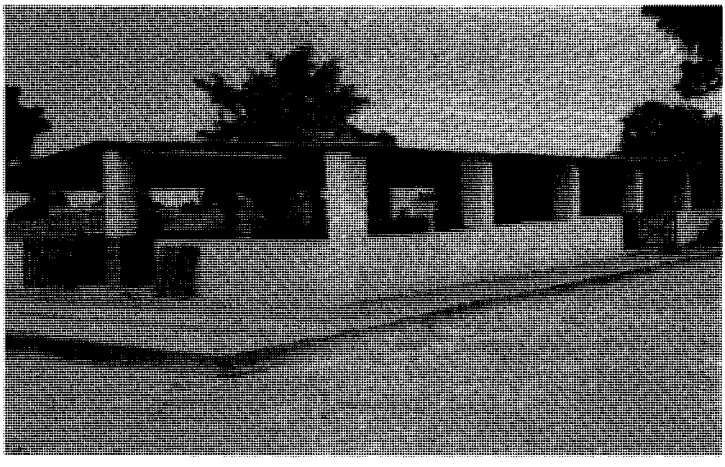

مظلات الصلاة
في حي سي سين
في واغادوغو

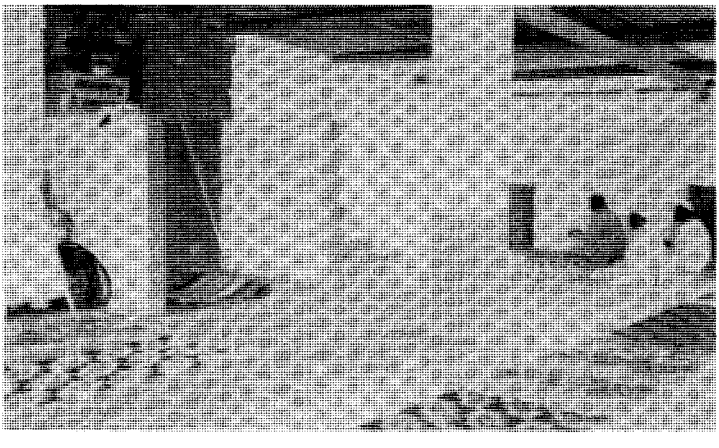

داخل مظلات الصلاة
في حي سي سين
في واغادوغو

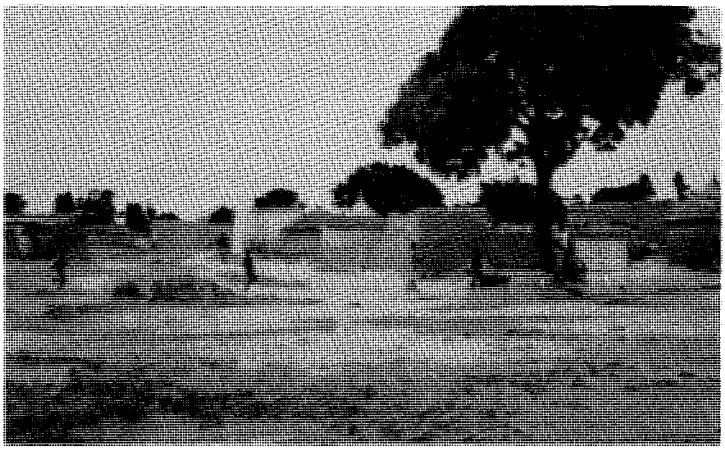

منازل في
حي سي سين
في واغادوغو

وليدخل منه الهواء في هذا الجو الحار وبنوا للنساء خلفه مصلى منفصلاً تماما عن مصلى الرجال بينهما فراغ من الأرض وهو أيضاً على هيئة مظلة سقفها من الصفيح وكل المظلات هذه واسعة نسبياً ومع ذلك يقولون إنها تمتليء بالمصلين يوم الجمعة حتى يصلي بعضهم في الشمس.

ولاحظت أن المسجد كان يعج بالناس الذين اتوا إلى صلاة الجمعة مابين رجال ونساء مع أن الوقت لايزال مبكراً.

ولذلك رأيت طائفة منهم قد جلسوا تحت ظل شجرة برية كبيرة في ساحة المسجد. وقد اخبرونا أن كل ما استطاعوا جمعه من النقود قد صرفوه على هذه المظلات وانه ليس لديهم الآن اي مبلغ يستطيعون أن يبدؤا به بناء مسجد مناسب لأن بناء مسجد جامع في هذا الحي الذي اغلب سكانه من المسلمين يحتاج إلى مبالغ كبيرة لاطاقة لهم بها.

الجمعة في واغادوغو :

يتضمن البرنامج الذي وضعته المراسم في وزارة الخارجية اداء صلاة الجمعة في الجامع الكبير في (واغادوغو) وهذا أمر له معناه اذْ أنه بدون ذلك يصعب علينا أن نجد مكانا للصلاة في داخل المسجد الجامع فهو يمتليء بالمصلين في وقت مبكر جداً.

وعند وصولنا إليه قبل الصلاة بوقت لابأس به كان قد امتلأ لاتكاد تجد فيه موطأ قدم وكانت الساحات الخارجية فيه تعج بألوف مؤلفة من المصلين. فقادنا أحد المسؤلين المرافق الأخ اسحاق سليمان إلى مكان خصصوه لنا خلف الامام مباشرة. وكان أحد الوعاظ يلقي موعظة باللغة المحلية كما هي العادة في كثير من البلدان الأعجمية ثم دخل الامام وهو شيخ كبير فصعد إلى المنبر ببطأ لكبر سنه ومعه عصا طويلة قد جاوزت رأسه فوقف موليا وجهه الجهة اليمنى للمحراب غير مستقبل للناس لهم بوجهه كما يفعل سائر الخطباء وصعد معه المنبر رجل آخر تبين فيما بعد أنه يمسك له مكبر الصوت الذي يمتد به سلك كهرباء ولايقف على قاعدة ثابتة.

وقد ارتدى الإمام ملابس عربية كاملة حتى (المشلح) أي العباءة الا أنها رثة. وكذلك اشخاص من علية القوم ومشايخهم حوالي الخمسة كانوا في المحراب أمامنا مباشرة لأننا في الصف الأول قد لبسوا الملابس العربية وقد تأملت الصفوف فاذا فيها عدد ممن يلبسون بعض الملابس العربية مثل تغطية الرأس (بالغترة) البيضاء أو (الشماغ) الأحمر. وكل ذلك يتجملون به لحضور الجمعة.

أما سائر الناس فانهم قد لبسوا الملابس الوطنية المختلفة التي منها البسة السنغال والنيجر على أناس أصلهم من تلك البلاد ومنها القمص العربية الخالصة على أناس آخرين مما جعل اللباس العالمي المخفف المسمى بالافرنجي يكون معدوماً بينهم.

وهـذه الملابس تشترك جميعاً في النظافة حتى لاتكاد تبصر ثوبا متسخاً واحد من هذه الألوف المؤلفة فربما كان هؤلاء الإفريقيون من السودانيين هم أكثر من غيرهم من الشعوب الإسلامية اعتناء بنظافة اثوابهم التي يصلون فيها الجمعة.

وشيء آخر لاحظته وهو أن العطاس والنحنحة والتنخم قليل جداً في هذه الاجتماعات الكبيرة بخلاف مارأيته في الهند حيث تكون هذه الأشياء كثيرة حتى كانوا يضعون لها في بعض المساجد أوعية أمام الصف الأول يتنخم فيها الناس أي يلقون فيها بالنخامة التي يخرجونها من افواههم واحداً بعد الآخر.

عندما أذن المؤذن أذانا واحداً ضم الامام عصاه الطويلة إلى صدره وأمسك بيديه كلتيهما كتاباً يقرأ منه خطبة مكتوبة بالعربية ولكون يديه كانتا مشغولتين بالإمساك بهما عن الإمساك بالعصا فضلاً عن الامساك بمكبر الصوت فإن صدره كفاه الإمساك بالعصا والرجل الواقف بجانبه كفاه الإمساك بالمكبر.

وكانت الخطبة قصيرة (تقليدية)، كما يقال تلتها بعد جلسة خفيفة الخطبة الثانية بالعربية وهي قصيرة أيضاً وبعد إقامة الصلاة وقف الإمام في اقصى المحراب، ووقف بجانبه المؤذن وهو غير الذي كان معه على المنبر فكان المؤذن بيده المكبر وهو يصلي يجعله أمام فم الامام يخفضه إذا ركع أو سجد ويرفعه اذا رفع وذلك أن المكبر له سلك كهرباء طويل كما تقدم. ويبلغ المؤذن التكبير بصوته بعد الإمام كما هو المعتاد.

وقد صف في المحراب خلف الإمام وقبل الصف الأول عدد من القوم ومشايخهم حوالي الثمانية وافسحوا لنا الطريق للصلاة معهم رغم قصر هذا الصف وضيق المكان لنكون خلف الإمام مباشرة. وصلاة المؤذن بجانب الإمام وامساك شخص غيره المكبر له قد يكون فيه بعض الغرابة ولكنه ليس غريباً بالنسبة إلى مارأيته في جامع مدينة (ابادان) في غرب نيجيريا من أن الخـطيب لايمس المكـبر بل يمسك به شخص آخر بجانبه وهذا الشخص الذي يمسك بالمكبر هو الذي يبلغ كلام الإمام في الموعظة الطويلة قبل الصلاة يكررها كلها جملة جملة فإذا قال الإمام أو الواعظ مثلا بسم الله الرحمن الرحيم فانه يقولها بصوت منخفض وليس معـه مكبر للصوت فيرددها بعينها ذلك الذي بجانبه ممسكا المكبر بصوت جهوري يسمعه الناس.

وهذا على حد قولهم لكونه لايليق بذوي المقامات من المشايخ والعلماء والأغنياء أن يكلموا الجماهير من سائر الناس مباشرة لأن هؤلاء أدنى منزلة من ذلك وهكذا عاملوني عندما طلبوا مني أن القي كلمة في ذلك الجامع الكبير بعد صلاة الجمعة فكنت القي الجملة بالعربية فيترجمها الشيخ (مرتضى عبدالسلام) عميد معهد التعليم العربي في إبادان إلى لغة اليوربا من دون مكبر فيلتقطها ذلك الشخص الذي معه المكبر ويلقيها إلى الناس.

أما في هذا الجامع فإن الغرابة بالنسبة اليّ انحصرت في عدم توجه الإمام بوجهه إلى مستمعي الخطبة الذين كان المسجد قد ضاق بهم كما تقدم. كانت الخطبة وصلاة الجمعة مذاعة مباشرة في الإذاعة وقد اخبروني أن الاذاعة مفتوحة على مكبر الصوت وأنهم يرغبون في أن ألقي كلمة لمناسبة وصولنا إلى هذه البلاد. فالقيت فيهم كلمة بالعربية كان الشيخ أبو بكر قاسم يترجمها فوراً إلى لغة موشي التي يفهمها العدد الأكبر من الناس في هذه البلاد.

ذكرت في الكلمة سبب حضورنا إلى هذه البلاد وسرورنا بالاجتماع إلى الاخوة المسلمين فيها وبينت لهم قوة رابطة الدين وأنها أقوى من رابطة النسب والدليل على ذلك أن بلال بن رباح وهو إفريقي من الحبشة هو من أفاضل الصحابة المقربين من رسول الله ﷺ وأن أبا لهب عم الرسول ﷺ هو من قريش الذين هم افضل العرب نسبا ومع ذلك لم ينفعه ذلك عند الله لأنه لم يؤمن برسول الله ﷺ، بل أنزل الله في ذمه سورة من القرآن تتلى إلى يوم القيامة وذكره فيها بالاسم فقال ﴿**تبت يد أبي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب**﴾ والحكمة والله أعلم من تسميته في معرض الذم باسمه وليس ذم فعله فقط هو أن يعرف الناس على وجه الدهر أن القرب من الرسول ﷺ في النسب على وجه الخصوص وارتفاع منزلة المرء في النسب لاينفع عند الله في شيء إذا لم يصاحبه عمل صالح مقبول عند الله ثم بعد ذلك أوصيتهم بتقوى الله ومراقبته في السر والعلن والأخذ بما أمر الله به ورسوله من أن يكون المسلم صادقاً أميناً حريصاً على نفع الناس كافاً الأذى عنهم.

ونظراً إلى أن الاذاعة تنقل الكلام مباشرة على الهواء ويسمعه المسلمون وغير المسلمين في داخل البلاد وخارجها فقد حرصت على أن أقول حقاً يرضي غير المسلمين فقلت مخاطباً للمسلمين إن الإسلام جاء بالخير للجميع ولذلك يجب على المسلمين أن يتعاونوا مع مواطنيهم من غير المسلمين على مافيه المنفعة العامة للوطن لأنهم مواطنوكم وشركاؤكم فيما يعود بالفائدة على الوطن، كما يجب عليكم مساعدتهم بما تستطيعون ممالايتنافى مع أوامر دينكم لأن المسلم ينبغي له أن يعمل مافيه الصالح العام للبلادمن أمور الدنيا والدين.

وقد أظهر اخواننا سرورهم بهذه الكلمة التي قالوا إنها وقعت موقعها وقال أحد العلماء

بالعربية لقد اعطيت الدين والدولة حقهما في كلمتك ثم اقبلوا جزاهم الله خيراً كلهم يريد مصافحة إخوانه المسلمين حتى لم نستطع أن نتحرك إلى باب الخروج من المسجد فأسرع المرافق وبعض الاخوان يوقفونهم عن السلام علينا ويحولون بيننا وبينهم بل لم نستطع أن نتحرك حتى ضربوا حولنا نطاقا من الرجال. وكنت أتأمل الجمع الغفير من المصلين الذين ملأوا الساحات الخارجية فاجد أنهم لايقلون عن عشرين ألفا وقال رفيقي السفير الدكوري إنهم يبلغون خمسة وعشرين ألفا.

مقابلة رئيس الجمهورية :

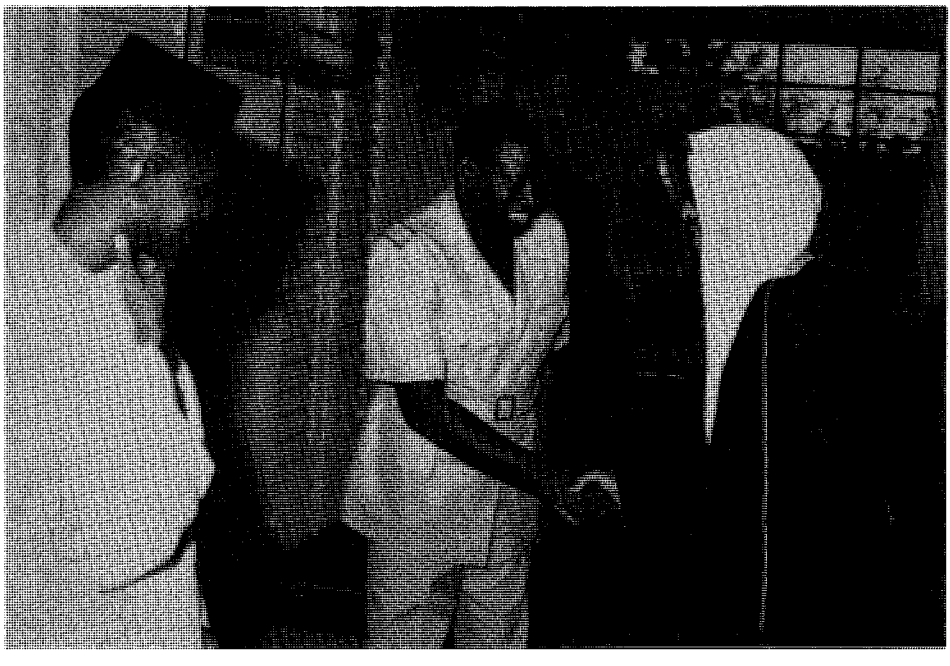

رئيس جمهورية فولتا يستقبل المؤلف في قصر الرئاسة

حددوا موعد المقابلة في البرنامج في الساعة الخامسة والنصف فوصلنا قبل ذلك بدقائق فاستقبلنا مدير المراسم الأخ ادريس ودراغو مع بعض الموظفين دخلنا إلى قصر الرئاسة وصعدنا إلى الطابق الثاني في القصر الذي هو بهي المنظر جيد البناء والأثاث في غير إسراف.

وكان مصورو التلفاز والصحف ومراسلو الأذاعة ينتظرون في المكان الذي جلسنا فيه،

وفي الموعد المحدد قام المصورون المراسلون ثم صحبنا رئيس المراسم إلى مكتب الرئيس العقيد (سايدي زروبو) وسايدي هي سعيد عند الباب الخارجي للمكتب مرحباً مصافحاً ومصورو التلفزة والصحافة يأخذون الصور التي لا أري فيها أية فائدة لهم ولا لغيرهم ثم أشار إلى الجلوس في مكتب جيد المظهر بل يدل تأثيثه وإعداده على تعقل وترو وذوق رفيع فلا هو بالمكتب الذي يشابه مكاتب الرؤساء بل الوزراء في البلاد العربية مثلا ولاهو بالذي يشبه مكاتب رؤساء الوزراء في البلاد الفقيرة في آسيا و إفريقية.

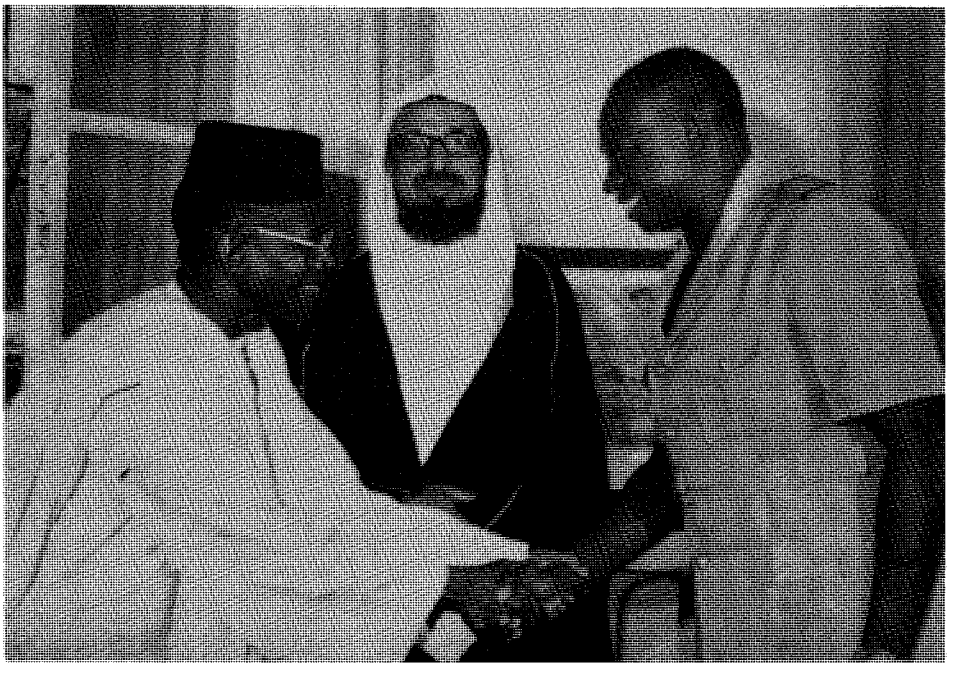

رئيس فولتا العليا يصافح الشيخ الدكوري ويبنهما المؤلف

تكلم الرئيس العقيد سايدي ولقبه الرسمي رئيس اللجنة العسكرية للاصلاح الوطني ورئيس الدولة فقال: الحقيقة أن شعب فولتا العليا كله ممتن للمملكة العربية السعودية وأنه يريد توثيق العلاقات مع المملكة ولذلك أرجو ابلاغ تحياتي إلى جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز وابلاغه رغبة شعب فولتا في فتح سفارة للمملكة عندنا.

ثم قال إننا نرحب بكم في بلادنا ونرجو أن تكونوا مسرورين من هذه الزيارة فرددت عليه بكلمة كان الشيخ السفير الدكوري يترجمها إلى الفرنسية فقلت له اننا عندما وصلنا إلى هذه

البلاد فولتا العليا لم نشعر بالغربة لاننا شعرنا أننا بين أهلنا وعشيرتنا ولقد أعجبنا مارأيناه هذا اليوم في المسجد الجامع من إقبال إخواننا المسلمين في هذه البلاد على اداء صلاة الجمعة بهذه الصفة.

ثم تكلمنا معه من بين ماتكلمنا به عن موضوع افتتاح مكتب رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة الذي أوشك العمل فيه على الانتهاء وبقي الإذن الرسمي بافتتاحه وطلبنا منه أن يمنحه الحصانة الدبلوماسية أسوة بالمكاتب الأخرى الموجودة في عدد من الدول الإفريقية فأبدى استعداده بذلك ورحب بفتح المستوصف التابع للمركز ثم شرح له زميلي الشيخ الدكوري مقررات الجلسة الاستثنائية التي عقدها المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بناء على طلب السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بصفته عضواً في المجلس التأسيسي للرابطة.

وبعد حديث جيد معه اتسم بعدم الرسميات لأن الرجل أظهر سروره باللقاء بنا وإن كان لايزال محتفظاً بتحفظه وجديته في الحديث والاستماع استأذناه في الانصراف فأسرع بالاستعداد لالتقاط عدة صور تذكارية وهو يودعنا خارج مكتبه.

المؤلف يتكلم ورئيس فولتا العليا ينصت باهتمام

والرئيس سايدي أو سعيد زروبو عسكري شاب مسلم ينتمي إلى إحدى القبائل الصغيرة في فولتـا العليا وهي قبيلة سامـوغو التي أكثر اعضائها من المسلمين وقد تولى الحكم بعد انقلاب عسكري أبعد عن السلطة الرئيس السابق الحاج ابو بكر لاميزانا الذي تولى الحكم في عام ١٩٧٢م وهـو أيضاً مسلم من القبيلة نفسها ويقول بعض الناس إن تولي العقيد سايدي السلطة قد يكون بالاتفاق مع الرئيس السابق ولكنهما أظهرا ذلك بمظهر الانقلاب العسكري لأنه قريبه ولايريد أن يظهر أنه ولاه السلطة بمثابة أن يكون خليفة له من دون سند دستوري .

ومظهره يدل على أنه قوى الشخصية لم تفارقه سماحة الإفريقيين غير أنه ليس في مظهره مايدل على السذاجة أو عدم الدهاء وهو مسلم يحرص على صلاة الجمعة في كل اسبوع ولكنه ليس من المشهورين بالورع وشدة التدين .

وعلى أية حال فإنه رجل جيد اذا قيس بالعسكريين الذين يتولون السلطة في العديد من اقطار العالم الثالث فإنه من أفضلهم وبخاصة برحابة صدره واتساع نظامه للذين يخالفونه في الرأي اذا لم يقوموا بأعمال تهدد السلطة .

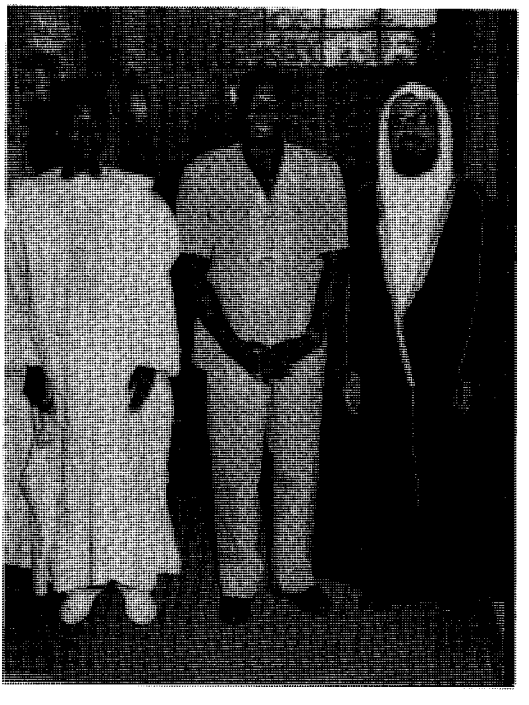

صورة تذكارية مع رئيس جمهورية فولتاالعليا على يمينه السفير الدكوري وعلى يساره المؤلف

تصريح للتلفزة والإذاعة :

طلب مني مدير الصحافة والإعلام في رئاسة الجمهورية واسمه (بير بادي) الادلاء بتصريح للتلفزة وللاذاعة يكون (متلفزاً) ومصوراً للصحف عن مقابلتنا رئيس الجمهورية وانطباعاتنا عن زياراتنا لهذه البلاد فأجبت لذلك وكان السؤال بالفرنسية يترجمه إلى العربية صديقي الشيخ الدكوري كما يترجم جوابه من العربية إلى الفرنسية فكان من ضمن إجاباتي على ذلك بأننا عندما قابلنا رئيس الجمهورية شعرنا بأننا قابلنا أخاً مسلماً لنا كبير القدر والمنزلة ولكنه متواضع في نفسه يتصف بالأخوة الصادقة، كما شعرنا بان بلادكم بلاد صديقة للمملكة العربية السعودية وهذا ليس بالأمر الغريب لأن اكثريتنا نحن العرب هي افريقية والعرب الذين يقيمون في افريقية أكثر من العرب الذين يسكنون في قارة آسيا. واذاً نحن العرب أفارقة بالأكثرية العددية.

خلال اللقاء الصحفي والتلفازي في واغادوغو

إضافة إلى العلاقات الثقافية والتاريخية المتينة التي تربط بين البلاد العربية والبلاد الافريقية منذ زمن قديم وهي علاقات ينبغي العمل على استمرارها وتنميتها.

يوم السبت ٨/ ١٢/ ١٤٠٢هـ :

مغادرة واغادوغو :

خرجنا إلى المطار مبكرين إذْ الطائرة التي سنغادر عليها (واغادوغو) عاصمة فولتا العليا ستقوم في السابعة صباحاً.

وكـان في الوداع في المطار جمهرة من الإخوة الكرام منهم مدير المراسم الاستاذ ادريس ودراقـو ومـدير المـطار الرائد سليمان ودراقو واشتراكهما في كلمة (ودراقو) استرعى انتباهي فجعلني أسأل عن معناها فأخبرت أنه (ابن الحصان) وهذا تعبير عن أن هذا الشخص من أسرة نبيلة وعرفت بعد ذلك من غير هذين الاخوين انهما ينتميان إلى أسرة من اشراف قبيلتهما (موشي) كبرى القبائل الإفريقية في فولتا العليا كما كان معنا الأستاذ ابراهيم (ابريما) حمادي جالو مدير إدارة آسياو إفريقية في وزارة الخارجية وهو من الفلانيين جزاهم الله خيراً.

ركبنا طائرة صغيرة ذات محركين مروحيين ليس فيها الا ثمانية عشر مقعداً تابعة لشركة فولتا العليا (ايرفولتا) وهي شركة للطيران الداخلي أو ما يعتبرونه كذلك مثل السفر لبعض البلدان المجاورة كجمهورية مالي التي نسافر إليها.

أما النقل الخارجي فإن (فولتا العليا) مشتركة في شركة طيران افريقية (إيرفريك) وهي إحـدى دول عشر منضمة إلى هذه الشركة من الدول الإفريقية الغربية ومعها من الدول العربية (موريتانيا) وذكرني منظرها ثم مركبها بالطائرات الصغيرة التي كنت اكثر من ركوبها مضطراً قبل ثلاثة أشهر في الولايات المتحدة الأمريكية لأنها هي التي تسير في رحلات إضافية إلى المدن الصغيرة وفي أوقات مناسبة للمهمات المستعجلة وكنت آنذاك في جولة على المراكز الإسلامية والمساجد في الولايات المتحدة ضمن وفد سعودي وذكرت حديث تلك الرحلة في كتاب (وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية).

الطيار افريقي ومعه مساعده إفريقي أيضاً، وهذا مايطمئن الراكب وهو أمر حرص عليه الامريكيون إذْ لا يكون الطيار وحده في مقعد القيادة ولو كانت الطائرة صغيرة مثل هذه لأنه ربما حدث مكروه للطيار فيتولى مساعده الهبوط بالطائرة، وليس كما هو الحال في عدة أماكن أخرى في العالم ركبت فيها هذه الطائرات الصغيرة وكان الطيار فيها وحده وكنت في بعض هذه الرحلات اكون على الكرسي الذي بجانب الطيار حتى أسأله عما نمر به ومن ذلك رحلتنا مع وفد سعودي إلى تنزانيا حيث وضعت حكومة تنزانيا معنا طائرة خاصة صغيرة مع طيارها لمدة تسعة أيام ولم يكن معه مساعد ورحلات في جزيرة مدغشقر ورحلات بين جزر العـذراء (فرجن آيلاندز) وبين جارتها (بورتو ريكو) في البحر الكاريبي بين الامريكتين:

الشمالية والوسطى هذا وقد أمتلات الطائرة بالركاب مابين ذوى الأصل الاوروبي الذين يسمون البيض وإفريقيين.

أما من هم بين ذلك لايعدونهم من هؤلاء ولا هؤلاء فليس في الطائرة منهم الاشخصان أحدهما كاتب هذه السطور والآخر شخص اكثر منه سمرة ظننته موريتانيا ثم عرفت بعد أن وصلنا إلى (باماكو) أنه خلاسي أي أحد ابويه ابيض والآخر أسود.

إلى بوبو جولاسو :

وهي مدينة هامة في فولتا بل هي المدينة الثانية بعد العاصمة (واغادوغو) وكانت قبل حين الأولى من حيث عدد السكان والأهمية التجارية. واسمها طويل كاسم العاصمة وهو كذلك غريب على الأسماع مثل ذلك أو أكثر والشيء الذي يجمع بينهما في الاسم غير الغرابة أن كلا منهما مركب من اكثر من كلمة فاسم العاصمة مركب من كلمتين هما (واغا) و(دوغو) اي : بلد النبلاء، واسم هذه المدينة مركب من ثلاث كلمات هي (بوبو) : اسم قبيلة (وجولا) : اسم جماعة من الناس قد يصح أن تسمى قبيلة و(سو) : مكان أو بلد فمعناه اذاً : بلد بوبو وجولا.

لنـدع تفسير هذه الاسماء التي ربما لاتعني كثيراً من الناس الذين قد يسمونها (فضول المعرفة) كما سمى بعض الاخوان بعض ماذكرته في كتاب (في افريقية الخضراء) بفضول القول وكدت اقتنع بصواب قوله لولا أن أخوة لي آخرين أثق بقولهم واعتز بشهادتهم قالوا إن هذه التي سماها هذا الأخ بفضول القول هي التي جعلت لقراءة الكتاب لديهم، ميزتها الخاصة.

ولماذا ندع ذلك؟ لأن صوت محركي الطائرات وهي تنهض يكاد يصم الآذان وهذه من مساويء ركوب الطائرات الصغيرة.

مرت الطائرة فوق أطراف من المدينة في تحويمها قبل أن تتخذ الاتجاه الصحيح بتهويمها في الطيران فبدت المدينة جيدة البيوت واكثر بيوت الضواحي فيها يظهر فيها البناء بالطين والتسقيف بالصفيح وأما اكواخ القش فانها فيها قليلة.

ثم انقطعت رؤية المنازل والعمارة فجأة ودخلنا سماء خلاء خصب إلا أنه ليس كثيف الخضرة كالمناطق الاستوائية وإنما هو من المناطق التي يسمونها بالإفريقية المدارية وهي مناطق تخضر إذا جادها السحاب في الموسم وتقل خضرتها اذا اخلفها المطر وإن كان إخلافه قليلا. ومن مساوئي الطائرات الصغيرة أنها تكون خالية من التكييف ضد الصوت وضد الضغط

الجوي كما أن طائرتنا هذه خالية أيضاً من تكييف الهواء ولكن فيها صمامات ينبعث منها هواء لطيف من الطبقات العليا في الجو.

ولم يعلنوا فيها بيانا عن طول الرحلة ولا عن ارتفاع الطائرة. وعندما ارتفعت الطائرة في الجو زادت كثافة الاشجار الكبيرة في الأرض وشاهدنا نهر الفولتا الذي سميت البلاد على اسمه لانه لايمر بالعاصمة ويبدو من الطائرة ضيق المجرى وبعد أن أمضت الطائرة نصف ساعة من الطيران صارت الأرض تبدو متشابكة الأعشاب خصيبة المنظر فوق تلال جبلية خضر غير مرتفعة.

ثم أخذنا نشاهد جو المنطقة مشبعاً ببخار الماء ربما كان ذلك عقب الأمطار في المنطقة وربما كان ذلك مختلطاً بدخان الطبخ لأن الحطب هو الوقود الرئيسي في البلاد غير أن الوقت الآن صباح إلا إذا كان ذلك متخلفاً من الليل أو أن بعض القوم يطبخون مايفطرون به ولا اظن ذلك.

ثم بدأت الطائرة بالنزول وبدت مجموعات صغيرة من المنازل الطينية المحاطة بأشجار الغـابـات وشاهدنا قبل الوصول إلى المدينة بفترة طريقاً ترابيا أحمر ظاهر الحمرة في أرض خضراء مما ذكرني بمنظر الطرق في إفريقية الاستوائية الشرقية والوسطى.

ولاغرو في ذلك لاننا نسير إلى جهة الجنوب الغربي حيث تتقارب حدود مالي وغينيا وفولتا العليا.

وكان طيران هذه الطائرة الصغيرة مريحا لولا صوت محركيها وهي كانت هادئة متزنة كأنها في ذلك طائرة نفاثة.

ومرت الطائرة وهي تهم بالهبوط فوق المدينة فشاهدنا التربة فيها جميلة حمراء والإسفلت مقتصراً على الشوارع الرئيسية فيها وعامة بيوتها ذات أفنية مكشوفة قد غرست فيها أشجار قليلة لا تصل إلى الحدائق الكاملة في البيوت المتسعة والدارات.

وكان من أكثر مباني المدينة ظهوراً مسجد أبيض الطلاء له منارة رئيسية عالية، وأربع منارات دقيقة صغيرة.

في مطار بوبو جولاسو :

هبطت الطائرة في المطار في الساعة الثامنة بعد أن استغرق طيرانها ساعة وذلك في مدرج مسفلت واسع من مطار تحف به أعشاب كثيفة ودخلنا إلى بناية المطار التي هي صغيرة لابأس

بترتيبها ونظافتها غير أنه مثل كثير من المطارات والمرافق العامة في الدول النامية كما تسمى وهي الناقصة النمو في الحقيقة لابد من وجود نواح نقص ولو صغيرة فيها من ذلك أن (المقهاة) في المطار لم تفتح بعد ونحن بحاجة إلى فنجان من القهوة لأننا لم نفطر ولم نشرب القهوة هذا اليوم مع اعتيادنا عليها وحاجتنا في السفر إليها.

كما أن الكهرباء كانت مقطوعة عن دورة المياه في المطار وربما عن جميع المبنى فكانت رغم نظافتها ووجود الماء وادوات التنظيف فيها مظلمة.

وجميع اللافتات في المطار مكتوبة بالفرنسية وحدها شأن كثير من المطارات والأبنية العامة في المستعمرات الافريقية السابقة الا ما يكون من المطارات الدولية حيث تكتب بالانكليزية أسفل من الفرنسية.

ثم غادرناها إلى باماكو عاصمة مالي.

والحديث عن نزولنا في (باماكو) ومايتبعه من الحديث عن بلاد السودان الغربي موضح في كتاب آخر عنوانه: (في ربوع السودان الغربي).

فولتا العليا (بوركينا فاسو)

اعتدت في كتبي في الرحلات على أن اكتب شيئاً عن احوال البلاد التي اصل إليها وأن أتكلم عن أحوال المسلمين فيها وعن تطور الدعوة الإسلامية باختصار، حتى يكون القاريء الكريم ملماً بذلك عند قراءة يوميات الرحلة وهذا هو ماكتبته عن (فولتا العليا) وسيأتي مثل ذلك عن الأقطار الثلاثة الأخرى وهي (ساحل العاج) و(توقو) و(بنين) بعد الكلام عليها بإذن الله تعالى.

فولتا العليا تقع في افريقية الغربية وتحد من الجنوب بكل من بنين (داهومي) سابقا وجمهورية توجو وجمهورية غانا وجمهورية ساحل العاج. أما من الغرب والشمال فجمهورية مالي ومن الشرق تحدها جمهورية النيجر، وتقدر مساحتها بـ ٢٧٤٢٨١كم٢.

إحتلتها فرنسا في نهاية عام ١٨٩٧م حتى نالت استقلالها في ٥ أغسطس سنة ١٩٦٠م بزعامة موريس بامبوجو وهي عضو في هيئة الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية وكان لها علاقات وثيقة مع فرنسا وبعد موريس بامبوجو جاء إلى حكم البلاد عام ١٩٧٢م الحاج أبو بكر سانغولي لاميزانا حتى أطاح به العقيد سايدي زروبُو.

و(فولتا العليا) من البلاد الداخلية التي لاتتمتع بالإشراف على الممرات المائية التي تكفل سهولة التبادل التّجاري مما أثر تأثيراً سيئاً على حالتها الاقتصادية، إذ كون عبئاً على المنتجات التي تصدرها، والبضائع التي تستوردها، وهذه إضافة إلى ماتعانيه من القسوة في الحياة وشظف العيش.

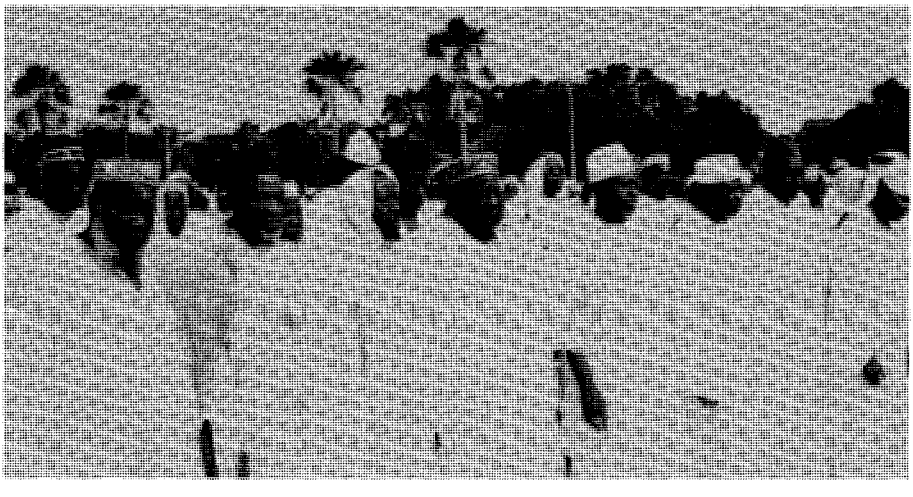

رئيس الجمهورية السابق أبو بكر لاميزانا (الرابع من اليمين) أثناء أحد الاحتفالات الدينية

وإذا أضفنا إلى هذا نقص التعليم وغلبة الأمية، وانتشار الأمراض وظهور الأوبئة أدركنا ضخامة التخلف الذي تئن البلاد تحت وطأته، ورغم هذه الظروف التي تعيشها هذه البلاد، ورغم حملات هيئات التنصير الدائبة العمل، وحيلهم البارعة في استغلال هذه الظروف مع توفر إمكاناتهم، فإن المد الإسلامي يتزايد فيها يوما بعد يوم.

وقد ذكرت شيئاً من ذلك في اليوميات ونزيد هنا بأنه أجريت احصائية في عام ١٩٧٥ اتضح منها أن سكان فولتا العليا قد بلغوا خمسة ملايين ونصفا، وقد بلغ عدد المسلمين في ذلك الوقت مليونين ونصفا ومن بقي بعد ذلك فأكثرهم لادينيون أي لايدينون بدين سماوي معروف وإنما هم بين عبدة أصنام وتماسيح وشجر وأقلهم مسيحيون بين كاثوليك وبروتستانت وغيرهم وأما الآن فإن المسلمين فيها ٥٥٪ إلى ٦٠٪ وعلى كل فإن زحف الإسلام يبشر بالخير مهما كثر أعداؤه.

ويكثر المسلمون في العاصمة واغادوغو ومع ذلك فإن المسلمين منتشرون في كل البلاد وبخاصة في المنطقة الغربية والمنطقة الشمالية حيث الحدود مع بلاد (مالي) العريقة في الإسلام.

وتتميز مدينة (بوبوجلاسو) بكثرة المسلمين فيها لأنها كانت مركزاً للتجار المسلمين الذين كانوا يقدمون من الشمال وفي مدن واجبو وبوابفويا وسولتو وبانفورى وكابا وكولوما ـ وفي هذه المناطق كثافة إسلامية وهم فقراء مثل بقية السكان وإن لم يكونوا اكثر فقرا من غيرهم ماعدا قلة متعلمة من المسيحيين تعلمت في مدارس التنصير تعليما عصريا وهي التي تشغل الآن مناصب الدولة الكبيرة والمناصب في المؤسسات الأخرى وتشاركهم قلة عددية ضئيلة من المسلمين من الذين اتيح لهم أن يتعلموا تعليما عصريا لأن أكثرية المسلمين يقومون بتعليم أبنائهم حسب إمكانياتهم المتاحة.

و(فولتا العليا) معناها : نهر الفولتا الأعلى وهو اسم خلعه عليه المستكشفون البرتغاليون الذين كانوا أول الأوروبيين الواصلين إلى تلك المنطقة وذلك لكونها تقع في أعلى نهر الفولتا المعروف في غرب إفريقية[1].

النشاط الإسلامي :

يتمثل النشاط الإسلامي في الدعوة إلى الله تعالى وفي التعليم العربي الإسلامي حيث يوجد في فولتا العليا أكثر من خمسين مدرسة عربية إسلامية يدرس التلاميذ فيها ابتداء من

(١) غيَّر أهل البلاد اسمها من (فولتا العليا) إلى (بوركينا فاسو) ومعناه: الرجال الذين يستحيل إفسادهم، ويمكن ترجمتها ترجمة فقهية بجملة (بلاد الناس الطيبين) وقيل : معناها : بلاد الأحرار.

السنة الأولى الابتدائية اللغة العربية ومبادىء الدين الإسلامي ، وقليلا من اللغة الفرنسية .

وكل هذه المدارس ابتدائية مدة الدراسة فيها ست سنوات ، ماعدا مدرستين إعداديتين ، الأولى في العاصمة واغادوغو والثانية في (بوبو جلاسو) ، ويزيد عدد التلاميذ في هذه المدارس عن الفي تلميذ وكلها تابعة للجمعيات الإسلامية .

كما أن أبناء المسلمين الآن يقبلون بكثرة على المدارس الرسمية التي تشرف عليها الدولة لاسيما بعد إدخال اللغة العربية في كثير من مدارس الحكومة الثانوية لغة اجنبية ثانية . أما فيما مضى فقد كان المسلمون ينأون بأبنائهم عن تلك المدارس لأن التعليم كان مشوباً بالتنصير حيث كانت مادة الدين المسيحي تدرس ضمن المواد الدراسية .

كما يظهر هذا النشاط أيضاً في بناء المساجد حيث زاد عددها على الف مسجد مع الاستمرار في إنشاء المساجد في جميع أنحاء البلاد وفي مدينة (واغادوغو) أكثر من ستين مسجدا تلقى فيها المواعظ وتتم فيها الإجابة عن الأسئلة الدينية التي تهم المسلمين ومن بين تلك المساجد ثمانية مساجد لصلاة الجمعة في العاصمة (واغادوغو) وحدها ، وفي كل مسجد إمام ونائب له وشخص مسئول عن المسجد .

وفي عهد الاستعمار كبت المسلمون كبتاً شديداً وشوّهت صورة الإسلام في أعين الناس وغرست الكراهية بين الشعوب الإفريقية وبين الشعوب الإسلامية . كما شجع المستعمرون طقوس الطرق الصوفية التي تخالف العقيدة الإسلامية النقية وقالوا لهم : إنَّ هذا هو الإسلام الصحيح وأما الدين الذي عليه أهل مكة فليس هو دين الإسلام وانما هو دين الوهابية .

وهكذا زرعوا حقداً وضغينة في قلوب الكثيرين من مسلمي إفريقية .

كما أن جحافل التبشير نشطت في فترة الاستعمار وأسست مالا يُعد ولا يحصى من الكنائس في المدن والقرى والبوادي والغابات لدرجة أن أحد القساوسة اخبرني يوماً أنه واعوانه أسسوا اربعة الاف كنيسة في أرياف المناطق الشرقية والشمالية من فولتا العليا ، وهكذا كانت تسمى فولتا العليا في ذلك العهد (بنت الكنيسة) ولكن بعد الاستقلال تبدل الحال إذ رفعت الأغلال والقيود عن المسلمين وبدأت حركة اتصالهم بالعالم العربي تنمو فتعرف الأفارقة وخاصة زعماءهم على حقيقة الإسلام واكتشفوا أكاذيب المستعمرين وأضاليل المبشرين ووجدوا في سماحة الإسلام ورحابة مبادئه جواً يلائم حياتهم وبيئتهم فسرعان ماتحول الكثيرون منهم إلى الإسلام وبأعداد هائلة لدرجة أن كاردينال الكنيسة وجّه خطاباً ذات يوم إلى الجمعية الإسلامية يرجوهم فيه أن لايعلنوا عن اسماء الذين يتركون المسيحية ويدخلون

في الإسلام في وسائل الإعلام كالراديو والصحف. وخلال اربع وعشرين سنة ارتفعت نسبة المسلمين من ٢٥٪ إلى ٦٥٪.

صلاة العيد في فولتا العليا

هذا ومن فضل الله سبحانه أن مجال الدعوة إلى الله في فولتا العليا لايزال مفتوحاً دون ايّة عقبات من الحكومة مادام الداعية يدعو إلى نشر تعاليم الإسلام وآدابه وفضائله وعقيدته دون التدخل في الشئون السياسية للدولة وحدثني الشيخ أحمد محمد صالح الداعية إلى الله وهو من فلسطين ومتعاقد مع دار الافتاء في المملكة قال عندما نزور منطقة من المناطق بقصد الدعوة إلى الله سبحانه فإننا أولاً نستأذن من الحاكم العام لها ليأذن لنا بجمع الناس لوعظهم وارشادهم وأنا أثناء كلامي معه أفهمه أن الناس إذا تعلموا دين الإسلام فإنَّ الجرائم تقل بين الناس لأننا نزرع في قلوبهم خوف الله سبحانه ومن ثم ينصرفون إلى العمل الجاد المثمر، وقد اعترف قائد البوليس في بوبو حلاسو ذات يوم في اجتماع له مع الجالية اللبنانية والسورية بأن وجود مبعوث المملكة العربية السعودية قد خففَّ عنه الكثير من مشاكل المسلمين التي كانوا سابقاً يشغلونه بها لاسيما النزاعات الطائفية وإنَّ الناس بكل فئاتهم يحبون الاستماع للمواعظ الدينية وفي القرى والأرياف تجدهم أشد حباً لسماع المواعظ من أهالي المدن الكبيرة

الذين شغلتهم زخارف المدنية من مثل السينما والنوادي الليلية.

ومعظم الوعظ في القرى والأرياف يكون ليلاً وفي الساحات العامة ويستمع المسلمون والوثنيون والنصارى جميعاً للدعاة إلى الإسلام.

وأنشط جماعة في الدعوة إلى الله تعالى في فولتا هم جماعة أهل السنة المحمدية وعملهم على بينةٍ وبصيرة وعلم وبينهم وبين الدعاة المبعوثين من المملكة تفاهم تام في مجال عمل الدعوة وهم يحاولون أن لا يتركوا ريفاً ولا قرية إلّا ويذهبون إليها لتبليغ حقيقة دين الله إلى أهلها وشرح الإسلام الصحيح الذي جاء به رسول الله ﷺ.

وبعد أن كانت جماعة أهل السنة قلةً قليلة وعرضة للأذى والسخرية من أرباب الطرق الصوفية أصبحت قوية، وصار اتباعها كثيرين في كل مدينة وريف وصار صوت دعوتها إلى التوحيد الخالص وترك البدع والشعوذات فوق أصوات كل الدعوات الضالة المضلة.

وإنَّ العاملين في مجال الدعوة إلى الله من جماعة أهل السنة هم من المحتسبين للأجر لاينالون مالاً أو أجراً على عملهم الا بعض القليلين الذين يجدون دعماً من رابطة العالم الإسلامي ومن رئاسة الافتاء في المملكة وهؤلاء المحتسبون يفوقون في نشاطهم مئات المرات نشاط بعض الذين ابتعثوا للعمل في الدعوة خاصة ورتبت لهم المرتبات الشهرية.

وأما الجمعية الإسلامية فمعظم المسيطرين عليها من الشيوخ التقليديين الذين لم يطوروا الجمعية لما بينهم من الخلافات والمنازعات الشيء الكثير ومنذ ثلاث سنوات وهم يحاولون اختيار رئيس للجمعية ومكتب إداري.

وأما فرع الجمعية الإسلامية في بوبوجلاسو فحاله أحسن بكثير من حال المركز الرئيسي في (واغادوغو) وذلك أنهم استفادوا كثيراً من جهود الدعاة المبتعثين من المملكة فلا منازعات ولاشقاق بينهم ولاتعصب طائفي ولاقبلي كما هو حال زملائهم في العاصمة.

هذا ومما تجدر الاشارة إليه أنَّ المدارس العربية الإسلامية لها دور كبير في حفظ كيان الإسلام في فولتا العليا لأنَّ أي طالب يدخلها فإنه يدخلها باسم الإسلام ولابد أنَّ يتعلم تلاوة القرآن الكريم وأمور الدين.

ويبلغ عدد طلبة المدارس العربية الإسلامية خمسة عشر ألفاً. ومما لاشك فيه أن بعض هذه المدارس أكثر جدية ونفعاً وانتاجاً من البعض الآخر، وقد قام المبتعثون من المملكة وخاصة الأخ الشيخ أحمد محمد صالح بدور كبير في تطوير مناهج الكثير من هذه المدارس

وإرشاد أهلها. وكثيراً ما يزورها ويناقش تلاميذها في المواد التي يتعلمونها وخصص جزءاً من وقته لتوجيه بعض معلمي هذه المدارس ومساعدتهم بالكتب التي تصله من المملكة العربية السعودية ولكن المجهود الرئيسي هو في الحقيقة من عمل إخوتنا المسلمين الإفريقيين جزاهم الله خيراً.

وأما الطلبة الذين يتَلقَون دراساتهم في مدارس الحكومة أو في مدارس المبشرين فإنهم ينشأون نشأة علمانية لادين لهم ولاخلق إلّا من رحم الله ولذلك كان الفلانيون يفضلون بقاء ابنائهم رعاة على دخول مدارس المستعمرين وبذا فقد أبقوا على إسلامهم فقلما تجد فلانياً قد تنصر في فولتا العليا. ولكنهم يقرئون ابناءهم القرآن وبعض أبواب الفقه المالكي في الريف والبوادي فكثيرون منهم يحفظون القرآن الكريم.

الطريقة التيجانية واتباعها :

الأصل في مسلمي فولتا العليا أنهم كانوا قبل قيام جماعات السنة المحمدية تيجانيين لأنهم يزعمون أن الشيخ أحمد التيجاني قد مرَّ في أصقاع فولتا العليا وقال لهم: لايصح إسلام أحدهم إلّا اذا دخل في الطريقة التيجانية، ولكن بعد قيام حركة جماعات السنة المحمدية وبعد تواجد المبعوثين فقد ترك التيجانية خلق منهم وغدوا من المحاربين لها إلّا أنَّ الكثيرين الآن لايزالون على تيجانيتهم وهم حالياً ثلاث فرق:

الفرقة الأولى : وهم اتباع الشيخ رحمه الله واسمه سيد محمد ميغا ويلقبه اتباعه بشيخ الإسلام يعظمه اتباعه ويجمعون له زكوات أموالهم وصدقات فطرهم فيعيش معيشة الاغنياء وله خدم وحشم.

الفرقة الثانية: وهم اتباع الشيخ دوكري وهذه الفرقة ترى وجوب صلاة الجمعة وأنها مارفعت ولكنها تتمسك بعقائد الطريقة.

الفرقة الثالثة : وهم أتباع الشيخ حسان مختار وكان يلقب بالحداد ويلقب بشيخ الإسلام يعتقد أتباعه أنّه هو أحق بإمامة الطريقة التيجانية من الآخرين وقد بنىٰ بيتاً في بلدة تكري وحفر بجانبه بئراً زعم السذج والاغبياء من اتباعه أن الذهاب إليها كالذهاب إلى مكة وقد توفي ذلك الشيخ منذ عهد قريب فانتهى أمر ذلك المبنى وماحوله.

الجمعيات الإسلامية: في فولتا ثلاث جمعيات دينية الجمعية الإسلامية muslmapne Communaute ومقرها الرئيسي في العاصمة واغادوغو وقد أنشئت عام ١٩٦٨م لجمع شمل المسلمين، والدفاع عن حقوقهم، وكان عدد المسلمين في العاصمة في ذلك الوقت قليلاً جداً

بحيث كان يحتويهم مسجد تبلغ مساحته ربع مساحة المسجد الكبير الآن، ومع ذلك كانوا يرونه كبيراً بالنسبة لعددهم.

جمعية أهل السنة Communaute Sonnite ، وقد انبثقت من الجمعية الأم وانشئت ١٩٧٨م.

الجمعية التيجانية Association Tujanite وهي منبثقة أيضاً من الجَمعية الإسلامية وأسست سنة ١٩٧٧م ومقرها أيضاً في واغادوغو.

أما الجمعية الإسلامية ـ الأم ـ فهي ذات الأغلبية الساحقة ولها فروع وتنظيمات بحيث تغطي فولتا كلها مدنها ومراكزها وقراها. وهي المسئولة عن شئون المسلمين جميعاً في فولتا العليا، فمدارسها الكثيرة مفتوحة للجميع، وحينما تأتي منح من البلاد العربية تعلن عنها وتجرى مسابقة بين كل المتقدمين وتختار العدد المناسب للمنح دون تفرقة أو تحيز.

كما أنها تقوم بالوعظ في الإذاعة لتوضيح أمور الدين كما أن خطبة الجمعة تذاع من مسجدها الكبير إلى كل أنحاء فولتا العليا وتقوم بالوعظ في مناسبات الزواج والعقيقة والقدوم من الحج ويجتمع عدد كبير في هذه الحفلات وغالباً مايدخل أثناء الوعظ عدد من الكفار في الإسلام يختارون لهم أسماء إسلامية كأحمد، وعثمان وإبراهيم، وفي المسجد الكبير يقرأ الحديث والتفسير في أكثر أيام الأسبوع ويتبع غالبية أهل البلد مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى.

أهل السنة : أما جمعية أهل السنة فلها نشاط عظيم حيث يقومون جماعات بزيارة المساجد للوعظ في القرى رغم ضيق ما بأيديهم، ويهتمون بنشر العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة، ولهم في أحياء واغادوغو أكثر من ثمانية عشر مسجداً صغيراً كما يهتمون بنشر اللغة العربية في المسجد، وفي مدرسة تابعة للجمعية.

الجمعية التيجانية : لها نشاطها الذي لاينكر في نشر الدين واللغة العربية فلهم مدرسة ابتدائية يدرس فيها الدين واللغة العربية كما أن لهم مسجداً في قرية رحمه الله قرب مدينة وتيجبا Guobiyuya ويؤم تلك القرية في المناسبات ولاسيما مولد النبي ﷺ آلاف مؤلفة لسماع الوعظ والذكر.

التنصير في فولتا العليا :

لقد واكب دخول جحافل التنصير إلى فولتا دخول جيوش المستعمرين الذين أتاحوا لهم

فرصاً كثيرة لتحقيق مآربهم فافتتحوا المدارس وبنوا الكنائس والمعابد دون قيد أو شرط وكانوا يقتادون أبناء الافارقة ويدخلونهم في المدارس بطرق الإغراء والترغيب ونشأ عن ذلك أن كثيرين تتلمذوا عليهم واصبحوا على ديانتهم وابتعثوا للدراسات العليا في فرنسا وهم الذين يتولون المناصب الإدارية والوزارية في الدولة في الوقت الحاضر وأما أولئك الذين فضلوا الجهل فهم الرعاة والمزارعون.

واقدم فرق التبشير هي الكنيسة الكاثوليكية وقد أنشأت الآف الكنائس في المدن والقرى والارياف والغابات وأتبعت بعض هذه الكنائس بمدارس ومشاف واتباعها كثيرون ثم تلتها الكنيسة البروتستانتية واتباعها من المتعلمين ولها كنائس ومدارس ومستشفيات ثم الكنيسة الارثوذكسية واتباعها أقل. هذا ونسبة اتباع هذه الكنائس كلها من ١٣ ـ ١٤٪ من سكان فولتا العليا البالغ عددهم ٨ ملايين نسمة والكنيسة الكاثوليكية لاتعتبر الذي يتزوج أكثر من امرأة واحدة مسيحياً والرجل الإفريقي لايقدر أن يبقى على زوجة واحدة وهذا مما حدا بالكثيرين أن يتركوا المسيحية ويدخلوا في الإسلام.

وقال لي بعض المشايخ في مجتمع فولتا العليا إن المبشرين ليسوا مشغولين باثارة العداوات القبلية في فولتا كما قيل اذ أنَّ العداوات القبلية في إفريقية متأصلة وقديمة ولكنهم أي المبشرين يثيرون الاحقاد والضغائن بين الشعوب الإفريقية والعربية زاعمين أن العرب يستعبدون الافارقة كما يثيرون احقاداً ودعايات كاذبة عن المملكة العربية السعودية فيزعمون أن الدين الذي في السعودية ليس دين الإسلام وإنما هو دين الوهابية وأن زي المرأة السعودية ليس زي الإسلام وإنما هو زي الوهابيين ويشيعون أن أهل مكة يقطعون رؤوس بعض الحجاج ويتاجرون بها.

ويرد عليهم أهل السنة مدافعين فيقولون إن المملكة العربية السعودية هي قلب الإسلام وحامية مقدساته ونظراً لأنها الدولة التي تقيم شرع الله في الأرض وقد أفاء الله عليها من الرخاء والنعم فإنَّ أعداء الإسلام يروّجون ضدها الشائعات والمنكرات ليقطعوا الصلة بينها وبين الشعوب الإسلامية... وإلّا فكل مافي المملكة العربية السعودية من احكام وحدود هو من صميم الإسلام.

كما يشيع المنصرون واتباعهم الاكاذيب الفاحشة حول سيرة رسول الله ﷺ، والأمثلة على ذلك كثيرة ونكتفي بذكر مثال واحد في هذا المقام وهو قولهم أن الرسول ﷺ كان ذات يوم راكباً خنزيراً على رأس جيشه فاسقطه الخنزير وفرَّ منه فخجل ﷺ عندما سقط أمام جيشه فصرخ: «حرام، حرام» فظن المسلمون وهم في هرج ومرج أن الرسول ﷺ يعنى أنَّ لحم

الخنزير حرام ومن هنا جاء تحريم لحم الخنزير عند المسلمين.

وكل المسلمين يردون هذه الفرية ويبينون فسادها بأن تحريم لحم الخنزير ورد في القرآن الكريم صريحا في أكثر من موضع هذا وإنّ أهم وسيلة للتبشير أو التنصير حالياً هي التعليم في المدارس وافتتاح المشافي وتقديم الخدمات الطبية وحفر بعض الآبار الإرتوازية في المناطق الريفية.

وإليكم بياناً بالمدارس التي تملكها الكنائس في فولتا العليا: تملك الكنائس مايربو على خمسين مدرسة ابتدائية وهناك تسع مدارس إعدادية وهي على النحو التالي:

١ ـ إعدادية القديسة تيريز في مدينة بانفورا.
٢ ـ إعدادية القديسة مونيك في مدينة كودغو.
٣ ـ إعدادية القديسة ماريا في مدينة ويغويا.
٤ ـ إعدادية القديسة ماري رينيه في بلدة تانكدغو.
٥ ـ الاعدادية الحديثة في بلدة نونا.
٦ ـ اعدادية البنين في جيبوغو.
٧ ـ اعدادية البنين في توسينا.
٨ ـ اعدادية البنات في كوبيلا.
٩ ـ الاعداية البروتستانتية في واغادوغو.

وأما المدارس الثانوية ومعظمها للكاثوليك فهي كمايلي:ـ
١ ـ ثانوية لاسال في العاصمة واغادوغو.
٢ ـ ثانوية جوزيف ماكاسا في مدينة كودغو.
٣ ـ ثانوية تونوما للبنين في بوبوجلاسو.
٤ ـ ثانوية القديسة تونوما للبنات في واغادوغو.
٥ ـ الثانوية البروتستانتية في واغادوغو.

كما تهتم الكنائس بالتعليم المهني حتى يكون أرباب الصناعات المهرة من المسيحيين وقد اسسوا عدداً من المدارس المهنية في طول البلاد وعرضها وهي على النحو التالي:ـ

١ ـ اعدادية التكوين المهني في نونا وتعلِّم البناء والنجارة وميكانيك السيارات والكهرباء ومدة الدراسة فيها سنتان.

٢ ـ اعدادية التعليم المهني في فنداغورما ومدة الدراسة فيها أربع سنوات وتعلم الميكانيكا

والكهرباء والبناء والرسم الهندسي والتصميم المعماري والنجارة.

٣ ـ المدرسة الفنية للبنات في بوبوجلاسو ومدة الدراسة فيها أربع سنوات وتعلم الاقتصاد المنزلي والريفي وكثيراً من المهارات الضرورية للنساء هذا بالإضافة إلى مدرستين لتكوين رجال الدين إحداهما في بلدة بابري شمال واغادوغو والثانية في بلدة ناسو شمال بوبوجلاسو.

وأما المشافي فعددها كثير إلاّ أن أكبرها هو مستشفى الأصدقاء الخمسة في العاصمة واغادوغو ويشمل اقسام الامراض الباطنية والمناطق الحارة والعيون والتوليد وغيرها.

وللكنيسة مطابع ومكاتب لبيع الكتب والقرطاسية والادوات المكتبية ومعظمها من صناعتهم في داخل فولتا العليا ولهم مزارع لتربية الدواجن إلاّ أن أكثرها خسر خسارة مادية بسبب سرقات العمال هذا وكان في السابق في إدارة هذه الكنائس اثنان من الكرادلة احدهما في بوبوجلاسو العاصمة القديمة والآخر في (واغادوغو) العاصمة وكانا اوروبيين ولكن منذ خمس سنوات فقد قرر الفاتيكان تعيين كاردينالاً واحداً درس هناك خمساً وعشرين سنة وهو فلتاوي واسمه زونفرانا، وهو يزور رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء للتقرب وابداء المشورة.

وكتب إلينا أحد الدعاة إلى الله في فولتا العليا مايؤكد بعضه ماسبق ويزيد بعضه عليه حول نشاط المنصرين في البلاد فقال:

أثار تزايد المسلمين والاقبال على اللغة العربية التي هي لغة التعليم الإسلامي حنق أرباب الطوائف المعادية المختلفة مما جعلهم يضاعفون جهودهم ويستغيثون بالمنظمات الدولية لتمدهم بما يعينهم في تنفيذ مخططاتهم وأغراضهم واستعملوا لذلك حيلهم الماكرة، والمنظمات تسرع بمدهم بما يحتاجون إليه، ولما وجدوا الدعاة إلى الدين الإسلامي الحنيف يحبطون كيدهم ويشلون حركتهم في المدن الكبيرة، بدأوا يتحولون إلى أماكن أخرى تكاد تخلو من العمل الإسلامي، في المدن الصغيرة والقرى والأرياف حيث ينشرون ضلالهم ويحاولون أن يصدوا أبناءها عن صراط الله المستقيم (فطرة الله التي فطر الناس عليها).

وهم مع الأسف يمارسون في دأب وإصرار اجتذاب الناس إلى ضلالهم، ويضحون في سبيل هذا الباطل براحتهم وأموالهم ويشاركون أهل الريف والقرى والأدغال في حياتهم، ويدرسون مواطن حاجتهم وضعفهم فيمدونهم بالغذاء والكساء، ويدعونهم إلى أماكن الدعوة التي يعملون فيها شيئاً من التدبير المنزلي أو طرق الزراعة أو الصناعات الخفيفة التي تلائم بيئة الريف، وبالتالي يجذبونهم إلى عياداتهم الطبية للعلاج وبالتالي إلى كنائسهم للعبادة ومن هنا يتم الاستيلاء على عقول السذج والمحتاجين ويسهل عليهم الوصول إلى

أهدافهم تلك سذاجة الريفيين وسلامة طويتهم وظنهم الخير بكل من يمد إليهم يد الإحسان.

ومعظم المعونات التي تصل إلى فولتا العليا من المنظمات الدينية الخارجية تصل مباشرة إليهم عن طريق هؤلاء المنتشرين بين صفوفهم والمتوغلين في أعماقهم. بينما تأتي معونات كثيرة من الدول العربية وتسلم إلى أولى الأمر ويعلن عنها في الإذاعة وقد ينتهي أمرها عند ذلك دون أن تصل إلى إيدي وأفواه المعنيين بها، وقد يستفيد بها غير المحتاجين إليها.

وفيما يلي بيان موجز عن أهم هيئات التنصير المعادية للإسلام:

هيئات التنصير:

١ـ هيئة التنصير الكاثوليكية Mission Catholique ومقرها الرئيسي في واغادوغو حيث توجد كنيستهم الكبيرة المسماه بالكاتدرائية Cathedrale ويوجد رئيسها المسمى بالكاردينال Le Curdinal وقد اختاروه من أهل الوطن ليكون مستقراً في بلده ينشر الضلال والخرافات ويعينه في ذلك جنود مخلصون له من القسس والرهبان والراهبات من الفولتاويين والأجانب من إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وغيرها وينتشرون في كل مكان في فولتا العليا حتى لاتخلو منهم القرى والكهوف.

فلهم كنائس شتى في الاحياء والمدن والمراكز والقرى ولهم مستشفى للولادة وآخر للعيون في واغادوغو هذا غير العيادات المنتشرة في الأقاليم وهذا غير المدارس التي لاتكاد تخلو منها قرية فضلا عن مدينة.

٢ ـ هيئة البروتستانت Les Eglises Protestantes ومقرهم في تانجى Tanguin ولهم مدارسهم الابتدائية والثانوية وكنائسهم في كل مكان.

٣ ـ الانجيليون Les Evangelistes ولهم كنائسهم ومكتباتهم التي يبيعون فيها الكتب الدينية ومنها كتب معادية للإسلام.

هيئة الادفنتست Mission Adventiste ومقرهم بالحي التجاري في واغادوغو ولهم كنيسة وقاعة للمحاضرات يلقون فيها تعاليمهم ويعرضون الاشرطة التي تتكلم في الدين والعلم أو العلم والإيمان بما يتفق مع عقائدهم وغالب أفلامهم أمريكية ولهم مزرعة كبيرة فيها مدرسة زراعة يخصصون لكل تلميذ منطقة يزرعها مطبقا ماتعلمه عليها وورشة كبيرة لصيانة الجرارات والمكينات وتبعد مزرعتهم عن العاصمة بحوالي ٧٠ كيلو متراً في بلدة تسمى بسيجا

Bsugha وهؤلاء يرمون المذاهب النصرانية الأخرى بعبادة الأصنام لاسيما الكاثوليك منهم. وهم في الظاهر فرع من البروتستانت.

شهـود يهوه : انتشر شهود يهوه في فولتا العليا وأصبح لهم ستة أوكار يسمونها مسمى كنـائس في مدن فولتا العليا ولهم كنيستان في واغادوغو وتتجلى خطورتهم في أنهم يطوفون بالمنازل لعرض أفكارهم وشد الناس إليهم ويبيعون لهم الكتب بأثمان زهيدة وهي بلغات مختلفة عربية وانجليزية وفرنسية وبعض المسلمين يشتري كتبهم ويظنها كتباً إسلامية لأن مايكتب باللغة العربية ويتكلم عن الدين فهو إسلامي في ظنهم وقد قام الدعاة إلى الله بتحذير المسلمين من شراء هذه الكتب منهم وهم يرددون في كتبهم أنه لن يدخل الجنة الا من كان معهم كما قال آباؤهم من قبل (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) وهم أقرب إلى اليهودية منهم إلى النصرانية.

والبهائيون لهم مقرهم في جونجي Goungun وهو حي من أحياء العاصمة. وهم يدعون إلى دين جديد دين بهاء الله وهم أصلا من إيران ويتجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ويساعدهم اليهود في نشر أباطيلهم المعادية للإسلام، لأنهم يدعون أن الأديان السماوية القديمة انقضـى عهدها. ولا يلائم مفهومها العصر الحديث المحتاج إلى دين سماوي يواكبه ويفهم أسراره وتقدمه وهذا هو المدعو دينهم.

احتياجات الدعوة في فولتا العليا :

١ ـ مركز إسلامي كبير في العاصمة يضم مكتبة عامرة بكتب العقيدة والتفسير والحديث والفقه والسيرة وتاريخ الإسلام وبه كتب لشرح مبادىء الإسلام باللغة الفرنسية وكتيبات عن الصلاة وكيفيتها والزكاة وأنصبتها والحج والصوم وكل ما يلزم المسلم ويكون للمركز فرع كبير تابـع له في مدينة بوبو جلاسو على أن يكون في مركز العاصمة علماء من الدعاة إلى الله يوضحون للناس أمور دينهم.

٢ ـ مستشفى كبير إسلامي في العاصمة يشمل عدة عيادات في الأقاليم يزورها أطباء المستشفى من وقت لآخر.

٣ ـ مدارس إسـلامية تنشأ في العاصمة وفي الأقاليم تحمل اسم الهيئة الإسلامية التي تنشئها سواء أكانت الرابطة أو دار الافتاء أو اية جهة أخرى خاصة أو رسمية في المملكة العربية السعودية أو غيرها من الدول الإسلامية ويمكن التعاون في هذا المجال بين الهيئات الإسلامية في البلدان الإسلامية.

٤ ـ الإكثار من الدعاة والمدرسين والمقرئين بحيث ينتشرون فيستفيد منهم الجميع .

٥ ـ الإكثار من المنح الدراسية في الموضوعات الإسلامية والمدنية ليجد منها الممتازون من خريجي هذه المدارس طريقاً ميسراً لإكمال تعليمهم الديني .

٦ ـ مد بلاد فولتا بالمعونات من وقت لآخر من الاغذية والأدوية أو البعثات الطبية التي تجوب ربوع فولتا العليا من وقت لآخر وليست هذه الأمور بكثيرة على المسلمين الغيارى على دينهم لأن المسلمين والحمد لله لهم إمكانات واسعة وفيهم رجال مخلصون وإنما المهم هو توجيه الجهود وإخلاص العمل لله والمثابرة على ذلك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

التعليم الإسلامي :

لابد من النظر الجاد إلى التعليم الإسلامي في فولتا العليا وهو يتألف في الوقت الحاضر من قسمين رئيسيين :

القسم الأول : خلوات تعليم القرآن : وهي تعنى بتلقين ابناء المسلمين بعض سور القرآن الكريم .

القسم الثاني : المدارس الابتدائية وهذا القسم اكثر اهتماماً وعناية بالطلاب من القسم الأول حيث أن الطلاب يتلقون إلى جانب القرآن الكريم دروساً في مباديء اللغة العربية والفقه الإسلامي والأحاديث النبوية وبعض هذه المدارس لابأس به إذ يتخرج منها طلاب قد اتقنوا اللغة العربية فهماً وقراءة والبعض الآخر لايحقق الغرض المرجو منه بسبب ضعف المدرس المشرف على هذه المدرسة وعدم اهتمامه بالطلاب إذا أنه يوكل بعضهم ببعض ويذهب لبعض شأنه .

ويوجد في بوبوجلاسو مدرسة عربية نموذجية تشرف عليها الجمعية الإسلامية وقد تقدمت هذه المدرسة تقدماً ملموساً حيث جعلت لها منهجاً دراسياً يتفق تماماً مع المدارس الابتدائية والاعدادية في البلاد العربية وفي العام الماضي تخرج منها عدد لابأس به من حملة الشهادة الاعدادية فذهب بعضهم إلى ابي ظبي والتحقوا بالمعهد الديني هناك وذهب آخرون إلى الكويت والتحقوا بمعهد المعلمين وذهبت جماعة أخرى للمدينة المنورة التحقوا بمعهد الجامعة الإسلامية فيها .

والمشكل الكبير أمام المدارس العربية في فولتا عموماً هو قلة وندرة وجود الكتاب المدرسي بايدي الطلاب مما يضطر المدرس أن يضيع وقته في كتابة المذكرات في المواد الدراسية .

المنهج السليم لنشر الدعوة :

إن أنفع منهج لنشر الدعوة في هذه البلاد ليس إلّا عن طريق افتتاح المدارس الإسلامية لأن النـاس يحبون حباً شديداً أن يتعلموا اللغة العربية والدين الإسلامي فماداموا هكذا فليكثر عدد المدارس الإسلامية ويتولى شئونها مدرسون ومعلمون لهم علم صحيح بالإسلام واللغة العربية ثم تتوفر لديهم في هذه المدارس الكتب المدرسية إذ في ذلك انقاذ للابناء من الجهل والعمى الذي هم غارقون به فليس هناك ما يفتك بالإسلام مثل جهل ابنائه به .

ثم الـوعظ والارشاد في المساجد بكل لين ولطف هذا إلى جانب الاتصال الفردي مع مشـايخ ورجالات البلد بعمل دعوات خاصة لكل منهم والتحدث معهم بشأن الإسلام فمثل هؤلاء عندما يُطعم ويكرم فإنه على الأقل يكف اذاه عن الداعية إن لم يرد الاستماع إلى نصحه وإرشاده .

كما ينبغي أن يزود الداعية بالنشرات والرسائل والكتب الإسلامية مترجمة لاكثر من لغة اجنبية توزع على من يلمس منهم الخير والفائدة من أجل المعلومات التي يسمعونها بآذانهم تتثبت عند قراءتهم لهذه الكتيبات والرسائل .

وهذا واذا لم يكن للداعية مدرسة يتصل بالآخرين عن طريقها فينبغي أن يكون له مكتب بسيط يضع فيه بعض الكتب والنشرات ويأتي إليه الزوار وطلبة الفائدة فيجلس إليهم ويرد على استفساراتهم وإن لزم الأمر يعقد ندوات علمية في هذا المكتب فيكون جميلاً إن لم يتسن ذلك في بيوت الله حيث أن بعض الأماكن في افريقية المساجد بها محتكرة لفئة خاصة من الناس .

ويمكن أن يوسـع هذا المكتب فيصبح مركزاً ثقافياً إسلامياً يحتوى على مجموعات من الكتب الإسلامية والعربية وصحف ومصاحف .

توصيات الوفـد :

في ختام الكلام عن (فولتا العليا) لأنرى مانعاً من ايضاح ماذكره وفدنا المؤلف مني ومن الأخ السفير عبدالوهاب الدكوري حول فولتا العليا وهو يتضمن عرضاً ملخصاً لما عملناه وبيانـاً بالاقـتراحـات والتـوصيات التي رأينـاهـا لتنشيط الدعوة الإسلامية في فولتا العليا (بوركينافاسو) إضافة إلى ماسبق .

فولتا العليا :

أنجزنا مايلي :

أ ـ الاطلاع على مقر مركز رابطة العالم الإسلامي في واغادوغو العاصمة الذي انتهي

العمل فيه واجتمعنا عدة مرات بالدكتور عدنان قباني المدير المعين للمركز وبالمشرف على بناء المركز المهندس (موسى بولي).

ب ـ زرنا عدداً من الجمعيات الإسلامية الرئيسية وجمعية انصار السنة واجتمعنا برئيسها الرائد سليمان ودراغو مدير مطار العاصمة.

والجمعية الآخرى الكبيرة وهي الجمعية الإسلامية. واجتمعنا بنائب رئيس الجمعية وأمينها العام الحاج سعيدى بولي وهو محافظ متقاعد وعدد من الشخصيات الهامة فيها عدة مرات في مقر الجمعية في ركن من الجامع الكبير.

كما زرنا عدداً من المدارس التي تشرف عليها وبحثنا مع المسئول عن التعليم في الجمعية الشيخ أحمد جالو. والأخ إبراهيم جالو مدير الإدارة الشرقية في وزارة الخارجية في الوقت الحاضر. ورئيس الجمعية السابق الحاج حسن قدوري واحد اعضائها المهمين والمشرف على البرنامج الديني في الاذاعة والتلفزيون.

وهي جمعية كبيرة لها فروع في كل محافظات البلاد وإن كانت تلك الفروع ذات استقلال داخلي وهي الجمعية الرئيسية المعترف بها من الحكومة. كما اجتمعنا بجمعية العلماء ورئيسهم الحاج أبو محمد سيقا وباكثر من عشرين من اعضائها.

جـ ـ اجتمعنا بالامبراطور (مورانابي كوغري) زعيم أكبر القبائل في فولتا العليا وهو مسلم متحمس وقد أسلم على يده عدد من افراد قبيلته. وله مكانة كبيرة في البلاد.

د ـ قابلنا رئيس الجمهورية العقيد (سايدي زوربو) في مكتبه الرسمي في مقر رئاسة الجمهورية وبحثنا معه مسألة الإذن بفتح مركز الرابطة ومكتبها فرحب بذلك ووافق على منح المكتب الحصانة الدبلوماسية كما شرحنا له قرارات المجلس التأسيسي للرابطة في دورته الطارئة.

وقد تفهم ذلك وكان أهم ماطلبه منا ابلاغ تحياته لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله كما ابدى امتنانه للمملكة العربية السعودية على المساعدات القيمة والعلاقات الطيبة مع هذه البلاد وقال انه يسرني أن ابلغكم امتنان جميع شعب فولتا العليا للمملكة العربية السعودية.

هـ ـ قمنا بزيارة عدد من المساجد واتصلنا بطائفة من طلبة العلم وائمة المساجد في هذه البلاد.

المرئيات والاقتراحات :

أ)- الجمعية الإسلامية الرئيسية في فولتا العليا بحاجة ماسة إلى بناء مقر عام لها اذ يملكون أرضاً لهذا الغرض ولكنهم لايستطيعون بناءها والمملكة العربية السعودية أولى بمساعدة هذه الجمعية الرئيسية من غيرها لأنها جمعية مهمة واعضاؤها من كبار الشخصيات البارزة ومن كبار الموظفين السابقين.

ويمكن مساعدتهم على بناء مقر لهم بمعونة تصرف بواسطة رابطة العالم الإسلامي وتكون على مراحل. وحسب سير العمل في المقر.

ب - المنح الدراسية لابناء فولتا العليا في جامعات المملكة قليلة نسبياً ويجب النظر في هذا الأمر وذلك بأرسال وفد من الجامعات الإسلامية في المملكة التي تقدم منحاً لابناء المسلمين في الخارج ومن رابطة العالم الإسلامي ليزور ذلك الوفد اقطار غرب إفريقية المحتاجة للمنح الدراسية وبخاصة النيجر وفولتا العليا ومالي وساحل العاج وتوقو وبنين على أن يكون الوفد مفوضاً بتوزيع منح دراسية على تلك الأقطار يكون عددها محدداً معروفاً للمنطقة ويكون موزعاً توزيعاً مرنا على اقطارها بحيث يمكن للوفد اذا رأى أن بعض الاقطار أحق من بعض في زيادة عدد المنح فيه كانت لديه صلاحية في أن يفعل ذلك.

على أن يقوم الوفد باختيار الطلبة والتوصية بإعطائهم تأشيرات الدخول وفق ترتيب مسبق مع وزارة الخارجية وأن يقطع لهم التذاكر المطلوبة وفق قسائم تبادل يحملها الوفد أو بناء على ترتيب يتخذ مع الخطوط السعودية. ومعلوم أن خريجي الجامعات يكونون هم المؤهلين لقيادة الجماعات الإسلامية في المستقبل.

على أن يعقد أعضاء هذا الوفد بعد الموافقة عليه اجتماعات في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة يتفقون فيها بينهم على طريقة العمل ويستحسن أن ينضم إليهم مدير مكتب الرابطة في داكار وغرب إفريقية لخبرته في أمور هذه الأقطار ولغرض المتابعة في المستقبل.

ج - المساعدة على بناء المدرسة الإعدادية التابعة للجمعية الإسلامية في العاصمة على أرض موجودة مملوكة لهم.

د - النظر في مساعدتهم على بناء المساجد. وذلك بمساهمات من الرابطة (المجلس الأعلى العالمي للمساجد) ومن حكومة خادم الحرمين الشريفين على أن يتوجه وفد من الرابطة لتوزيع المبلغ الذي يتيسر رصده لهذا الأمر ولاينبغي أن يرسل وفد من دون اعتماد مالي.

هـ - جمعية انصار السنة تحتاج إلى تعمير المسجد لأنه مقام من أعمدة خشبية وسقف

رث من الصفيح مع أنه معمور بالمصلين والمستفيدين من التدريس والارشاد في أكثر الاوقات وتنبغي مساعدتهم على بنائه أو على بناء مسجد في أرض مملوكة لهم اطلعونا عليها. وذلك بمبلغ لاينبغي أن يقل عن خمسين الف دولار.

و ـ بالنسبة إلى مركز الرابطة في (واغادوغو) ينبغي الاسراع بايصال الماء والكهرباء والهاتف إليه وكذلك طلب اصدار الإذن الرسمي بالافتتاح بناء على الموافقة السابقة من الرئيس وينبغي أن تتضمن رسالة الإذن بالافتتاح الرسمي الإذن بتعيين الفنيين الذين سيعملون في المركز من هذه البلاد على نفقة الرابطة وتأمين المبالغ اللازمة لذلك.

ونقترح أن تعمل الرابطة في المستقبل على بناء مسكن لطبيب المركز في جانب من الأرض الواسعة التي يملكها المركز حتى يكون ذلك أضمن لاستمراره في المركز وتقديم الاسعافات الضرورية في غير أوقات الدوام الرسمي.

ونرى أن هذا المركز الجيد الذي بنته المملكة العربية السعودية وأنفقت عليه مبالغ طائلة ينبغي أن يفتتح افتتاحاً رسمياً مشهوداً وأن يفتتحه القائم بأعمال السفارة في نيامي ويحضر الافتتاح ممثلا عن الرابطة مدير مكتبها في داكار المسئول عن المراكز الإسلامية في غرب إفريقية.

ز ـ ارانا الامبراطور (موروناپي) مسجداً طينياً قديماً متهدماً بجانب قصره في العاصمة قال إنه سيعيد بناءه وأنه رفع التماسا إلى الملك المعظم بذلك. وقد رأيناه في أرض تابعة للسلطان وهو مسجد قديم لم يبق منه إلا اساساته الطينية والمنطقة تحتاج إلى مسجد لذا نرى مساعدته على بناء هذا المسجد.

إلى ساحل النعاج

يوم السبت ١٥/ ١٢/ ١٤٠٢هـ الموافق ٢/ ١٠/ ١٩٨٢م :

من باماكو إلى ابيجان :

انتهت في هذا اليوم زيارة رسمية قمت بها لجمهورية مالي الإسلامية وغادرنا مطار (باماكو) الساعة الرابعة والربع من بعد الظهر بتوقيت مالي المساوي لتوقيت جرنيتش مع شركة الطيران الفرنسية المعروفة اختصاراً باسم يوتى على طائرتها الفخمة من طراز (دي سي ١٠) التي كانت سيئة السمعة بسبب سقوط عدد منها في أماكن متفرقة من العالم.

المضيفون في الطائرة كلهم من الفرنسيين ومع ذلك كانت ضيافتهم في الدرجة الأولى متوسطة ولم يقدموا لركاب الدرجة الأولى هدايا رمزية كما اعتادت أكثر شركات الطيران أن تفعله من باب المجاملة أو ربما كان السبب في ذلك عدم المنافسة على هذه الخطوط الإفريقية من شركات قوية.

وصلنا مطار (أبيجان) عاصمة ساحل العاج بعد ساعة وخمس وعشرين دقيقة من الطيران ولم أكن أحمل سمة دخول إلى ساحل العاج وكانت السفارة الفرنسية في (باماكو) قد أبرقت بذلك إلى حكومة ساحل العاج كما فعلت الشيء نفسه وزارة الخارجية المالية ـ نسبة إلى مالي ـ حيث أبرقت لوزارة خارجية ساحل العاج لتمنحني سمة الدخول من مطار أبيجان.

وجدنا في الاستقبال في المطار صديقا لزميلي ورفيق سفري في هذه الرحلة السفير عبدالوهاب الدكوري اسمه (غوسو وتري) واسميناه (قوس ووتره) فغوسو: اصلها (غوث) العربية أما (وترو) فهو اسم أعجمي ربما جاءت به مناسبته للقوس إن صح التفسير.

وهو شخص ثري جداً ومعروف في البلاد فأسرع يحضر لي سمة الدخول وانصرفنا بسهولة من الجوازات، أما الجمارك فلم يفتشوا شيئاً من أمتعتنا وخرجنا من بوابة المطار.

في مدينة ابيجان :

حملنا الأخ (قوس ووتره) أو (غوسو وتري) بسيارة من سياراته العديدة وهي سيارة جديدة مكيفة الهواء ومع أن الجو رطب فإنه ليس شديد الحرارة بل هو دون حرارة مدينة جدة في الصيف مع أن ابيجان واقعة على ساحل المحيط الأطلسي، وفي موقع يعتبر داخل المنطقة الاستوائية.

قصدنا فندق متوسطا اسمه (اوتيل دي فرانس) ومع أن هذا الاسم شائع في فرنسا

والمستعمرات الفرنسية السابقة فإنه ذكرني بسميّ له في مدينة (تاناناريف) عاصمة مدغشقر نزلت فيه خلال رحلتين إلى مدغشقر، قصصت خبرهما في كتاب (مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين) الذي طبع أكثر من مرة.

كان الظلام قد خيم عندما خرجنا من المطار ورغم كون توقيت (ابيجان) هو نفسه توقيت (باماكو) فإن الشمس تغرب في أبيجان بعد باماكو بقليل لأن التوقيت اصطلاحي كماهو معروف وابيجان ذاهبة أكثر إلى جهة الغرب.

وعنـدما كنت أرى من خلال الظلام مظاهر العمارة والتشييد مما لانظير له في (باماكو) عاصمة (مالي) التي كانت ذات ماضٍ عريق وسلطان تاريخي عظيم ومنه سلطنة عظيمة ممتدة وصلت عند ازدهارها قبل سبعة قرونٍ من الأمن الشامل لرعاياها وزوارها مالم تصل إليه أوروبا وامريكا في الوقت الحاضر.

وكان المؤرخون من العرب عندما يصفون عظمة سلطنة مالي وبعضهم يسميها سلطنة السودان وبعضهم يسميها بلاد التكرور حسب العصور التاريخية كانوا يذكرون حدود تلك السلطنة أو المملكة فيقولون إنها تحد من الجنوب ببلاد الهمج الذين يأكلون لحوم بني آدم.

فقـد كان أهل هذه المنطقة التي فيها ساحل العاج الآن من الذين لم يكن لهم ماض حضاري بل إن بلادهم لم تكن معروفة باسماء محدودة كما تعرف الآن وإنما هذه التسميات والحدود السياسية هي من عمل المستعمرين لأن هذه البلاد كانت لقبائل مختلفة ثم هاجرت إليها أعداد من الافارقة من قبائل معروفة ومن افراد غير معروفين.

وليس هذا بمجال الحديث عن أصل سكان هذه البلاد وإنما هو شيء أثارته في نفسي الحالة الحاضرة لمدينة (باماكو) عاصمة دولة مالي والحالة الحاضرة لابيجان عاصمة ساحل العاج.

بعد أن اطمأن بنا المقام في الفندق قليلا أرسل الأخ (غوسو وتري) إحدى سياراته فنقلتنا إلى بيته حيث وجدنا العشاء فيه قد أعدَّ وهو بيت سري لمسلم ثري ربما يأتي الكلام عليه فيما بعد.

وكان ألذ مافي الطعام أنه طعام وطني سوداني نسبة إلى السودان الغربي الذي قلبه جمهورية (مالي) التي منها مضيفنا جزاه الله خيراً، ولكنه بسبب ثقافته ونظافة بيته وخدمه قد جعل هذا الطعام من أفخر ماذقته في حياتي من الأطعمة في إفريقية الخضراء.

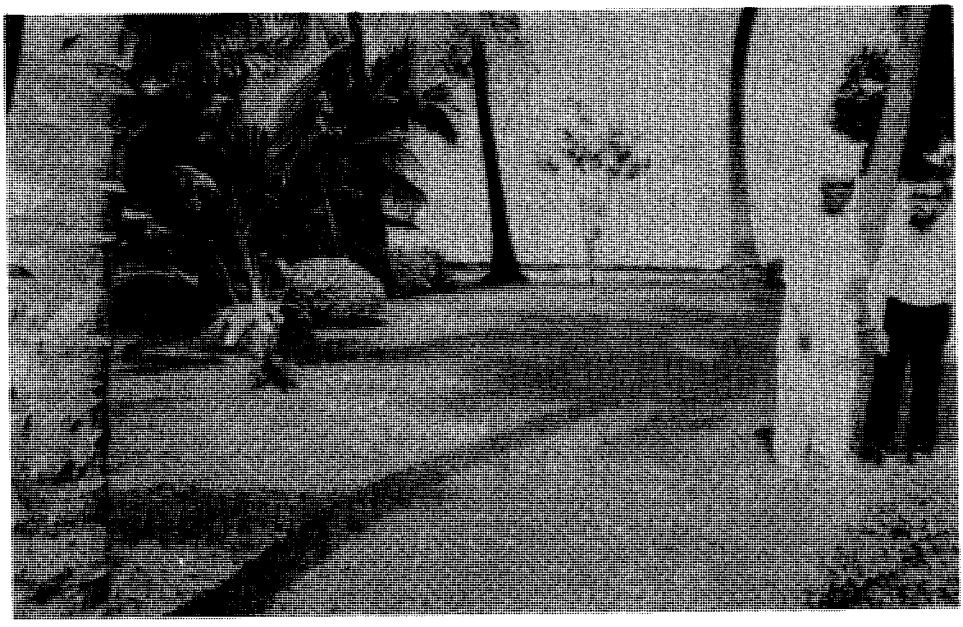

المؤلف مع الأخ غوس وتري في منزله في ابيجان

يوم الأحد : ١٦/١٢/١٤٠٢هـ ٣/ ١٠/ ١٩٨٢م

جولة في أبيجان :

كان المؤرخون يقولون كما أسلفت إن سكان هذه المنطقة هم من الذين لا ماضى تاريخياً لهم وأن أهل السودان يريدون أهل مالي وما الحق بها يأخذون منهم الرقيق ويبيعونه على التجار الذين يذهبون من المغرب إلى بلاد السودان للتجارة هذا ماكان المؤرخون القدماء يقولونه أما المتأخرون فيقولون إن الرقيق الذي كان يشترى من هذه المنطقة بالذات لم يكن جيداً فكانوا يسمونه (عبيد جان).

قالوا : وهذه التسمية هي التي تطورت فأصبحت بعد ذلك (ابيجان) هذا قول للمتأخرين حكيناه من دون أن نزعم أنه هو اليقين.

وأياً كان معنى التسمية فإنها ليست مهمة لنا إنما نهتم بأن نروى ماشاهدناه في هذه الجولة.

كان أول سيرنا على شاطىء البحر وهو المحيط الأطلسي ودليلنا هو الأخ (غوسووترى) وعلى سيارة له أخرى غير التي كانت معه بالأمس ويقودها بنفسه، وقد حرص على ذلك حتي

يشرح لنا ما نمر به من معالم المدينة وبخاصة أن اليوم هو الأحد يوم العطلة الاسبوعية.

فمررنا بأبنية (عمارات) سكنية حديثة تشعرك بالحرية الاقتصادية في هذه البلاد لأنها من الأبنية التي تشيد للاستثمار.

ثم وصلنا خوراً يسمى خليج لاجين وهو اسم فرنسي كما هو ظاهر. والأسماء الفرنسية هي الشائعة هنا لأن كل مافي هذه البلاد من المظاهر الحضارية وبخاصة المظاهر الاقتصادية إنما حصل بعد الاستعمار الفرنسي.

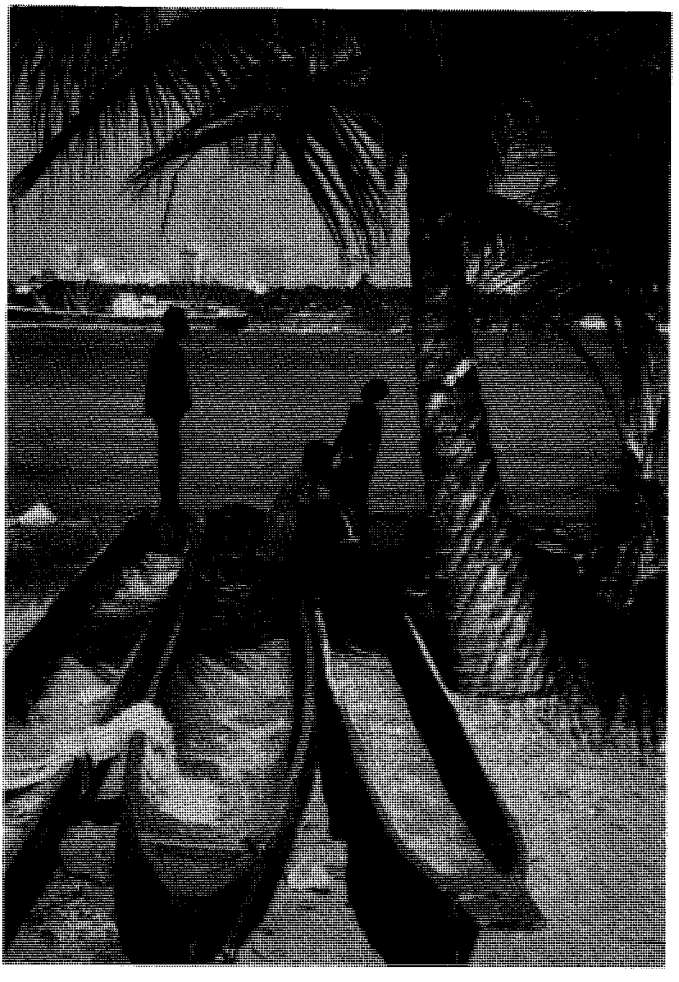

خليج لاجين في ابيجان

وقد اقاموا على هذا الخليج جسراً حديثاً واسعاً ذكرني بالجسور على الطرق الحديثة في بلادنا ويتسع لثلاثة مسارات للسيارات الذاهبة ومثلها للآيبة مع فاصل ضيق بين الاتجاهين فيه.

هذا مع أن هناك جسراً آخر غير بعيد منه يخفف من ازدحام السيارات عليه. ومن هذا الجسر افضى بنا طريق فاخر إلى منطقة ذات عمارات ضخمة تبين لنا أن صاحبنا ومرافقنا (غوسو وتري) يملك أكثر من واحدة منها ثم سرنا على طريق فاخر بجانب الشاطيء وهو الذي يسمى في عامة البلدان العربية (طريق الكورنيش) وهو طريق مزدوج قد غرسوا عليه أشجار النارجيل التي تزدهر في المناطق الاستوائية.

ثم اخترقنا حياً يسمى (اجيمي) مع طريق فاخر عليه جسر مزدوج. ومن هناك كان خروجنا إلى ضاحية فيها غابة كثيفة غير واسعة. وفي هذه الأحياء التي مررنا بها لايتصور المرء أنه في مدينة إفريقية إلا إذا تصور القسم الإداري أو الذي كان إدارياً من مدينة نيروبي وتصور مدينة سالسبوري التي أصبحت تسمى (هراري) وكلا المدينتين كانت مستعمرة انجليزية وكلتاهما كان المستعمرون البيض يظنون أنهم لايغادرونها فبنوها لأنفسهم وهذا من الفروق مابين الانجليز والفرنسيين أن المستعمرات الفرنسية التي يعلم الفرنسيون أنهم سيغادرونها لأن اغلبية السكان مسلمة كالسنغال قد أصبحت بعد الاستعمار مدنا ذات مظهر حضاري.

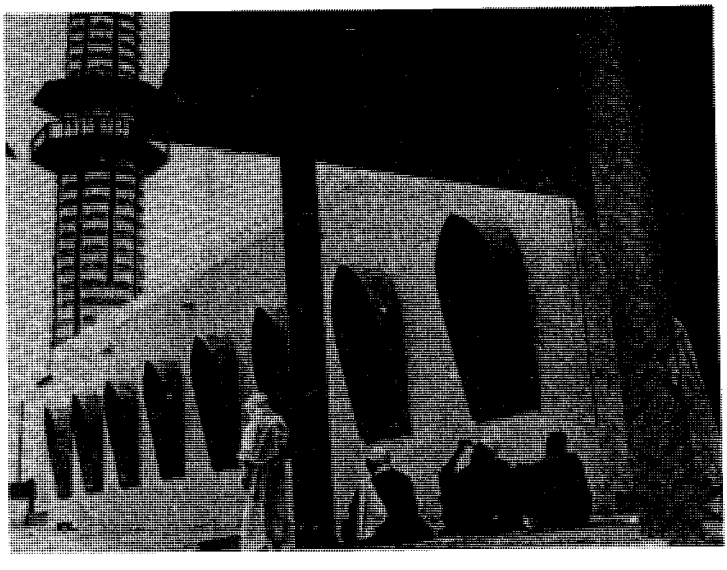

المسجد الجامع في
حي اجيمي في ابيجان

أمـا الانجليز فانهم اذا اعتقدوا أنهم سيخرجون يوما ما من بلد بمعنى أنهم لايظنون السيطرة المستمرة لهم عليه فإنهم لايسرعون إلى عمارته وهذا ظاهر من عدد من البلدان التي كانوا قد استعمروها أو كانت تحت نفوذهم فترة من الزمن مثل الصومال.

حي ابوبوجار :

ومعنى اسمه: حي المحطة لأن (جار) محطة بالفرنسية. وهو حي شعبي إلا أنه نظيف مرتب بالنسبة إلى الأحياء الشعبية في إفريقية. والسكان فيه هم من البانتو أو الذين يسميهم الأوروبيون (الـزنـوج) فسوادهم حالك وتقاطيع وجوههم كغالب أهل إفريقية تحت خط الاستواء ولايخالطهم أحد الا قلة ليست أصيلة في البلاد من المهاجرين من أهل السودان الغربي ـ مالي والسنغال وغينيا إلا أن كثيراً من هؤلاء السكان ذوو أجسام معتدلة في الطول فهم أقصر من أهل السودان الغربي قامات، واخف منهم أوزانا في الغالب.

ومن أهم مميزات السوق التي تذكرك إن نسيت بأنك في سوق إفريقي أكوام من الموز المنوع الذي بعضه كبير أخضر مما يطبخ ويؤكل وبعضه صغير أصفر مما يؤكل فاكهة كما نفعل نحن بالموز وكذلك أكوام وانواع من (الكاسافا) و(اليام) وهما من المآكل المنتشرة في إفريقية تحت خط الاستواء وهو ينمو تحت الأرض كما ينمو البطاطس إلا أن بعضه يكون كبيراً جداً ومستطيلاً اذا رأيته وانت لاتعرفه ظننته عروق اشجار مستخرجه من الأرض.

سوق شعبي في ابيجان

وشيء آخر يكثر في المناطق الاستوائية بل هو موجود في كل المناطق الاستوائية في جميع القارات وهو جوز الهند الذي هو ثمار النارجيل.

والسوق في هذا الحي طويل جدا إلا أن نظافته دون ابنيته في المستوى. وقد رأينا على جانب من الرصيف العريض لهذا السوق اكواما من الحطب الذي يباع من أجل الطبخ لأن طائفة من الشعب لايزالون يطبخون الطعام بالحطب.

في روضة الأطفال الإسلامية :

زيارتي لساحل العاج زيارة استطلاعية وليست زيارة رسمية ولذلك لم اقم بزيارة كل المدارس والمؤسسات الإسلامية ولأن اقامتي فيها قصيرة واقعة بين مهمتين رسميتين إحداهما في فولتا العليا والثانية في بنين (داهومي سابقا) وزيارة (روضة الأطفال الإسلامية) هذه تلبية لرغبة صديقنا الأخ (غوسو وترى) وهي مدرسة واسعة قليلة النظير في المدارس والكتاتيب الإسلامية التي غالبا مايكون بناؤها متواضعا، أو من مواد رخيصة بناها الأخ (غوسو وتري) تلبية لرغبة والدته الحاجة (تنا كلوبري) وقال إنه يأمل في أن تتطور حتى تصبح في المستقبل معهداً إسلاميا تديره ابنة له متعلمة اسمها (تناوتري).

والمدرسة واقعة على شارع تجاري عام ولذلك جعل في أسفلها حوانيت تؤجر ويصرف ريعها على ماتحتاجه المدرسة وهذا الشارع يتصل بطريق دولي ذاهب إلى مالي وغانا وفولتا العليا وتبلغ مساحة المدرسة الفين وسبعمائة متر مربع طولها على الشارع العام مائة متر قال ولقد اسسناها لتحمل خمس طبقات وقد انتهى منها الآن طبقتان، ويتبعها من خلف البناء مسجد ومسكن لمدير المدرسة وإمام المسجد وقاعة لاطعام الطلاب.

حديث عن الإسلام والمسلمين في ساحل العاج :

وبهذه المناسبة أخذ الأخ (غوسو وتري) يتحدث حديثاً عميقاً عن الإسلام والمسلمين وهو رجل مفكر نير الفكر مثقف قال: إننا نخاف أن يحدث هنا في المستقبل ماحدث في لبنان فالمسيحيون أقلية ولكنهم هم المتعلمون بيدهم الآن الوظائف والاعمال وتبلغ نسبتهم في البلاد ٢٧٪ والمسلمون هم الأكثر عدداً ولكنهم الأقل حظا من الوظائف والأعمال الحكومية بسبب عدم تعلمهم والا فإن نسبتهم تبلغ ٤٣٪ وبقية السكان من الوثنيين.

وإذا سارت الأمور في المستقبل كما تسير عليه الآن فإن نسبة المسلمين في البلاد ستبلغ ٦٠٪ بعد عشر سنوات والأولاد سيكونون أكثر تعلما وبالتالي يريدون المشاركة في الأعمال والوظائف مما قد يؤثر على المسيحيين الذين قد يدافعون عن مراكزهم فيحصل الصدام.

وهذا الذي قاله الأخ (غوسووتري) له مايبرره هنا وهو أن بعض المسلمين يعتبرون من الوافدين على هذه البلاد من مالي والسنغال والنيجر. ثم غادرنا المكان سائرين مع الشارع الذي تقع عليه روضة أطفال المسلمين وعجبت من كثرة السيارات التي تسلكه رغم كونه ذا اتجاهين واسعين واكثر هذه السيارات جديد ويدل مظهره على الجدة واليسار أو إن شئت قلت: الغنى واليسار مما يدل على الحرية الاقتصادية في هذه البلاد التي تتيح الفرصة لذوي رأس المال أن يستثمروا أموالهم وأن يتمتعوا بعوائد ذلك. إضافة إلى أن البلاد تصدر بعض السلع كالكاكاو والقهوة والخشب.

ومن ألطف الأشجار الذي زينوا بها الشوارع اشجار النارجيل رغم كونها شائعة لاتلفت النظر في مثل هذه البلاد إلا أنهم قد غرسوها على جوانب الشوارع وأحيانا في الجزر التي تكون بين الشارعين بطريقة فنية منسقة وعلى ارتفاعات ومقاييس في البعد مناسبة فغدت جميلة شبهتها ببعض النخيل التي غرسناها ونسقناها في شوارعنا بالرياض لولا أن النارجيلة أرشق قواما من النخلة وأكثر ملاسة في الجذع.

وكثير من الطرق في ضواحي المدينة الفاخرة ذات أرصفة عريضة جيدة لاتنقصها العناية والترميم. وقد أبعدوا العمارات عن الطرق الرئيسية وغرسوا مابينها وبين الرصيف العام بأشجار قصيرة أو زهور أو بمجرد اعشاب خضر فغدا منظرها أنيقا مما أعاد إلى ذهني بعض الأحياء في المدن الصغيرة والمتوسطة في بعض الولايات الأمريكية. وهذا يدل على التخطيط الممتاز للمدينة.

ويقول العارفون بالأمور إن هذا يرجع إلى سياسة الرئيس (بوانيه) وحنكته السياسية وعدم اندفاعه وحزبه في العاطفة القوية التي تعادي الأجانب أو تحقد عليهم مما جعله يستعين بالفرنسيين بل يبقى الصلات الاقتصادية والإدارية معهم وربما زادت عما كانت عليه.

كما أنه قاوم الشعور بالكراهية ضد الأجانب من الإفريقيين فلم يفعل كما فعله الغانيون ـ أهل غانا في ايام ازدهار غانا ثم مافعله النجيريون بهم وبغيرهم من الإفريقيين قبل عام من الطرد القبيح بالجملة الذي غدا حديث العالم وسبة الدهر في طريقة انفاذه من دون مراعاة للاعتبارات الإنسانية.

العودة إلى المدينة :

عدنا من هذه الضواحي الفاخرة التي تبين أنها لاتبعد كثيراً عن قلب المدينة مع شوارع جيدة السفلتة والرصف قد نسقت فيها حتى أعمدة الإضاءة بشكل جيد جميل وعليها العمارات البهيجة.

وفي الشوارع القريبة من قلب المدينة رأيناهم يكثرون من غرس أشجار من اشجار الظل خضر ذات ورق كبير وهي تبدو ريانة معتنى بها وأشجار ذات زهور برتقالية مما يتناسب مع الذوق الإفريقي الذي يفضل في الغالب هذا اللون على اللون الوردي.

مررنا بشارع جيد اسمه شارع (ميتران) على اسم الرئيس الفرنسي (فرانسوا ميتران). كما أن شارعا جيداً آخر هو المؤدي إلى المطار اسمه (شارع ديستان) على اسم الرئيس الفرنسي السابق (جيسكار ديستان).

فندق العاج :

اسم البلاد هو ساحل العاج والعاج هو سن الفيل، وهو سلعة فاخرة كانت غالية في القديم قبل اكتشاف المناطق الأستوائية التي تكثر فيها الفيلة في القارة الافريقية.

وتسمية هذه البلاد مثل تسمية جارتها (غانا) في زمن الاستعمار (ساحل الذهب) تدل على مافي أذهان المغامرين من المكتشفين والمستعمرين الأوروبيين من الطمع في امتلاك الثروة الإفريقية عندما جاؤا إليها وليس غرضهم من ذلك ما قاله بعضهم من أنه الحرص على تمدين هؤلاء الإفريقيين وانتشالهم من هاوية التخلف.

وقد غير أهل غانا ذلك الاسم الاستعماري (ساحل الذهب) وأبدلوه باسم يدل على الاعتزار بالماضي الإفريقي العريق وهو (غانا) وذلك من باب التيمن بتلك المملكة الإفريقية القديمة (غانه) وليس لأنها كانت تقع في بلادهم. فغانة القديمة تقع إلى الشمال من ذلك كثيراً أي فيما يعرف الآن شمال السنغال وجنوب موريتانيا.

إلا أن أهالي (ساحل العاج) لم يغيروا الاسم الاستعماري ولانقول حسنا فعلوا لأن تغيير الاسم من (ساحل الذهب) إلى غانا لم يغن شيئاً عن أهلها اذا افتقروا بعد غنى وذلوا بعد عز.

وطبيعي أن التسمية ليس لها دخل في ذلك وإنما ذلك بسبب سوء سياسة حكام غانا وكثرة الانقلابات العسكرية فيها مما جعل عدم الاستقرار فيها هو القاعدة وأشاع روح الانتهاز بين أولي الأمر فيها.

أما هذه البلاد (العاجية) فإنها تنعم بالاستقرار السياسي الذي يتبعه استقرار اقتصادي في الغالب وهي بهذا أحسن أضعافا مضاعفة من غانا رغم الاسم الاستعماري الغريب.

وليس هذا فحسب وانما اخذوا يسمون به أشياء هامة محدثة من ذلك فندق فاخر بنوه على

البحر في موقع جميل يتسم بالذوق الرفيع مثلما يتسم بذلك تخطيط البلدة وأسموه (فندق العاج).

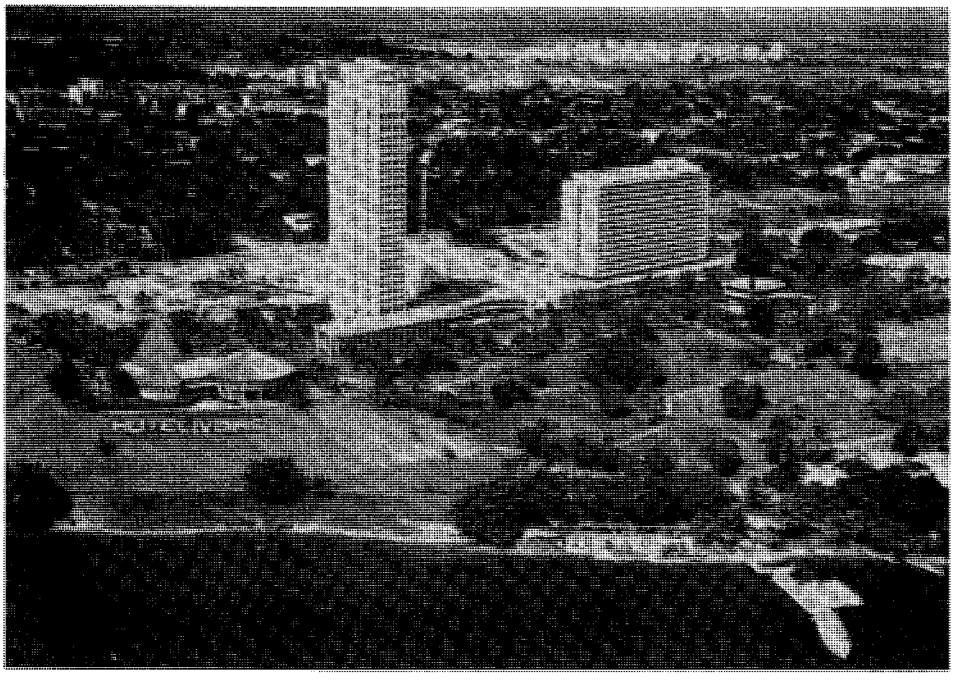

فندق العاج والمنطقة المحيطة به

جلسنا نشرب الشاي في مقهاةٍ من مقاهيه المتعددة الغارقة في الجنات والمطلة على الخليج الصغير الجميل الذي تقع عليه إحدى الضواحي الحديثة الجميلة من المدينة.

كما كان الإنصراف من فندق العاج إلى المدينة فمررنا بجسر اسمه (جسر الجنرال ديقول) قد أقيم على مضيق في ناحية من الخور الموجود في العاصمة.

والخور هو اللسان الضيق من البحر الداخل في اليابسة وهو ما أخذ المثقفون المحدثون من بني قومنا يسمونه بالخليج والخليج أكبر من ذلك بكثير. ورغم منظر هذا الجسر جسر (الجنرال ديقول) الذي يكاد يبعد بك عن القارة الإفريقية فإني رأيت بقربه منظراً يشدك إليها وهو منظر فتاة إفريقية تمشط فتاة افريقية أخرى ذات شعر قصير ولكنها تجعله على هيئة ضفائر صغيرة واقفة إلى أعلى فوق الرأس.

ومنظر آخر موجود في كثير من البلدان الإفريقية وهي منظر الملابس المغسولة المنشورة على الحشائش لتجف.

أما السيارات في هذه الشوارع فقد لاحظت أن هناك نسبة كبيرة من الإفريقيات يقدن السيارات وحافلات جيدة متوفرة تقل الناس لها محطات مرتبة منظمة. وكان الغداء اليوم كما كان العشاء أمس في بيت الوجيه الثري المالي نسبة إلى بلاد مالي ونسبة أيضاً إلى المال الأخ (غوسو وتري).

وقد شاهدنا من موقع بيته في النهار مالم نشاهده في الليل فكانت حديقته مفتوحة مباشرة على الخليج ليس بينها وبين مياه البحر أي حاجز ولاحاجز صغير فهو في بيته في نزهة دائمة على البحر وتغسل مياه البحر أقدام الاشجار العالية الموجودة في الحديقة من أشجار النارجيل والموز فإنه موجود ومثمر فيها ولكنه ليس على الماء مباشرة.

صورة تذكارية في حديقة منزل غوس وتري الواقع على البحر في ابيجان

حي ترش فيل :

كانت الجولة بعد الظهر مع أخ اسمه (سيدى محمد ساكو) وهو من مالي وصديق بل تلميذ لزميلي الشيخ الدكوري. والرجل شاب ونشيط ويعرف المنطقة جيداً.

وكان المقصد الأول حياً يسمى (ترش فيل) لأن أغلب سكانه من المسلمين من أهل مالي والسنغال وغينيا وغيرهم.

فكان الوقوف أول الأمر عند:

مسجد السنغاليين

هكذا يسمونه وأول ما يلفت النظر فيه مئذنته التي أصح ماتوصف به انها صومعة كالمآذن الاندلسية الجميلة فهي مربعة مثلها وهي خضراء الطلاء.

ومن الملفت للنظر المؤسف حقاً أننا وجدنا عند المسجد قوما من نيجيريا يسألون الناس وهم جلوس على الرصيف مع أن مظاهرهم حسنة لاتدل على شيء من الفقر أو العاهة، وحتى ثيابهم فإنها نظيفة.

ولكن ربما كان بعض الأقوام قد ألفوا أن يروا السؤال والاستجداء أمام المساجد أمراً معتاداً وهذا أمر مستكره.

ولكن عند باب المسجد شيء أيضاً معتاد في إفريقية الغربية وغير مستنكر أيضاً وهو أنهم يعرضون عند باب المسجد بضائع جيدة من الطيب والبخور والمصاحف وبعض الكتب الصغيرة إلى الاحذية الجيدة.

ولكن الشيء غير المألوف أن مقابل هذا المسجد الذي يسمى بمسجد السنغاليين يوجد مسجد آخر لايفصل بينهما إلا الشارع الذي يبلغ عرضه خمسة عشر متراً. وهذا أمر غير مناسب ولا أدري سببه ألا أن يكون ذلك لاختلاف المذهبين مثلا ذلك الاختلاف لايكون الا مذهبياً عقديا لأن الجميع مذهبهم في الفروع هو المذهب المالكي.

المسجد الجامع :

ومن هذين المسجدين المتقابلين انتقلنا إلى رؤية المسجد الجامع في هذا الحي الرئيسي من المدينة حي (ترش فيل) وهو أكبر مسجد فيه. ولكل حي أو منطقة من العاصمة مسجد جامع خاص بها.

هذا مع العلم بأن أغلب المسلمين العاملين في الحقل الإسلامي في العاصمة وربما في سائر البلاد ماعدا المنطقة الشمالية هم من الأجانب من مالي والسنغال والنيجر وغينيا. وهؤلاء الأجانب ربما بعضهم لايزال اجنبياً من الناحية القانونية وبعضهم حصل على الجنسية العاجية ولكنه لايزال أجنبياً من حيث اللغة والشعور بالانتماء.

مع العلم بأن اللغة ليست مشكلة لأن الفرنسية اللغة الثانية إذْ يتخاطب بها الناس المختلفو اللغات حتى من أهل ساحل العاج نفسها. وأما الأخوة المسلمون فلهم لغاتهم الرئيسية التي جاؤا بها من بلادهم وهي تكون في العادة شائعة الاستعمال في غرب إفريقية بسبب كثرة المهاجرين منهم في تلك الاقطار وذلك مثل لغة (البامبرا) والماندنقو والولوف والهوسا.

أما إمام المسجد فإنه من أهل البلاد واسمه الحاج عمر (تشي) من منطقة شمال ساحل العاج الواقعة بين مالي وساحل العاج وكانت في القديم تابعة لمالي وعلى رصيف هذا المسجد الجامع (بسطات) كبيرة وهي البضائع المعروضة على الأرض، أو على صناديق صغيرة واغلبها مما له علاقة بالدين مثل الكتب العربية والمصاحف والسبح ـ جمع سبحة ـ والطواقي إلى جانب العطور التي لها معنى خاص في البلاد الحارة الرطبة التي يعرق فيها الإنسان فيحتاج إلى الطيب.

ولاحظت أن رائحة الطيب يعبق بها المكان عند باب المسجد، كما فتشت في الكتب العربية الإسلامية المعروضة للبيع فوجدت من بينها كتاب (الجديد في التدريب على قواعد النحو).

ودخلنا المسجد الجامع فألفيناه مفروشا جيداً. وقد أكثروا فيه من النوافذ على هيئة صفين أحدهما فوق الآخر ومن جهتين متقابلتين وقد فتحوها كلها لينفذ منها الهواء مما جعل الجو داخل المسجد غير حار ولذلك لم يشعلوا المراوح رغم أنها موجودة.

ورأيت الناس في هذا الوقت كثيرين في المسجد منهم من يسبحون ويهللون ومنهم من يقرأ القرآن ومن يصلون العصر ممن فاتتهم الصلاة مع الإمام. وقد اعجبني السجاد الذي في المسجد فسألت إمام المسجد عنه فقال: إنه تبرع من تجار مسلمين من المغتربين في هذه البلاد بعضهم من مالي وبعضهم من لبنان وقال: لقد تبرعوا بمأتين وست وتسعين قطعة.

أما المصاريف الآخرى مثل استهلاك الكهرباء فانهم يجمعون لها المال من المصلين يوم الجمعة.

ويقع المسجد في سوق للبيع والشراء أكثر الحوانيت التي فيه للبنانيين الذين ينوه الناس هنا بأن جزءاً من تجارة البلاد كلها بأيديهم، ويقولون إن السبب في ذلك أن بعض المسؤلين الكبار في الدولة يشاركونهم الأرباح من دون أن يظهروا للناس أنهم شركاء لهم في الأعمال

كما أن نسبة لابأس بها من الإخوة التونسيين يشغلون مناصب هامة في الشركات في هذه البلاد.

وأما أهل مالي فإنهم يسيطرون على تجارة النقل إضافة إلى انشغالهم في التجارة الصغيرة حتى إن بعض الأسواق في المدينة يؤلف فيها التجار من مالي مايزيد على نصف الذين يعملون فيها. واغلب السوق مغلق في هذا اليوم لأنه الأحد.

ثم خرجنا من السوق نتجول في هذا الحي الذي لايعتبر شعبيا بمعنى أنه ذو بيوت رديئة بلى يعتبر متوسطا فرأيناه جيد البيوت معظم البيوت فيه من لبن الاسمنت أو من الاسمنت المسلح وفي بعضها اشجار قليلة من الموز والباباي.

وقال لي المرافق الأخ (ساكو) إن نصف سكانه من الاجانب وأكثرهم من المسلمين ومن الأشياء الجيدة التي لاحظتها فيه أن مجاري المياه المستعملة التي تكون في اغلب البلدان الإفريقية الاستوائية مكشوفة رأيتها هنا مغطاة مما يدل على عناية فائقة لم تصل إليها كثير من الأقطار الاستوائية الكثيرة الأمطار حتى في آسيا وجزر البحر الكاريبي وذلك بأنهم يتركونها مكشوفة اعتماداً على أنها لن تظل راكدة لأن الامطار تذهب بها إلى منتهاها في بحر أو نهر إلا أن المطر يتخلف عنها في بعض الأحيان فتبقى كريهة المنظر والرائحة.

مسجد الفلانيين :

الفلانيون جمع فلاني ـ بالنون ـ كما يعرفون هنا وهم في بلادنا الحجازية يقال لهم (الفلاته) بالتاء ويسميهم الفرنسيون (الفول) أو (البول) بباء مفخمة مضمومة هم قبائل كبيرة منتشرة في افريقية الغربية موجودون في أكثر بلدانها ويؤلفون الأكثرية بين القبائل في جمهورية (غينيا).

وكانوا في الأصل من الرعاة إلا أن طائفة منهم تحضروا وأسسوا دولة إسلامية راقية بقيادة الشيخ عثمان بن فودي في شمال نيجيريا. وليس لهم الآن دولة منفردة وهذا من نقاط الضعف فيهم كما أنهم لايعتنون بلغتهم لذلك نسيت طوائف منهم اللغة الفولانية واتخذت بدلاً منها لغات البلاد التي يقيمون مثل الهوسا للمقيمين منهم في شمال نيجيريا.

وليس هذا موضع التعريف بهم وإنما جاء ذلك على ذكر هذا المسجد المضاف إليهم الذي ذكرتني تسميته بما رأيته في مدينة (فريتاون) عاصمة سيراليون من كون المساجد تضاف إلى القبائل فهناك مثلا مسجد الهوسا والفلاني والمندي والتمني وكل قبيلة تنافس غيرها في عمارة المسجد، وليس معنى إضافة المسجد إلى القبيلة أنه لايصلي فيه إلا هي، بل هو مفتوح

لجميع المسلمين، وإنما معنى ذلك انها هي التي بنته وتقوم على العناية به، والإنفاق عليه.

والمسجد متوسط السعة، نظيف طبقا للجو العام الذي تغلب عليه النظافة في هذه البلاد وقد الفيناه معموراً بالناس في هذا الوقت الذي هو بعد العصر إلا أنه دون المسجد الجامع في هذا الأمر كما رأيت أكواماً إضافية من الفرش المطوية ذكروا أنهم يستعملونها لفرش الارصفة للمصلين في يوم الجمعة واوقات المغرب، وذلك لكثرتهم وضيق المسجد بهم.

نساء الهمج :

اصطلاح الهمج للذين لادين لهم مصطلح قديم كما تقدم وهو صحيح إلا أن بعض الكتاب من المتأخرين استعاضوا عنه باصطلاح آخر هو التعبير عنهم بالوثنيين وفي هذه البلاد الافريقية كما في بلاد افريقية أخرى خلف الصحراء لاتزال توجد جماعات من السكان باقية على ماكان عليه آباؤهم من أديان أو عادات من دون أن يعتنقوا ديناً سماوياً.

هؤلاء هم الذين كان مؤرخونا القدماء يذكرونهم ذكراً مجملاً عندما يتحدثون عن سلطنة السودان أو سلطنة مالي بأنها يحدها من جهة الجنوب بلاد الهمج الذين يأكلون لحوم بني آدم.

وقد انقرضت عادة أكل لحم البشر من معظم تلك البلاد ولكن الدين الهمجي أو البقاء على الهمجية بمعنى عدم التدين بدين سماوي لايزال موجوداً.

وقد جرى بحث عن هؤلاء الهمج عندما رأينا بعضهم عليهم مظاهر العيش في الغابة وعدم الأخذ باسباب التمدين إلى جانب لباس لهم خاص وبخاصة للنساء ليس بلباس المسلمات ولا بلباس المتفرنجات.

فقال الأخ المرافق (سيدي محمد ساكو): إن كثيراً من هؤلاء النسوة لايعرفن الزواج بالمعنى الذي نعرفه، وإنما لهم أعراف وضعية في هذا الموضوع لاتحد من حريتهن كثيرا ولذلك رأينا أعداداً ممن يسميهم الإيطاليون (الكاباتشينو) وهي القهوة باللبن اخذاً من كون ألوانهم بين البياض والسواد لأنهم جاؤا نتيجة لاقتراب اللونين وقد رأيت بعض أولئك النسوة من الهمج ينظرن إلى الأجانب نظرات غير معتادة.

حي بيافرا :

كلمة (بيافرا) ظلت فترة من الزمن تقرع أسماع المستمعين للأخبار في الاذاعات والصحف وأبصارهم لأنها كانت تعني الدولة التي حاول الانفصاليون في شرق نيجيريا أن يقيموها هناك وقضت الحكومة النيجيرية المركزية عليهم فنسي الناس تلك الكلمة كما نسي اكثرهم معناها ولكنها بقيت حية في أذهان بعض أهالي البلاد الذين هجروها إلى ساحل

العاج واقاموا في منطقة من العاصمة مالبث أن أقام بها معهم غيرهم وسموها (حي بيافرا). وتقع على حافة حي (ترش فيل) الكبير ولكن في هذا الحي مسجد إمامه من مالي اسمه (غوثو جبنو).

وحي الهضبة :

ثم انتقلنا إلى حي من أرقى أحياء هذه العاصمة (العاجية) اسمه (بلاتو) وتعنى الهضبة بالفرنسية فيه عدة مبان حكومية وتجارية ومررنا بمبنى كبير اسمه الهرم فيه مكاتب للشركات ومحلات تجارية ويملكه ابن رئيس الجمهورية.

كما مررنا بشارع فيه عدة مصارف (بنوك) يسمونه (طريق جوزيف اتوما) وشارع مهم آخر رأينا فيه مبنى بلدية المدينة وهو مبنى فخم يقل نظيره في البلدان الافريقية ويسمى الشارع (بوليفار جنير).

ثم الملعب الرئيسي لكرة القدم ويحمل اسم رئيس الجمهورية (خوبيت بوانييه) ويقابل هذا الملعب الانيق مجلس الأمة بجانبه محكمة العدل العليا.

وهذه الشوارع الفاخرة مع التشجير والتزهير (غرس الزهور) تكاد تشعرك بأنك في بعض البلدان الأوروبية وذلك بسبب الحرية التجارية التي جلبت رؤوس الأموال إلى هذه البلاد فاستفادت منها دخولاً كثيرة عن طريق جباية الضرائب وتشغيل اليد العاملة إضافة إلى الحرية السياسية التي حدثنا عنها مرافقنا عند مرورنا ببناء سابق للسجن متروك لأنهم بنوا غيره فقال إن جميع السجناء هم من المحكومين بارتكاب جرائم معتادة وأنه ليس بينهم سجين سياسي. واكثر هذه الطرق الحديثة بنيت بعد الاستقلال.

وحي الأجانب :

ومررنا بحي آخر اسمه (أجمي) قالوا لنا إن الأجانب من الإفريقيين يؤلفون الأكثرية من سكانه وإن بينهم كثيراً من المسلمين. وفي هذا الحي سوق للبيع والشراء يسمى سوق (أجمي) معظم التجار فيه من المسلمين.

ومن أظهر المناظر في هذا الحي مسجد له منارتان عربيتان سامقتان تريان من أكثر أنحاء الحي. وفوق الحيطان العليا لهذا المسجد شرفات عربية الطراز، وليس هو بالمسجد الوحيد في الحي بل هناك عدة مساجد صغيرة في داخله. والملاحظ على مناظر الناس هنا أن ثيابهم نظيفة ومظاهر التغذية الجيدة بادية على وجوهم.

وهم مختلطون مابين افارقة من السودان الغربي الذي يشمل مالي والسنغال والنيجر وغينيا

وشمال نيجيريا وبين أهالي البلاد الأصلاء الذين هم من المناطق الاستوائية الإفريقية ممن يسميهم الأوربيون (زنوجا) وماهم بزنوج عند قومنا العرب لأن الزنوج عندهم هم الذين يسكنون في بلاد الزنج الواقعة في شرقي إفريقية وإن كان الوان هؤلاء مثل ألوان الزنوج في أنها شديدة السواد، وفي أن تقاسيم الوجوه لديهم كتقاسيم وجوه الزنج أو لاتبعد عن ذلك.

ولاحظت في هذا الحي أن حافلات النقل العام متوفرة وجيدة وليس فيها الازدحام المؤذي الموجود في بعض البلدان النامية حيث يكون عدد الحافلات أقل مما يحتاجه الناس أما الجو فانه رطب يشعر المرء معه بالحرارة لأن هذه الأيام هي بداية فصل الحر الذي لاتكثر فيه الأمطار وإلا فإنه لاتأتي على هذه البلاد الفصول الأربعة التي تكون في البلدان البعيدة من خط الاستواء.

وواصلنا التجول في هذه المدينة الجميلة فمررنا بمساكن حديثة جميلة لموظفي الدولة في منطقة (كوكودي) ويقابلها فندق (جولف) أي الخليج، وبجانبها ناحية تسمى (ريفيرا رقم «٢») فيها مساكن حديثة متباعدة أشبه ماتكون بضواحي المدن الصغيرة في الولايات المتحدة الامريكية.

ورأينا غير بعيد من هذه الناحية غابة من الأشجار السامقة في مكان مرتفع غير ملاصق للمنطقة السكنية. وعندما رأيت هذه المناطق الجميلة والعناية الفائقة المبذولة فيها وقارنتها بحالة المدن في البلدان السودانية الغربية تساءلت في نفسي قائلا: أهذه بلاد الهمج؟

صلاة العيد في التلفزة :

مسجد كاوارا أقدم مسجد بساحل العاج بني في القرن الرابع عشر الميلادي

اثناء جلوسنا الليلة أمام التلفاز في قاعة الفندق رأيناهم عرضوا على المشاهدين لقطة كاملة لصلاة عيد الإضحى التي جرت قبل ايام.

وقد كان ذلك بعناية وتفصيل، بل إنهم عرضوا صلاة العيد في أكثر من بلد أو في أكثر من مصلى للعيد. وتلفزتهم ملونة جيدة الإخراج. كما عرضوا في التلفزة كيفية ذبح الأضاحي وتكلم المذيع عن مشروعية الاضحية في الإسلام.

وقد أخبرونا بهذه المناسبة أن كثيراً من المسلمين الذين يسكنون في العاصمة يغادرونها إلى المدن والقرى في الأرياف حتى يشاركوا أهاليهم الاحتفال بعيد الإضحى فيها.

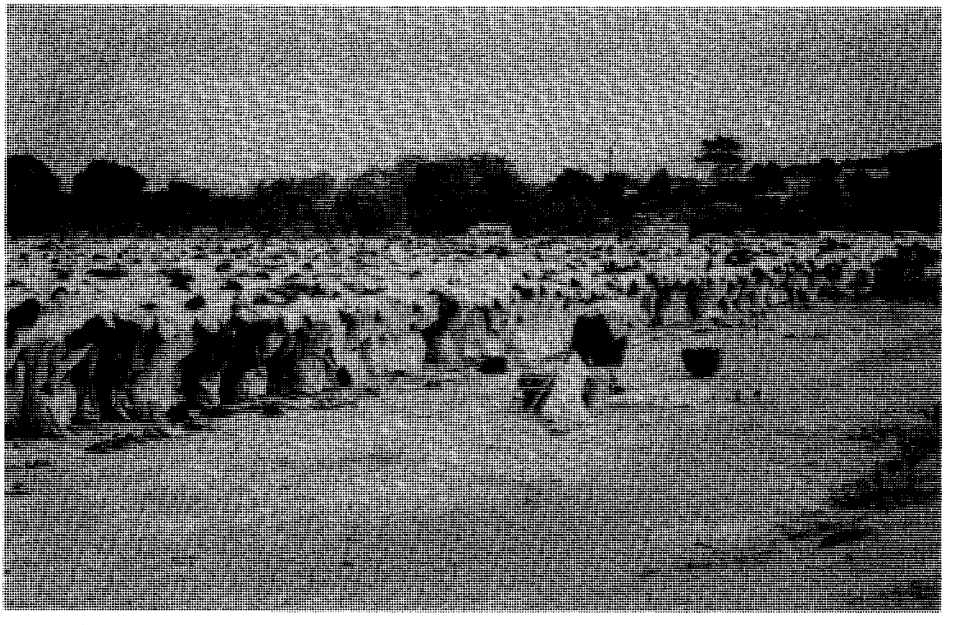

في بواكي بساحل العاج صلاة (عيد الأضحى) عام ١٩٨٠م

ونظراً إلى أن اليوم هو يوم الأحد يوم العطلة الاسبوعية فقد اخذت التلفزة تعرض بعد ذلك مناظر من فنونهم الشعبية المتمثلة في الغناء والرقص الإفريقي العنيف الذي لايدوم مدة طويلة لأنه يرهق الجسم لذلك ترى الراقصين والراقصات يتناوبون ذلك بحيث يستمر الرقص من دون أن يستمر الراقصون فيه.

يوم الأثنين ١٧/ ١٢/ ١٤٠٢هـ ٤/ ١٠/ ١٩٨٢م :

مغادرة ابيجان :

انتـظرنا طويلاً في قاعة المغادرة في مطار ابيجان مع الحر الشديد لأن التكييف متوقف والقاعة قد صممت على أساس أنها تستعمل مكيفة، لذلك كان لاسبيل إلى الهواء الطلق ولو كان ساخنا. وقد كثر المسافرون في القاعة وعرقت أجسادهم فثارت لها رائحة غير مستحبة.

إلى توقو :

أخيـراً غادرنا المطار قاصدين مدينة (لومي) عاصمة (توقو) على طائرة قديمة من طراز كارافيل الفرنسي الذي قل استعماله وهي تابعة لشركة الطيران الإفريقية (ايرافريك) التي تشترك فيها عشر من الدول الإفريقية.

وقد اعلنت المضيفة الإفريقية أن مدة السفر إلى (لومي) ستكون خمسا وخمسين دقيقة ومع ذلك لم يقدموا لنا ونحن في الدرجة الأولى أي شيء من المطعوم أو المشروب ماعدا كأساً من الكوكاكولا كما أنهم على عادتهم لم يقدموا اية هدايا رمزية مما تقدمه شركات الطيران لركاب الدرجة الأولى على الخطوط التي توجد فيها منافسة من شركات أخرى.

وقد شغلتني مطالعة مقالة إخبارية مؤثرة في مجلة (نيوزويك) الامريكية عن المذبحة التي قام بها اليهود والنصاري للمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لايستطيعون حيلة ولايجدون سبيلا للخلاص من القتل من الفلسطينين المنكوبين فكانت مقالة حزينة افسدت عليّ متعة السفر إلى بلد لم أزره من قبل وهو توقو وهي متعة دونها عندي كثير من المتع الأخرى في الحياة.

وقبيل الوصول إلى المطار أخذت الطائرة في التدني إلى الأرض وهي تطير شرقاً فوق أرض خضراء معمورة بقرى صغيرة ويشقها نهر ضخم يتجه إلى المحيط يصب فيه ولاعجب في ذلك لأننا في إفريقية الاستوائية ذات الامطار الغزيرة والمستنقعات الكثيرة. ونشاهد الطرق في هذه الأرض ترابية غير مزفلتة. وكانت الطائرة تطير بالقرب من ساحل المحيط وقد تركته إلى اليمين.

وقد كان الجو صاحيا لذلك تمكنا من رؤية الأرض وماحولها بوضوح ولم يكدر صفاءه إلا مالايبعث على التكدير وهي قطع بيض من الغيم كانت تتناثر فيه وهي ترصعه برشقات بيض.

معلومات عن ساحل العاج :

ساحل العاج مستعمرة فرنسية سابقة حصلت على استقلالها عن فرنسا عام ١٩٦٠م. وتبلغ مساحتها (٣٣٢,٠٠٠) كيلو متر مربع وعدد سكانها حسب إحصاء عام ١٩٧٥م (٦,٦٧٠,٠٠٠) ينتسبون إلى ٥٢ قبيلة لكل قبيلة من هذه القبائل لغتها الخاصة بها.

تحيط بها دول ليبيريا وغينيا ومالي وفولتا العليا وغانا من جهاتها الثلاث ماعدا الجهة الجنوبية الغربية فتقع على المحيط الاطلسي فيما يسمى بخليج غينيا.

وهي بلاد غنية بالمياه ففيها أربعة أنهار هي الكافالي، والساسندرا والباندامًا، والكوموي وتنتج البن والكاكاو وجوز الهند والمطاط وتصدرها للخارج.

المسلمون في ساحل العاج :

يشكل المسلمون ٤٥٪ وقيل ٥١٪ من عدد السكان وهذه الارقام تقريبية ومهما يكن فإن الإسلام يشق فيها طريقه ويقبل الوثنيون والمسيحيون على اعتناق هذا الدين لأنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

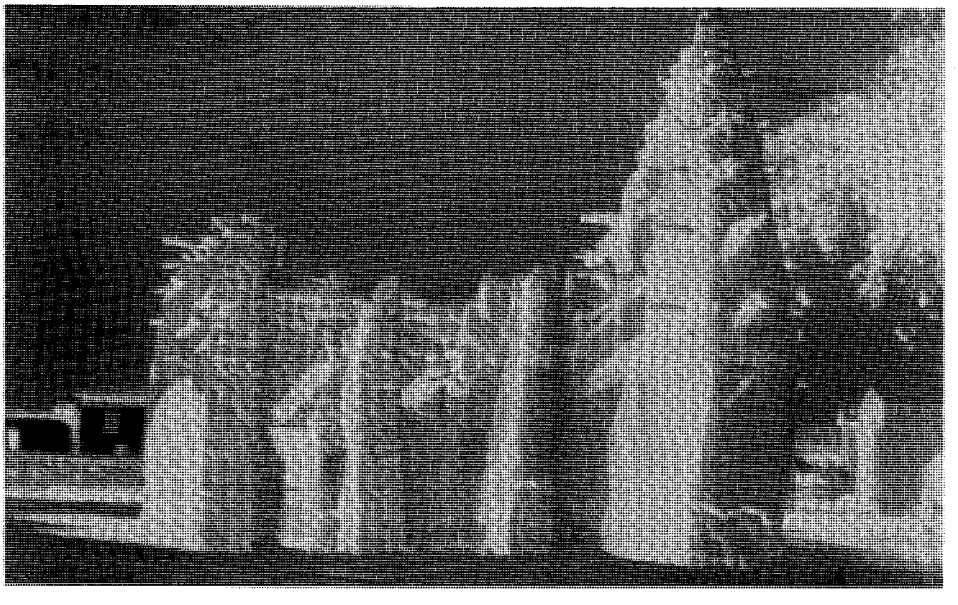

مسجد بونا بساحل العاج أسس في القرن الخامس عشر الميلادي

والمسلمون موجودون في جميع الاقاليم في ساحل العاج ولكن كثافتهم في اقليم أبيجان

العاصمة لوجود كثير من المدارس الإسلامية ومراكزها والجمعيات الإسلامية وكمثال على ذلك مدرسة العلوم الشرعية ومديرها الأخ عثمان يوسف سانغو خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وقدمت رابطة العالم الإسلامي لهذه المدرسة دعماً مادياً شهرياً ومدرسة الصمدية أيضاً تقدم لها الدعم المالي ومدرسة الثقافة الإسلامية التي يديرها الأخ مصطفى أبو بكر ميقا مبعوث الرابطة وتقدم لها دعماً مادياً ومعنوياً ومركز الثقافة الإسلامية الذي ساعدت الرابطة على دفع أجرته بمبلغ ٢٤ ألف ريال وهذا المركز يقوم بتعليم ابناء المسلمين في الصباح ومحو الأمية للكبار ويقدم برنامجاً اسبوعياً في تلفاز ساحل العاج حول الأمور الإسلامية والدعوة إلى الله وقد قوبل بارتياح من قبل المسلمين هنا.

مسجد كونج بساحل العاج أسس في القرن الخامس عشر الميلادي

ولاننسى أن هنا في ساحل العاج وفي العاصمة جهات كثيرة تنشر الالحاد ومحاربة المسلمين ويتمثل ذلك في النوادي الماسونية المنتشرة في العاصمة في الأماكن البارزة وأما الحكومة العاجية فإنها لاتمنع الدعاة من نشر تعاليم الإسلام ولكنها تمنح الكنيسة وممثليها نفوذاً أدبياً ملحوظاً.

وتعتبر ساحل العاج مركزاً لمؤتمرات المجمع المسكوني لكرادلة غرب إفريقية.

ويوجد في أبيجان جمعيات إسلامية عدة منها جمعية انصار السنة المحمدية التي تتعامل مع رابطة العالم الإسلامي.

وفي إقليم بواكي توجد مدرسة دار الحديث التي يديرها الشيخ محمد محمد ادريس مبعوث الرابطة وتغذي ابناء ساحل العاج والدول المجاورة بالمدرسين الذين يتخرجون فيها وعدد طلابها حوالي الف وخمسمائة طالب وهي مدرسة قديمة ولها أثر كبير في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وطلابها يجيدون العربية.

وتـوجد مدارس إسلامية أخرى في بواكي تقدم الجهات المسئولة في المملكة لها الدعم المادى والأدبي حتى تتمكن من توفير المعرفة الدينية والإسلامية لأبناء المسلمين.

أما الاقاليم الأخرى فمنها كورغو، ويوجد فيه معهد الرحمة العربي الفرنسي الذي حصل على مساعدة مالية من المملكة كما توجد مدارس كثيرة في هذا الاقليم.

واقليم (دلو) يكثر فيه المسلمون ويوجد فيه مدارس منها مدرسة أنصار السنة المحمدية ومديرها الأخ مصطفى بن يعقوب خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة كما يوجد في اقليم (أيبوقيل) مدارس إسلامية وكذلك إقليم مدينة دناني وايمام وغبوه وعراب فرانكو بونا، بندرفيل دامي، كووكو، بوفلي لاكوتانا.

فهذه الاقاليم يوجد فيها مدارس إسلامية وبعضها على مستوى كتاتيب والأخرى على مستوى الإبتدائية وكلها أسست لتعليم أبناء المسلمين. وربما يتبع ذلك أن تكون وسيلة عيش لمؤسسها حيث يحصل بعض أهل المدارس على مقرر شهرى يتسلمونه من أولياء أمور الطلاب القادرين وأما الفقراء فإنهم لايدفعون شيئاً ويدرسون بالمجان، لأن هذه المدارس الإسـلامية تتلقى تبرعات من أغنياء المسلمين ومن جهات مسلمة خارجية أهمها المملكة العربية السعودية.

رئيس ساحل العاج :

رئيس البلاد نصراني من قبائل (باولي) وهي تعد من القبائل الرئيسية في البلاد كانت في الاصل قبائل وثنية وكانت من أولى القبائل التي بادرت إلى اعتناق النصرانية ويرجع السبب في ذلك إلى وجودها على الحدود العاجية الغانية وكان احتكاك البعثات التبشيرية النصرانية بها من أول الأمر ويظن أن نصف هذه القبائل قد تنصر.

الجمعيات التنصيرية :

الجمعيات التنصيرية في الساحل مدعمة من قبل الجمعيات المسيحية في الدول الأوروبية وأمريكا ونشاطها مركز في ساحل العاج، وكان انشاء أول معبد نصراني في ساحل العاج منذ عام ١٧٠٣م وللنصارى فيها نشاط عظيم فلم يدعوا مدينة إلا كثفوا جهودهم فيها ولا بادية إلا وصلوا إليه بجميع وسائلهم الفخمة والمغرية وهم في البوادي والقرى النائية يعيشون مع الناس ويقيمون مراكزهم التي تشتمل على وسائل الاسعاف جميعها من طعام وشراب وثياب وعلاج.

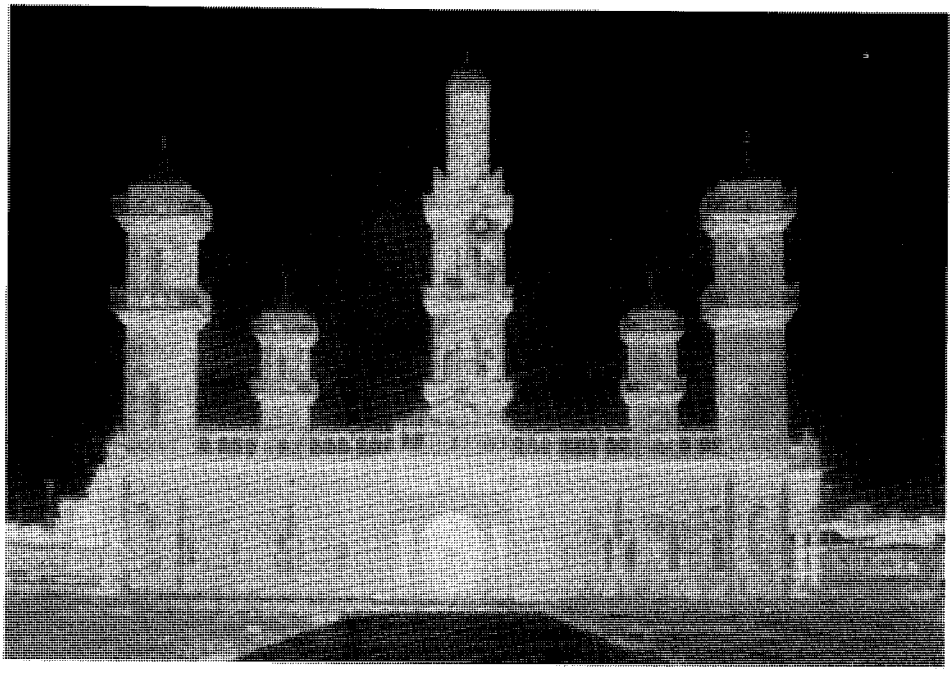

مسجد اوديني بساحل العاج أسس عام ١٩٨٠ ميلادي

والمدارس الفرنسية تكوِّن الاغلبية الكبرى في المدارس وأكثر ابناء المسلمين يذهبون إليها، ومستقبل الحياة العلمية والمادية بجانبها لان لغة البلاد الرسمية هي اللغة الفرنسية.

وهنالك مدارس الجمعيات التبشيرية النصرانية وهي تدعى أنها حرة حيادية ولكنها تؤدي مهمتها التنصيرية على أوسع مدى ونسبة ابناء المسلمين فيها تصل ٣٠٪ من مجموع طلابها.

وقـد بدأ المسلمـون يطالبون بأن يدرس ابناؤهم وبناتهم الدين الإسلامي في المدارس الفرنسية والحكومية.

وهكذا فتحت المدارس الحكومية ابوابها لمدرسي العربية الذين يعرفون الدين الإسلامي ولكنها شرطت أن يكون التدريس للدين الإسلامي باللغة الفرنسية. وأكثر المتخصصين باللغة العربية والدراسات الإسلامية لايعرفون اللغة الفرنسية وهكذا فتحت الحكومة الباب امام هؤلاء بيمينها واوصدته بشمالها.

مسجد بونديالي بساحل العاج أسس عام ١٩٣٧ ميلادي

والثقافة الفرنسية هي المسيطرة على المثقفين بل هي الثقافة الحية الأكثر شمولاً في البلاد وتكاد تكون جامعة ابيجان عاصمة ساحل العاج جامعة فرنسية بأساتذتها ومكتبتها واللغة السائدة فيها.

الملاحظـــات :

١ ـ الحكومة الفرنسية لها نفوذ واسع في إدارة دفة الاقتصاد. وبالجمهورية جالية فرنسية

كبيرة لها مؤسسات اقتصادية حتى ليكاد يكون الاقتصاد ذو الأهمية بأيديهم.

واللغة الرسمية هي اللغة الفرنسية والمنشآت الاقتصادية الفرنسية تتسع وتزدهر والبواخر الفرنسية رائحة وغادية على أبيجان وتعتبر البلاد غنية بمعادنها وزراعتها.

٢ ـ حكومة اليهود في فلسطين لها اتصال متين بحكومة ساحل العاج ولها منشآت اقتصادية ضخمة وبالعاصمة فندق من افخم الفنادق الحديثة أنشأته شركة يهودية.

٣ ـ الحكومة علمانية بمعنى الكلمة ومناهج المدارس كذلك.

مسجد بواكي بساحل العاج أسس عام ١٩٤٩ميلادي

٤ ـ غالبية الشعب فقير ويشتغل بالزراعة ورغم العمارات الشاهقة في العاصمة وماعليه العاصمة من مظاهر عمرانية فمساكن عامة الشعب هي الاكواخ.

٥ ـ يوجد مركز قادياني في العاصمة وهي أول دولة ناطقة بالفرنسية في إفريقية يوجد للقاديانية الكافرة نشاط فيها.

جمهورية توتو

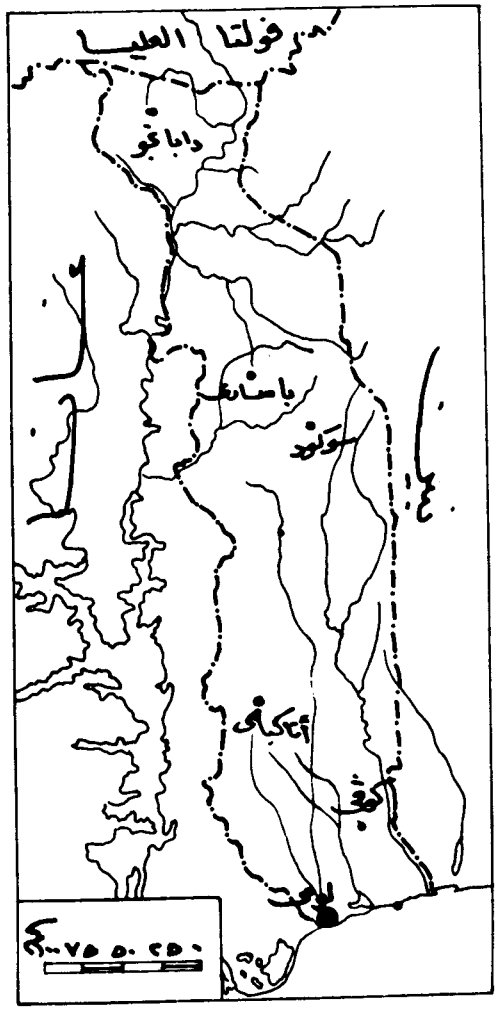

موقع توقو بين بنين وغانا

في مطار لومي :

بدت اطراف مدينة (لومي) عاصمة دولة (توقو) عندما رأيناها على البعد ذات منازل ممتدة أغلبها صغير ذو سقوف من الصفيح على هيئة السنام وذلك حتى ينزلق عنها المطر في هذه البلاد المطيرة.

ثم ظهر وسط المدينة المكتظ بالمنازل التي بعضها اسمنتي في مظهره ولكن سقوفه مسنمة وبدت الشوارع في ضواحيها أكثرها ترابي غير مسفلت. أما الريف القريب من المدينة فإنه اخضر كثيف الخضرة وذلك بسبب غزارة الامطار كما قلت.

وقد لاحظت أن منازل القرويين في الريف القريب من المدينة اغلبها يكون تحت الأشجار الكبيرة على هيئة غرف منفردة من اللبن الاسمنتي أو على هيئة اكواخ إفريقية تقليدية.

أما المطار فإنه ذو مساحة جيدة ومدارج لابأس بسعتها واما ابنيته فإنها ضيقة ولكنها نظيفة.

وأما الناس الذين في المطار من أهل البلاد فإنهم يبدون كالزنوج الأصلاء وهم قصار القامات بالنسبة إلى أهالي السودان الغربي.

ولم نجد اية صعوبة في المطار فقد كان الجواز السياسي الذي أحمله أنا وكذلك زميلي ورفيقي في السفر السفير عبدالوهاب الدكوري سببا في سرعة الاجراءات من غير تفتيش أو نحوه.

في مدينة لومي :

انطلق الطريق من المطار إلى المدينة فوق ازفلت جيد وهو غير واسع يشق منطقة رملية حمراء لكنها خضراء لاتبين التربة فيها إلا في الاماكن النادرة واكثر الطريق ليس له أرصفة وإنما هي مساحات من الأرض مهملة تفصل بين الطريق وبين البيوت التي تقع على جانبيه.

وبدت المدينة من أول نظرة إفريقة خالصة بناسها وبمنازل الفقراء من سكانها وقلت في نفسي: أين هذه من (ابيجان)؟ إن الفرق بين المدينتين واسع جداً.

ونزلنا في فندق جيد اسمه (هوتيل لابي) ومعناها فندق السلام بالفرنسية ويقع على شاطيء البحر المحيط لايفصل بينهما الا شارع غير عريض واجرته اربعة عشر الف فرنك إفريقي ويعادل ذلك مائة واربعين ريالاً سعودياً وهذا سعر مخفض للدبلوماسيين والافان الاجرة المعتادة له هي سبعة عشر الف فرنك ولم اطق صبراً على البقاء في الفندق فخرجت

اتمشى وحدي فيما حول الفندق فالوقت ظهر والناس يغدون ويروحون وإن لم يكونوا كثرة في المكان لأنه ليس بحي شعبي مزدحم.

ورأيت امرأة تبيع فاكهة من فاكهتهم على الرصيف فيها الباباي والموز والليمون فاشتريت منها شيئاً وبخاصة حين وجدتها تتكلم الانكليزية في هذه المستعمرة الفرنسية السابقة التي يفترض عدم معرفة أهلها بالانكليزية. فأخبرتني أن السبب في ذلك أنها من أهل (غانا) وأن هناك اعداداً من (الغانيين والنيجيريين) موجودون في هذه البلاد ثم تبين أنها مسلمة ولما عرفت اني مسلم اخذت تحذرني من اللصوص وقالت إن أهل (توقو) لايسرقون ولكن أهل غانا ونيجيريا الذين يسرقون وقالت: لاينبغي لك أن تسير على قدميك وحدك فأنت غريب واضح ذلك من لونك واذا احتجت إلى السير فاركب سيارة أجرة.

ووقفت اتأمل شاطيء المحيط الذي يبدو رملياً صالحاً للاستحمام والتشمس ولكن ليس فيه أحد. وليس على هذا الشاطيء الغزير المطر الاشجيرات قليلة متفرقة من اشجار النارجيل مع أن بالإمكان تجميله وغرس انواع اخرى من الأشجار عليه.

وعدت إلى الفندق حيث قررت مع زميلي السفير الدكوري أن نجعله يوم عطلة لأنه سيكون لدينا بعده يوم حافل بالعمل في جمهورية بنين (داهومي سابقا).

اكثر مافي دار السوء. . . .

رغم أن (توقو) بناسها ونظامها وفنادقها ليست بدارسوء للغريب إلا أنها دار سوء لمن يكره أن يرى مايريب. ولذلك ذكرت مثلا عاميا يقول (اكثر مابدار السو الحطب) وذلك أن الحطب الذي يكون من الشجيرات الصغيرة واغصان الاشجار الصحراوية القليلة الاخرى يكون يابساً جاهزاً للايقاد به في الاماكن المجدبة.

وأما حطبهم في هذه البلاد (التوقوية) التي لاتعرف الجدب فإنه أكوام من أشجار سود تمشي على الأرض وقد جعلت (فروعها) الصغيرة على رؤسها كأنها الأغصان الصغيرة السود الريانة وأخذت تحدق في نزلاء الفندق والذاهبين الآيبين من قاعة الجلوس فيه وكأنما هي تنتظر الاشارة التي تكفيها عن العبارة.

وعندما رأيت كثرتهن وشدة تعرضهن سألت عما إذا كان فعلهن هذا لايجد من حكومتهن من يحد منه؟ فقالوا: لا إن هذا عن علم من الحكومة وبترخيص منها لأن اكثرية السكان كانوا عند قدوم المستعمرين الفرنسيين من البدائيين الذين لايدينون بدين فلما جاء المستعمرون وعلموا من تعلم منهم لم يكن من بين علموه أن هذا الفعل أمر مذموم. لأن

الفرنسيين أنفسهم لايعتبرونه في بلادهم كذلك (فاقد الشيء لا يعطيه) ولاتزال طوائف منهم وبخاصة في جنوب البلاد على دين آبائهم من الذين يسمون الوثنيين أو من غير ذوى الدين الا اعرافاً وتقاليد ورثوها عن السالفين.

كما قالوا إن حكومة (توقو) تشجع السياحة في بلادها وتوفر للسياح مايحتاجون من فنادق وأنزال ـ ولكنها لاتفعل شيئاً لمثل هذا لأن أهل البلاد هم مثل السياح أو أكثر من السياح.

وأذكر بهذه المناسبة أن بائعة للصحف والكتيبات الصغيرة في الفندق قالت إنها غير متزوجة ولها ولدان وقد تبين لنا بعد ذلك أن هذا أمر شائع وذكرت هنا أيضاً مثلا عاميا آخر يقول (لاخوف من الله، ولاحيا من خلق الله).

الإتصال بخارجية بنين :

كانت الزيارة بناء على دعوة من وزير خارجيتها وهو مسلم. ولكن تبين بعد الاتصال به في هذا المساء أنه مسافر غداً إلى (زايير) للاشتراك في مؤتمر الدول الناطقة بالفرنسية وأنه لن يعود إلى بلاده إلا بعد خمسة أيام إلا أنه قد كلف من يقابلنا ويسهل اتصالنا بزعماء المسلمين.

يوم الثلاثاء ١٨/ ١٢/ ١٤٠٢هـ :

صباح توقو :

غرفتي في فندق (لابي) لها نافذتان تطلان على شاطيء المحيط الاطلسي عندما ازحت الستارة عن إحداهما أبرزت منظراً جميلاً هو منظر الشمس بأشعتها الفضية كأنما قد غسلت عنها اشعتها الذهبية عند ما اغتسلت في هذا الافق الإفريقي الذي خلع السواد على العباد ولكنه لم يفعل ذلك ببعض الطيور والحيوانات التي رأيتها في هذا الصباح ومنها طيور بيض، وماعز صغير يغلب على لونه البياض.

وقد انصرفت مياه البحر عن تقبيل الشاطيء فكأنما كانت غاضبة أو عاتبة على قوم اجتمع عندهم التأخر في الدنيا والدين.

فقد كان ذلك في وقت الجزر ومع هذا الانصراف الذي ربما لايدل على الرضا فإن البحر كان هادئاً لايبدو عليه الغضب فلم تكن أمواجه تزمجر كالعادة بل لم يكن يبدو منها أي انزعاج أو اضطراب.

وحتى الشمس لايبدو عليها الغضب أيضاً فلم تكن أشعتها سياطا من النار كما كانت عليه عندما وصلنا في ظهر أمس.

وحتى أشجار النارجيل الرشيقة كانت تحلم ساهمة ربما كانت تفكر في شقيقاتها الإفريقيات اللائي جفاهن نزلاء الفندق فكن كما قال الفرزدق في واحدة مثلهن :

أتت بجرابها تكتال فيه فعادت وهي فارغة الجراب

والطريق أيضاً الذي يفصل بين الفندق وشاطيء البحر قد بدا ساهما مسترخيا قد أراح ظهره الأسود من هذه السيارات التي رأيتها ثقيلة أمس فاستراح من (أخفافها) السود كما استراح من أقدام أهلها السود. واكواخ افريقية اصيلة تبدو على البعد كأنها هي ساذجة سعيدة، ولكن الآلام الإنسانية والحرمان من الآمال التي يتطلع إليها الإنسان لاشك في أنها تغمرها كما تغمر غيرها من القصور الأصيلة وصدق الله العظيم ﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾.

البط الأسود والبط الأبيض :

نزلت للإفطار في منطقة جميلة تابعة للفندق في الهواء الطلق تضم مطعماً ومقهاة وبركة للسباحة وتعلو عن مستوى أرض الشارع كما تعلو الطبقة من البناء فكأنها من ذلك في سطح ورأيت البط الأسود يسبح في هذه البركة الجميلة التي أقيمت في الأصل للبط الأبيض ولكن البط الأبيض ذو الحواصل (الدولارية) والاسترلينية لايسبح في هذا الوقت المبكر من الصباح، ولايرون له أن يشاركه البط الأسود في السباحة بعد ذلك. فكان أن استغفل البط الأسود الزمان والمكان، وانتهز هذه الفرصة التي لاتسنح في كل أوان.

ومن الغريب أن هذا البط الأسود المحلي القريب، لايستطيع أن يقترب من ذلك البط الأبيض الآفاقي الغريب مع أن الدار داره، ولكنه الدرهم المعبود بين البيض والسود.

جولة في مدينة لومي :

بدأت هذه الجولة في التاسعة صباحاً على سيارة أجرة مكيفة الهواء تابعة للفندق وانطلقت السيارة مع طريق الشاطيء (الكورنيش) من طريق سيىء في حي جيد ربما كان في سؤ الطريق وهو مرفق عام وجودة المنازل فيه وهي خاصة مثالا على سؤ الإدارة في بعض الدول المتخلفة مع أن (توقو) هذه لاتعتبر من أسوأ الدول السيئة في الإدارة.

ومررنا بمصرف واقع في حي تجاري ذي ابنية جيدة وقد لاحظت شدة الحراسة على المصرف طلبا للأمن وفي هذا الحي التجاري الجيد ـ على صغره ـ كنيسة مبنية بناء فاخراً بأبراج مشرفة.

كما رأينا جموع الشعب إفريقيا أصيلا أو لنقل بلغة الأوروبيين ومن يقلدونهم في التعبير

(زنجيا) أصيلا بمظاهره المعتادة من الأنف القصير والشعر المعقد القليل والشفاه (الفضولية).

ورأيت هنا ماسبق أن رأيت مثيلاً له في مكان ناءٍ عن هذه البلاد بل في عالم آخر جديد غير هذا العالم القديم وهو (جامايكا) في البحر الكاريبي الواقع مابين الامريكتين الشمالية والجنوبية حيث رأيت أعداداً كبيرة من الناس وبخاصة من الشبان والرجال القادرين على العمل ولكنهم لاعمل لهم إلا الجلوس على الأرصفة أو في أصول الحيطان والحملقة في الآخرين. وذلك بسبب التأخر الاقتصادي، وقلة العمل لديهم.

والعادة الافريقية الظاهرة عند النساء، وهي حمل أولادهن على ظهورهن في خرق مشدودة موجودة هنا بكثرة وقد رأيت بعضهن أضفن إلى ذلك مظهراً إفريقيا مميزا آخر وهو حمل (الموهوقو) أو الكسافا أو مايسمى بالفرنسية (مانيوكا) على رؤسهن وهو عروق كجذور الشجر الكبير تعتمد عليه في الغذاء الطبقات الفقيرة في افريقية وفي مناطق استوائية أخرى في العالم وأهم النقص فيه أنه نشأ خالص خالٍ من المواد الزلالية لذلك يحتاج من يتخذه طعاما رئيسياً إلى أن يضيف إليه غذاء زلاليا كاللحم أو اللبن أو البيض والا أصيب بسؤ التغذية.

دين العاريات :

قبل الدخول في التفصيل لابد من التنويه بأن دينهن دين شركي يقوم على عبادة الأوثان والخضوع للأرواح وإليك ماشاهدته دون أن أضيف إليه ما استنتجته.

عندما كانت السيارة منطلقة في أحد الشوارع لاحظت في الشارع المقابل شيئاً غريباً فأمرت السائق أن يذهب إلى ذلك المكان فرأيت فيه ماهالني.

رأيت أربع فتيات تتراوح أعمارهن مابين الرابعة عشرة والسادسة عشرة يرقصن على أنغام طبل تقرعه امرأة مسنة معهن وهن جميعاً شبه عاريات فليس على اجسادهن إلا احزمة من الخرز على موضع العورة المغلظة وأما بقية أجسادهن ومنها الصدور فليس عليها شيء.

وقد اجتمع عليهن عدد قليل من الفضوليين أكثرهم من الأطفال ولما تعبن من الرقص سأل زميلي السفير الدكوري تلك المرأة المسنة التي تقرع لهن الدف عن السر في رقصهن هذا فلم يجدها تعرف الفرنسية، ولم يجد في الواقفين من يعرفها إلى أن مر شاب عليه مظهر المثقف فترجم السؤال إلى لغتهن المحلية. قالت المرأة إن هؤلاء الفتيات قد بلغن مبلغ النساء وهن من خدمة الأوثان أهداهن اهلوهن إليها ولايستطعن الاقتراب من الرجال الا بإذن الوثن، والوثن لايسمح لهن بذلك الا اذا رقصن عاريات أمام الرجال الأجانب لفترة معينة.

وهـذه المـرأة المسنـة هي ترشدهن إلى هذه العبادة الوثنية. وأضاف: إنهن من سكان الغابة، وهذا هو الدين الوثني لقومهن. والحمد لله على نعمة العقل والدين.

على الحدود بين غانة وتوقو :

لايحتاج الذهاب للحدود، إلى مجهود، لأن الحدود في قلب مدينة لومي العاصمة أو لنقل بعبارة أدق: إنها في جانبها القريب من قلبها ـ وذلك في حي يسمى (كوجي بيا كوبي) على اسم رجل هو أول من سكن في هذه الجهة من غرب مدينة (لومي) كنا نسير في العاصمة فدخلنا شارعاً جانبه الغربي مهمل، وقال السائق: هذه هي الحدود بين غانه وتوقو.

فطلبت منه أن يوقف السيارة في هذا الشارع حتى أتامل هذا الحي العجيب فقال إنني أستطيع أن أوقفها في الجهة اليسرى من الشارع لأنها تابعة لتوقو، أما الجهة اليمنى وهي الغربية فانني لا استطيع أن أفعل ذلك لأنها تابعة لغانه.

فقلت له: إننا قوم سياح واجانب عن البلدين فماذا يحدث اذا وقفت السيارة في الجانب الغربي من الشارع؟ قال: ربما أطلق علينا الجنود الغانيون الرصاص لأنهم قد يظنون اننا نريد التسلل إلى بلادهم بطريقة غير مشروعة لذلك لم ندخل مع البوابة الرسمية لدخول البلاد هذا مع العلم بأن المنطقة المحايدة ـ إن صح التعبير ـ هي شارع لايزيد عرضه على ثمانية أمتار وهو الذي نحن فيه الآن وقلبه مسفلت تسير عليه السيارات ذاهبة وآيبة ولكن الوقوف فيه لايكون على الجانب (الغاني).

ومع ذلك ليس فيها موانع ولا حواجز ولذلك لايعرفها الغريب ومن القبيح في الأمر أن الجانب الغاني الذي لايسمح بوقوف السيارات فيه قد سمح فيه بوقوف قطيع من الخنازير القبيحة الشكل المتسخة المظهر وهي تأكل القاذورات فيه ولاشك في أن قول السائق: إنه لابد للذاهب إلى غانه من الدخول مع البوابة في الحدود بين البلدين أمر ليس له معنى في الشارع المستطيل والحدود تذهب إلى أبعد من ذلك وهي مفتوحة وبلاد (غانه) كما شهدتها قبل سنتين في اسوأ وضع إداري حكومي فكيف يمكن ضبطها وبخاصة في الليل وأوقات الغفلة؟

ولكن الصحيح أن الذي يضبطها ويمنع الناس من التسلل إلى (غانه) هي الحالة السيئة والفقر المدقع الذي يخيم على (غانه) ويجعل الناس يفرون منها لا إليها وبالنسبة إلى توقو فإن فيها أعداداً كبيرة من الغانيين الذين لاتستطيع السيطرة على اعدادهم.

تتسوق وهي عارية :

ومن الحدود بل مع شارع الحدود قصدنا سوقاً على شاطيء البحر قريب من مركز الحدود الرسمي الذي فيه الجمرك. وعندما رأيت جمركهم ذكرت بوابة جحا ـ رحمه الله ـ التي تقول النكت المروية إن جحا أوصى اذا مات أن تجعل على قبره بوابة وأن تكون على جهة واحدة من جهـات القبر وأن يوضع على بابها سبعة أقفال لئلا يفتح من تلك الجهة أما الجهات الثلاث الأخرى من القبر فتترك خالية من الجدران فضلاً عن الأقفال.

ولم يكن الوقت يتسع للتجول طويلاً في هذا السوق إذ كان علينا أن نزور (اتحاد مسلمي توقو) والمسجد الجامع في العاصمة والمدرسة الإسلامية الملحقة به. وقد لفت نظري في هذا السوق منظر امرأة جاءت إلى السوق لتشتري ماتحتاج ومعها (زنبيل) صغير تريد أن تضع فيه حاجاتها غير أنها لم تكلف نفسها عناء لبس ثوب أو غطاء صغير تغطي به صدرها إذْ كانت عارية تماماً من كل شيء الا خرقة على هيئة فوطة قصيرة قد ادارتها حول وسطها أما ماعدا ذلك من جسمها فليس عليه شيء مع أنها امرأة شابة.

ورأيت على شاطيء البحر قرب الفندق صيادين من صيادي السمك قد أحضروا منه مقادير قليلة يبيعونها على الناس طرية لأنها حديثة عهد بالحياة.

إلى جامع لومي :

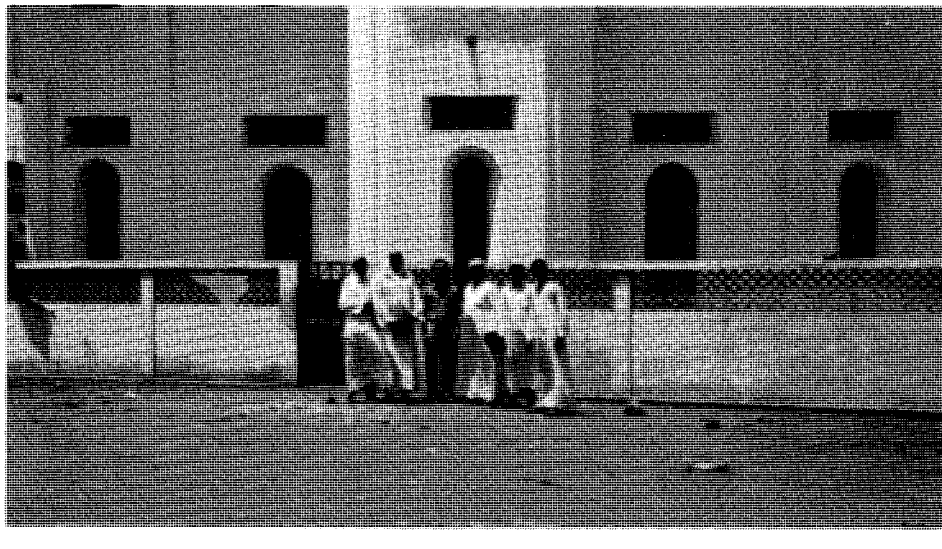

مدخل الجامع في مدينة (لومي)

وهو أكبر مسجد في لومي بل قالوا إنه أكبر مسجد في (توقو) كلها.

سلكت السيارة للوصول إليه شوارع داخلية ليس فيها اسفلت ولو اقتصر الأمر على ذلك لكان أخف ولكن فيها حفر ونقر ذكرتني بطيبة الذكر شوارع مدينة (باماكو) عاصمة مالي التي تعتبر شوارعها الداخلية مضرب الأمثال في سوء الحال مع الأسف.

لم يكن هناك موعد مسبق مع الامام أو المسئولين عن الجمعية لذلك وجدت طائفة من الإخوة المسلمين عند باب المسجد فسألتهم عن الإمام أو أحد المسئولين فلم يعرفوا بقصدي لأنهم لايعرفون العربية وأنا لا أعرف الفرنسية إلى أن سألتهم عمن يحسن شيئاً من الانكليزية فانبرى أحدهم يتكلم بانكليزية ضعيفة ولكن فهم مني ما أريد وفي هذه الاثناء وصل شاب حدثوه بأمري فجاء يتكلم العربية وقال اسمي أبو بكر سليمان وأنا طالب في المدرسة العربية هذه التي تراها واقعة بجانب المسجد ثم جاء (ابو بكر) آخر اسمه (اواجيب ابو بكر) طالب يعرف العربية أيضاً.

وتفقدت المسجد وقد كثر المتجمهرون من الإخوة المسلمين حولي وبخاصة عندما عرفو انني من المملكة العربية السعودية وكان أحدهم واسمه (عبدالرشيد محمد يوسف) يعرف

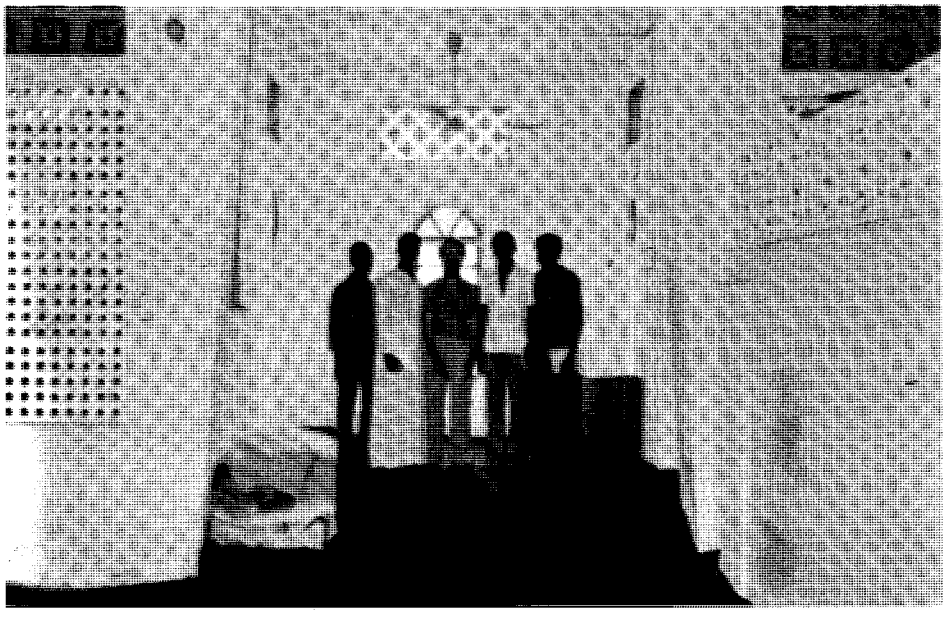

في محراب المسجد الجامع في لومي

التصوير فاقترحوا اخذ صورة تذكارية معهم في محراب هذا الجامع .

ثم انضم إلينا طائفة من المسلمين وهم يرتدون اللباس السوداني الذي هو القميص العربي الطويل والقلنسوة .

ومن الوقائع الغريبة لهم أنني أنا العربي بينهم ارتدي الزي العالمي المسمى بالافرنجي وقد فعلت ذلك طلبا للأمن ، ولأن الزيارة ليست رسمية مبنية على موعد رسمي محدد أما المسجد فإنه لابأس ببنائه وهو بالاسمنت المسلح ذو منارتين عربيتين ونوافذ عالية بالزجاج الملون .

أما المدرسة التي بجانبه وهي بالاسمنت المسلح أيضاً من طابقين فقد ساعدت الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة على بنائها وتشييدها . ومن المفرح أن الذين يتكلمون العربية تكاثروا عندي وأغلبهم من طلاب هذه المدرسة الإسلامية أو من المدرسين فيها .

وكان لوجودهم يتكلمون العربية في هذه البلاد التي لم أزرها من قبل وبهذه الكثرة التي لم أكن أتوقعها أمر مفرح بل مثير للإبتهاج وقلت في نفسي هنا ماقلته في مناسبات عديدة مشابهة وهو أننا نحن العرب المسلمين نجهل في الحقيقة أو يجهل بعضنا مصادر قوتنا .

هذا وقد سألنا عن إمام المسجد فاخبرونا أنه خرج إلى المطار لاستقبال طائرة تقل الحجاج العائدين وأن بعضهم من توقو وبعضهم من بنين ولكنهم ركبوا من توقو.

حديث عن تـــوقـــو

توقو : دولة في غرب إفريقية على خليج غينيا مساحتها ٥٦,٠٠٠ ستة وخمسون ألف كيلو متر مربع وتحدها غانا من جهة الغرب وفولتا العليا من جهة الشمال وبنين من جهة الشرق والمحيط الاطلسي من جهة الجنوب والعاصمة لومي وتعداد سكان لومي ٢٣٠٠٠٠ مائتان وثلاثون الفا وعدد جميع السكان البلاد ٢,٢٨٣,٠٠٠ مليونان ومائتان وثلاثة وثمانون الفأ فقط.

وميناء لومي ميناء كثير النشاط دائب الحركة على المحيط الاطلسي ومن مدنها المعروفة سركودي (بالمي) و(انابامي) و(أنية) (لامكرا) (تشحبا) (باماري) (وينجو)(منجو)(بافلو).

وتوقو بلاد صغيرة لايزيد عرضها في أي مكان على ٧٥ ميلا أي (١٢٠) كيلو مترا مع أنها تمتد من المحيط الأطلسي في خليج غينيا إلى داخل القارة نحو خمسمائة كيلو متر بين غانا غرباً وبنين شرقاً ـ وتقطع جبال توقو أناكورا البلاد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وفي الجنوب الغربي توجد الغابات الكبيرة والمزارع التي تنتج المحاصيل ذات القيمة الغذائية.

تعني كلمة توقو في اللغة الايويه : الساحل وقد اطلق هذا الاسم في الاصل على سواحل البحيرة ثم اطلق على كل المنطقة. ومع ذلك لايوجد ساحل أو شاطىء في توقو الا خلال ممر طوله ٥٠كم.

ومناخ توقو استوائي رطب مع درجات حرارة مرتفعة على مدى العام ـ ويستفيد ٧ أعشار السكان من الزراعة ولكن الأرض الصالحة للزراعة لاتزيد على خمسي مساحة البلاد وخمس الأراضي المزروعة مخصص لزراعة الحبوب وهي أنواع الذرة الإفريقية من الدخن والذرة والأرز ومحاصيل الغذاء المعتاد على الساحل منها اليام واللوبيا والبطاط الحلوة والفول السوداني ـ والمحاصيل الزراعية التي تصدر إلى الخارج أهمها الكاكاو والبن وزيت النخيل والقطن ولب جوز الهند المجفف والحبوب الزيتية من نوع الفول السوداني.

والجزء الجنوبي من توقو تسكنه فصيلة تنتمي إلى عرق البانتو الزنجي ويتحدثون بلغة من لغات اليو أما الشمال فيختلف اختلافاً كبيراً عن الجنوب من ناحية الأصول العرقية.

فسكان الشمال من القبائل الحامية الناطقة بلغات مختلفة. وتوجد في توغو عدة قبائل منها الكونكولي الكباري ـ الميسنا ـ التشامبا بشارى ـ (لوسو) (موبا) إلى جانب جماعات من قبائل اليوربا الشهيرة التي يقطن معظمها في غرب نيجيريا وأناس من الحوس أو الهوسا الذين

يسكنون ـ في الأغلب ـ في شمال نيجيريا.

اللغات في «توقو»

من أهمها : لغة الأيوي والكوتكولي ـ لغة الهوسا ـ لغة الكبارى ـ لغة اليوربا ـ لغة المينا ـ لغة أتشامبا ـ لغة اليسارى ـ ولغة لوسو ـ لغة موبا ـ وغير ذلك وأما اللغة الرسمية فهي الفرنسية.

الأديان في «توقو» :

في توقو ديانات متعددة أهمها: الإسلام وهو منتشر في الشمال أكثر، وفي الجنوب بعض المسلمين أيضاً.

ومنها: المسيحية وهي منتشرة في الجنوب ـ وتوجد أيضاً الوثنية حتى الآن.

الاستعمار وتوقو :

منذ عام ١٨٩٤م إلى عام ١٩١٤م كانت توقو محمية ألمانية وفي عام ١٩٢٢ قسمت البلاد إلى محميتين رسمياً تحت رعاية عصبة الأمم محمية القسم الغربي بريطاني ـ والقسم الشرقي فرنسي وعن طريق الاستفتاء الشعبي اختارت توقو البريطانية الانضمام إلى جمهورية غانا المستقلة أما في المحمية الفرنسية فقد اختار ثلاثة أرباع الناخبين الاستقلال والكيان المنفصل ولذلك حصلت توقو على الاستقلال في عام ١٩٦٠م وقد أغتيل أول رئيس لتوقو واعقب ذلك انقلاب عسكري بلا دماء وأصبح الجنرال غناسيني اياديما رئيساً واستطاع الرجل أن يخفف من حدة الصراع الداخلي بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب المتباينة الأعراق والأعراف وقد كان هذا الصراع طابعاً للعهد الأول من الاستقلال.

المسلمون في توقو

الإسلام في توقو :

دخل الإسلام إلى «توقو» في القرن الثامن عشر الميلادي من ناحية شمال البلاد المجاورة لدول الساحل التي دخلها الإسلام منذ زمن مبكر مثل مالي والنيجر ولكن بقى الإسلام راكدا ومحبوسا في شمال البلاد دون انتشار إلى جنوب البلاد حتى القرن التاسع عشر الميلادي لعدة عوامل منها :

(أ) الاستعمار الأوربي الحاقد على الإسلام والذي لايريد له الإنتشار بحال من الأحوال .

(ب) عامل تعدد القبائل وتباين لغاتهم ولهجاتهم .

(جـ) عدم وجود المواصلات .

نسبة المسلمين في توقو ٣٥٪ من عموم السكان وأهم مركز للمسلمين بها سوكودى . والمسلمون يتمذهبون بمذهب الإمام مالك رحمه الله . وبها ٩ تسع مدارس إسلامية نظامية ابتدائية كاملة الفصول والسنوات . متوسط تلاميذ كل مدرسة ٥٠٠ تلميذ وتلميذة . ويلحق بكل مدرسة من هذه المدارس قسم ليلي لتعليم كبار السن . وهذا الإحصاء في عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

وبها ثلاث مدارس إعدادية متوسط تلاميذ الواحدة ٥٠ تلميذا وتلميذة تخرج كل عام حوالي ٣٠ تلميذا وتلميذة يحملون الإعدادية . هذا بخلاف المدارس الصغيرة التي يطلق عليها اسم الكتاتيب أو المدارس القرآنية .

ويوجد بكل محافظة ثلاثة مساجد تقريباً ماعدا سوكودى فإن بها ٢٥ مسجدا عدا مسجد الجمعة الكبير. ولكن المساجد ليست مجهزة أو مشيدة ومفروشة مثل الكنائس التي كثرت في هذه الأيام ونشطت نشاطًا ملحوظًا .

وبتوقو سبعة أساتذة بشهادات عالية مبعوثون من الدول العربية على النحو الآتي : - أربعة من دار الإفتاء السعودية، و٢ من جمعية الدعوة الإسلامية بليبيا، و١ من وزارة الأوقاف المصرية .

صلاة العيد في توقو

ولايوجد بها من الجمعيات الخيرية إلا اتحاد مسلمي توقو الذي يشرف على كل الأنشطة الدينية. وهو مكون من ٢٨ عضوًا وله لائحة تنظيمية ومجلس إدارة الاتحاد فقير وليس له رصيد ويطلب المزيد من الدعم المالي حتى يواصل نشاطه من ترميمات بعض المدارس والمساجد وتنقلات الدعاة إلى المحافظات والقرى النائية.

هذا ويقوم الدعاة والحمد لله بواجبهم على الوجه الأكمل حسب استطاعتهم ويتحملون كثيراً من الجهد والوقت لإلقاء الوعظ في المساجد والمجتمعات وجميع المناسبات الإسلامية إلى جانب عملهم اليومي في المدارس المنتظمة صباحًا ومساء. وتعتبر منازلهم منتدى للجميع في أي وقت من الأوقات لحل مشاكلهم والإجابة على الإستفسارات والأسئلة ويبذلون كل جهد في دعوة الناس إلى الإسلام والتمسك بالعقيدة السلفية والأخلاق الفاضلة بالحكمة وانتقاء الموعظة الحسنة.

مستقبل الإسلام في توقو :

يتزايد عدد المسلمين الآن بشكل غير عادي ويبشر بالخير لأن كل يوم يدخل الناس في دين الله افواجًا. والسبب يرجع إلى بساطة الإسلام وهو دين الفطرة التي فطر الله الناس

عليها ولكون ظروف العمل الإسلامي في توقو أحسن من غيرها ـ نظرًا لعدم تعصب رئيس جمهوريتها المسيحي والذي ينظر إلى الإسلام نظرة سعة الأفق وأيضًا لوجود الحاج حسن محمد الرجل الثاني في الدولة (الحاج فسين ماما) وهو مفوض رسمي لتنشيط العمل الإسلامي والثقافة الإسلامية والجنرال إبراهيم كلوبالي وقائد القوات العسكرية وأيضًا وزير المالية والاقتصاد الوطني.

وإن وجود هؤلاء مبشر بالاستفادة في حقل الدعوة الإسلامية وتدعيمهم بالمخلصين الدعاة الاكفاء لرفع شأن راية الإسلام واقامة المراكز والمدارس والجمعيات الإسلامية.

ومن المعترف به الآن من الجميع أن مناطق في جنوب البلاد لم يكن للمسلمين فيها وجود في السابق قد أسلم بعض أهلها وبنيت فيها مساجد، وصار بعض المسلمين الجدد من الدعاة النشطين للإسلام من ذلك أن عدد المساجد في العاصمة (لومي) يبلغ الآن خمسة عشر مسجداً وفيها مسجدان كبيران تقام فيهما الجمعة مع انها لم تكن في القديم من مواطن المسلمين في توقو لأنها واقعة في الجنوب ولاشك في أن الاتجاه التوقوي أو (التوقولي) الإسلامي يحتاج إلى تدعيم بالمعونات المالية والمعنوية وبخاصة إلى إرسال الدعاة الأكفاء من البلدان الإفريقية الذين يستطيعون أن يجعلوا أهل البلاد يسمعون منهم وبخاصة ممن يمثلون الإسلام بالقول والعمل حتى يكونوا قدوة حسنة لغيرهم.

قابلت بعد ذلك الأخ الحاج (أبو بكر مونوغو) رئيس الاتحاد الإسلامي في توقو وذلك في بيته في العاصمة لومي، وهو شخص ذو مكانة في البلاد، وقد شغل منصب الحاكم العام في عدد من ولايات (توقو) كما كان نائبا لوزير العدل مدة عشر سنوات.

وكان اللقاء في بيته في ضاحية من الضواحي القديمة في المدينة وحضر المقابلة الأخ (ناسوما عمرو) مساعد رئيس الاتحاد الإسلامي، وكان معي الأخ محمد الدكوري وهو مبتعث من رابطة العالم الإسلامي للدعوة والإرشاد في (توقو) فكان يترجم الكلام من العربية إلى الفرنسية لأن الحاج أبو بكر لايتكلم الانكليزية.

وجدت منه تحمساً عظيماً للدعوة، وحرصاً على نشر الإسلام في البلاد وكان يذكر لي بالفخر والاعتزاز أن الإسلام ينتشر على ضعف إمكانات أهله، وقلة وسائل الترغيب عند الدعاة إليه.

ويقول إن الداخلين في الإسلام من المسيحيين والوثنيين يفوقون الداخلين في المسيحية. بل قال إن الداخلين في الإسلام من المسيحيين الوطنيين أنفسهم في بعض الأحيان يكونون أكثر من عدد الداخلين في المسيحية من الوثنيين.

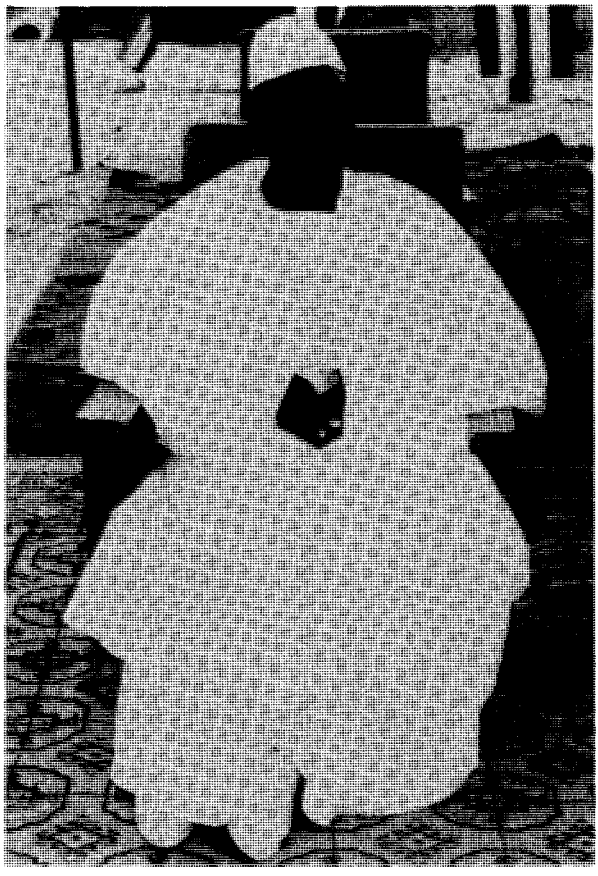

الحاج أبو بكر رئيس الاتحاد الإسلامي في توقو

ذكر لي أن السبب في ذلك أن الافارقة هم شعب بسيط، وهم يمقتون الكذب أو القول الظاهر الذي يخالف الباطن.

وحدثني بقصة مسيحي من المثقفين الوطنيين جاء لهم وأسلم على أيديهم وذكر أن الذي دفعه إلى ذلك أن أحد القسس الذين يدعون إلى المسيحية أو قال: بعضهم يريد بذلك أنهم أكثر من واحد وكان يتكلم على العفة ويحث الناس عليها ويتظاهر بأنه ملتزم بها لأنه غير متزوج وتبين بعد ذلك أنه واقع أكثر من فتاة إفريقية وأن بعضهن حملن منه.

وقال باللفظ كيف يدعون إلى العفة وهم يحبِّلون بنات الناس؟

وقد نوه الحاج أبو بكر بكون المسلمين في (توقو) منضمين باكثريتهم لهذا الاتحاد، وأنه ليست لهم مؤسسات متعددة متعارضة أو جمعيات متنافرة.

وأكد ماكنت عرفته من قبل من أن الاتحاد الإسلامي في (توقو) الذي يرأسه هو يتكلم باسم المسلمين في هذه البلاد.

وذكر أنه يقوم بين الفينة والأخرى بجولات في البلاد يتفقد فيها أحوال المسلمين في انحاء البلاد وأنه كان قد قدم أمس من إحدى هذه الجولات.

وأكد أن بعض الوزراء من غير المسلمين يجاملون المسلمين ويزورونهم في المناسبات مثل أيام الأعياد حتى إن بعضهم يحضر صلاة العيد لمجرد إظهار الشعور الطيب والمشاركة الوجدانية للمسلمين في أعيادهم.

وزير داخلية توقو يهنىء إمام الجامع بالعيد

وذكر أن بعض المسلمين يشغلون مناصب مهمة في الدولة من ذلك أنه هو نفسه شغل منصب نائب وزير العدل وأن أخاه هو الآن رئيس جهاز الأمن في البلاد.

ثم استعرضت معه احتياجات المسلمين في البلاد ومن ذلك الحاجة إلى وجود مسجد جامع مركزي لائق المظهر في كل عاصمة من عواصم الأقاليم كما ركز على الحاجة الماسة الحاضرة إلى أمرين.

أحدهما : الكتب الإسلامية المبسطة باللغة الفرنسية.

والثاني : زيادة أعداد الدعاة المؤهلين للدعوة الذين يمكنهم التجول في انحاء البلاد وشرح محاسن الإسلام للمواطنين.

وقد وعدته خيراً في المساعدة على ما ذكر وقلت له إن المهم أننا ندعوك باسم رابطة العالم الإسلامي إلى اداء مناسك الحج وأن تكون ضيفنا على الرابطة طيلة بقائك في المملكة وسوف نخبرك بالتفصيل في مباحثات تجرى معك هناك عما تستطيع الرابطة أن تقدمه لكم في سبيل المساعدة على تحقيق ماطلبته للمسلمين.

تقرير هام :

بعد كتابة ماسبق حصلنا من (اتحاد المسلمين في توقو) على بيان عن أحوال المسلمين هناك باللغة الفرنسية، فترجمناه ورأينا نشره هنا لما تضمنه من تفصيل واضح وبيان مدعم بالأرقام إلى جانب كونه صادراً عن جهة معنية بالأمر.

جمهورية توقو في حقيقتها دولة علمانية، حيث حرية الثقافة والدين متاحة لكل طائفة دينية ولها أن تقيم شعائرها الدينية بهدوء وطمأنينة، هكذا تم منذ سنوات عديدة اقرار الاعياد الدينية الكبرى وجعلها عطلة رسمية في البلاد سواء كانت مسيحية أو إسلامية وعلاوة على ذلك يمكن أن نلاحظ وجود عدة طوائف مسيحية منشقة.

إذا كان انتشار الدين المسيحي في توقو يرجع إلى القرن الخامس عشر، مع الاتصال الاستعماري بالبلاد فيعتبر انتشار الإسلام وعلى خلاف ذلك ـ حديثاً إذ أن انتشاره يرجع إلى القرن الثامن عشر.

إن سياق أسلمة المجتمع التوقولي يتجاوب مع الخطة العامة التي نلاحظها في دول الساحل، حيث أتى الإسلام إلى هذه البلاد نتيجة عمل المتطوعين بطريقة ضمنية وجهود الدعاة العاملين للعقيدة.

وكان معظم هؤلاء المغامرين والتجار الذين يرجع بعضهم إلى أصول لبعض الامبراطوريات الإسلامية القوية في الساحل مثل امراطورية (كانى) في القرن الثاني عشر وامبراطورية (سنغاي) في القرن الخامس عشر وامبراطورية (بورنو) في القرن السادس عشر وبلدان (هوسا) و(الولة) المتاخمة للنيجر، وجدير بالاشارة إلى أن هذه الامبراطوريات والبلدان المذكورة قد دخل فيها بدورها الإسلام بفعل غزو البربر في منتصف القرن الحادي عشر وبصورة عامة يعتقد أن الإسلام دخل في إفريقيا عن طريق الشمال ابتداء من القرن

السابع، وهنا يمكننا القول بأن هذا التيار القوي هو الذي اسرع انتشار الإسلام في بلدان المغرب العربي مهد إسلام البرابر.

سبق أن رأينا بأن انتشار الإسلام في توقو جاء نتيجة هجرات الذين جاؤا أساساً من الدول المجاورة في الشمال، التي سبقتها إلى الاعتناق بالإسلام بواسطة قبائل البربر وقبائل أخرى فولانية نذكر منها بالخصوص قبائل (هوسا) وقبائل (فوله) في شمال نيجيريا حالياً وقبائل (جرما) وقبائل (سونغاى) في منعطف مجرى نهر النيجر وقبائل (ماندى) وقبائل (جولا) في مالي..

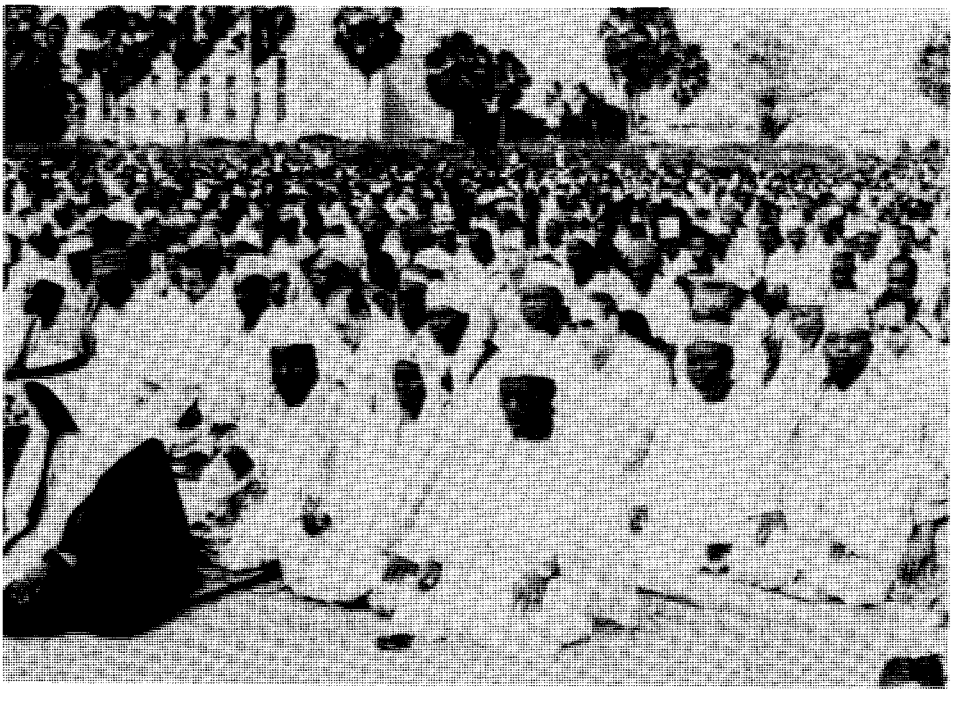

صورة عامة للمسلمين في توقو يوم العيد

وهكذا يمكن لنا القول بأن ظهور الإسلام في هذه المنطقة بدأ في اواخر القرن الثامن عشر مع هجرات قبيلة (انيغو) في (مانغو) الذين جاؤا من الشمال في ساحل العاج، وبصورة أكثر تحديداً من منطقة (كوتغا) التي كانت قبل اجتياح جيوش ساموري توري عاصمة إسلامية لغرب افريقيا، وهذه العاصمة الإسلامية لسوء الحظ دمرت نهائيا بعد هجمات ساموري المتكررة عليها.

وفي (كونغ) إذن تكونت جماعة إسلامية مغتربة هاجرت لتقيم في توقو عند عام ١٧٧٨ وكانت قبائل (انغوم) من الأوائل الذين نشروا الدين الإسلامي في هذه الدولة وعقبتها بعد ذلك الدعاة المتطوعون والمهاجرون التجار.

على العموم يمكن القول بأن الإسلام جاء إلى جمهورية توقو من الشمال طبقا لمسار امتداده الشيء الذي يوضح أن انتشار الدين في الشمال أكبر من انتشاره في الجنوب.

ولقد تمت عملية الانتشار الداخلي للإسلام بالطرق التجارية الملائمة ولذلك يمكن أن نفرق بين الشمال والجنوب كالآتي:

- طريق (تباك) حول (منانغا).
- طريق الحديد في (باسارا).
- طريق الطبول (غور) بين (ايتكبام) و(بادو).
- طريق الملح ابتداء من لومي.

كل هذه النقاط تعتبر حقيقة مراكز بين التجار المسلمين وساعد على ذلك انتشار الإسلام فيها وتوفر طرق المواصلات والتبادل بين الدول بشكل كبير وعلى ذلك تواصلت اسلمة المجتمع التوقولي بصورة ضخمة، تؤكد هذا نتائج الاحصائيات في الجدول الآتي.

أ ـ تطور السكان المسلمين التوقوليين

السنة	مجموع السكان	المسلمون	النسبة المئوية
١٩٢٣م	٧٤٤٣١٦	٢٠٠٠٠	٢,٦٨
١٩٤٤م	٧٨٣٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣,٨٣
١٩٦١م	١٥٤٣٥٨٥	١٣٤٨٦٠	٨,٧٣
١٩٧٠م	١٤٩٤٩٣	٢٢٦١٨٦	١١,٦٠
١٩٨١م	٢٦٧٥٥٠١	٣٢٤٦٩٠	١٢,١٣

ويمكن معرفة معدل انتشار الإسلام في توقو بالرجوع إلى جدول (أ) ويقدر مجموع السكان التوقوليين حسب احصائيات عام ١٩٨٧م بحوالي ٣٠٧١٥٣٥ نسمة بلغ عدد السكان المسلمين ٣٨٦١٢٢ شخص أي بمعدل نسبة (١٢,٥٧٪).

وعلى الصعيد الجغرافي نلاحظ أن انتشار الإسلام في المنطقة الوسطى اكثر توسعاً بالنظر إلى النسبة الحقيقية للمسلمين، وتبعتها على التوالي مناطق (كارا) و(سواني) و(يلانو) و(مارتيس)، وتقدر نسبة هاتين المنطقتين الاخيرتين من مجموع السكان المسلمين بنحو ١٢٪.

وبالرجوع إلى هذه الحقيقة في كل ولاية على حدة نجد أن الولايات التي ينتشر فيها الإسلام أكثرها ولايات تقع في شمال البلاد:

ب ـ تقسيم الجماعة الإسلامية بالولايات على التوالي (احصاء ١٩٨١م)

الولاية	مجموع السكان	الجماعة الإسلامية	النسبة المئوية
المنطقة الوسطى	٢٧٢٧٢٥	١٢٧٨٤٤	٤٦,٨٧
كارا	٤٢٠٤٧٤	٥٨٨٣٠	١٣,٩٩
ساونى	٣٢٨٣٤٠	٤٥٥٢٠	١٣,٨٦
بلاتـو	٦٤٠٦٥٤	٥٣٦٧٧	٨,٣٧
مارتيـم	١٠١٣٣٠٨	٣٨٨١٩	٣,٨٣

جـ ـ ترتيب الولايات حسب معدل الإسلام (احصائيات ١٩٨١م)

المقاطعة	مجموع السكان	الجماعة الإسلامية	النسبة المئوية
١ ـ آسولى	٣٢٣٢٨	٢٦٦٢١	٨٢,٣٤
٢ ـ تشامبا	٤٤٧٥٨	٣٦١٨٠	٨٠,٨٣
٣ ـ تشاوجو	٩٦٢١٣	٦٨٧١٦	٧١,٤٢
٤ ـ وتـى	٧٧٦٣٠	١٥٢٦٢	١٩,٤١
٥ ـ سوتوبو	١٣١٧٥٤	٢٢٩٤٨	١٧و٤١
٦ ـ واو	١٠٨٥١٥	١٨٠٨٤	١٦,٦٦
٧ ـ توفـى	٢٥٠٧١٠	٣٠٢٥٨	١٢,٠٦

المقاطعة	مجموع السكان	الجماعة الإسلامية	النسبة المئوية
٨ ـ باسار	١١٨٧١٢	١٤٣٢٦	١٢,٠٦
٩ ـ وغـو	١٦٤٦٥٧	١٩١٢٩	١١,٦١
١٠ ـ بينه	٤٩٨٩٣	٤٧٣٥	٩,٤٩
١١ ـ لومى (بلديه)	٣٦٧٣١٥	٢٩٥٩٧	٨,٠٥
١٢ ـ كوزا	١١٨٤٦٩	٩٢٦٠	٧,٨١
١٣ ـ امو	٧٢٩٣١	٥٣٠٨	٧،٢٧
١٤ ـ غولـف	٦٨٢٨٣	٣٤٩٠	٥,١١
١٥ ـ كلوتو	١٨٣٥٦٥	٩١٧٥	٤,٩٩
١٦ ـ كيـرن	٤٣٣٢٣	٢١٠٩	٤,٨٦
١٧ ـ دو فيلوغو	٥٧٧٤٩	١٧٧٩	٣,٠٨
١٨ ـ ساهـو	١١٠٩٨٦	١٩٨١	١,٧٨
١٩ ـ لـــك	١٣٥٨١٣	٢٠٦١	١,٥١
٢٠ ـ جيجو	١٩٣٧١١	١٨٨٣	٠,٩٧
٢١ ـ بوتـــو	١٠٠١٦٣	٩٢٢	٠,٩٢
٢٢ ـ فـــوو	١٤٨٠٢٣	٨٦٦	٠,٥٨
المجمـوع	**٢٦٧٥٥٠١**	**٣٢٤٦٩٠**	**١٢,١٣**

ونلاحظ أن معدل نسبة المسلمين في هذا الجدول يتراوح بين ٠٪ إلى ٨٠٪ وأن المقاطعات الأقل انتشاراً للإسلام هي تلك التي تقع في الجنوب.

ويرجع هذا الاخلال في التوازن إلى كون هذه المقاطعات إنما ارتبطت بالثقافة الأوروبية منذ الساعات الأولى من دخول الاستعمار ودخول حركات التبشير طويلاً قبل دخول الإسلام في توقو.

وعلى عكس ذلك أنه اذا اعتبرنا معدل نسبة المسلمين حسب القبيلة فتكون النسب أكبر

من ذلك كما وضحنا في جدول (ب) وأما القبائل التي انتشر فيها الإسلام بصورة كبيرة فهي القبائل المتواجدة في شمال البلاد، ووقع ذلك بنفس الدرجة التي كانت حملة الاقليات للدعوة الإسلامية في توقو مثل القبائل (هوسا) وقبائل (فولة) وقبائل أخرى (موسية)، وفي نفس الوقت يمكن ملاحظة أن قبائل الجنوب تعتبر أقل تأثراً بالدين الإسلامي.

كما رأينا يمكن القول بأن انتشار الإسلام في توقو - مهما يكن - يعتبر حديث العهد ولكنه تطور تطوراً ملحوظاً.

وعلى ذلك يحتل الدين الإسلامي المرتبة الثانية في توقو رغم النقص الملحوظ في الاحصاءات الجديدة ويتأكد هذا القول في الاحصائيات التي جرت في عام ١٩٧١م حيث بقيت المعدلات ثابتة، ولم يطرأ فيها إلا تغيير بسيط.

يحضر بعض السفراء المسلمين صلاة العيد في لومي - توقو

د ـ ترتيب القبائل حسب نسبة الإسلام (احصائيات ١٩٨١م)

القبيلة	مجموع السكان	الجماعة الإسلامية	النسبة المئوية
١ ـ هوسا	٧٦٦٢	٧٠٠٩	٩٦,٥١
٢ ـ كوتولى	١٥٥٦٦٠	١٤٨٧٨٩	٩٥,٥٨
٣ ـ تشامبا	٢٦٢٠٥	٢٣٩٧٤	٩١,٤٨
٤ ـ بيلا	٣٦٧٧٧	٣١٦٥٦	٨٦,٠٧
٥ ـ بسيلا	٤٩٨	٤١٠	٨٢,٣٢
٦ ـ يوريا	٥١٢٨	٣٩٧٤	٧٧,٤٩
٧ ـ موسه	٧١٠٨	٥١٠٢	٧١,٧٧
٨ ـ ناغول اناغول	٦٩٨٦	٤٥٢١	٦٤,٧١
٩ ـ ينغا	٧٨٧٨	٤٢٨٦	٥٤,٤٠
١٠ ـ انيغو	٣١٩٠٠	١٣١٣٦	٤١,١٧
١١ ـ تاولبو	٢٢٩	٨٠	٣٥,٨٠
١٢ ـ بسار	٤٧٤٣٥	٧٦٤٢	١٦,١١
١٣ ـ انلافى	٦٧٧٣٧	٨٨٦١	١٣,٠٨
١٤ ـ باريبا سومبا	١٥١٥٣	١٨٠٢	١١,٨٩
١٥ ـ غورما	٩٢٠٥٩	٣٩٦٢	١١,٣٠
١٦ ـ كبيسي	٢٢٣٠	٨٦	٣,٨٥
١٧ ـ هالون	٤٧٩٢	١٧٥	٣,٦٥
١٨ ـ انغام ـ انغام	٢٥٤٧٣	٦٦٩	٢,٦٢
١٩ ـ انياغ	٥٤٣٥	١٤١	٢,٥٩
٢٠ ـ كابى	٣٦٩٢٤٦	٨٣٠٣	٢,٢٤
٢١ ـ موبا	١٤٥٥٤٨	٣٠٩١	٢,٢٤
٢٢ ـ هولا	٢٠٠١	٢٨	١,٣٩

القبيلة	مجموع السكان	الجماعة الإسلامية	النسبة المئوية
٢٣ ـ أويـو	٣١٦١	٤٣	١,٣٦
٢٤ ـ ابيلى	٥٤٧٠	٦٢	١,١٣
٢٥ ـ فـو	٢٦٩١٠	٢٧٩	١,٠٢
٢٦ ـ لامبـا	٨١٣٣٩	٧٠٤	٠,٨٦
٢٧ ـ كونكومبا	٣٨٢٩٥	٢٦٢	٠,٦٨
٢٨ ـ اكيبـو	٣١٠٨٤	١٨٦	٠,٥٩
٢٩ ـ لوسـو	١٠٩٤٣٩	٥٤٥	٠,٤٩
٣٠ ـ مناغـى	١٥١٧٢٣	٧٣٣	٠,٤٨
٣١ ـ ابـزا	٨٤٥٥٣	٣٨٩	٠,٤٦
٣٢ ـ بيدا (فلا)	١٠٨٥٥	٤٧	٠,٤٣
٣٣ ـ اوى	٦١١٠٦٩	١٥٦٨	٠,٢٥
٣٤ ـ اكبوسو	٦٩٥٠٦	١٥٦	٠,٢٢
٣٥ ـ اوتشى	٢٧٥٧٩٤	٤٧٠	٠,١٧

ومن الملاحظ أن عدد الكاثوليكيين يقدر بحوالي ٤٠٢٤٧٦ نسمة وعدد المسلمين يصل إلى ٢٢٦١٨٦، وعدد البروتيستانيين ١١٨٧٠٨ نسمة وهذه الديانات الرئيسية الثلاث هي المعترف بها رسمياً من الحكومة التوقولية ويبلغ المعدل النسبي لهذه الجماعات الدينية من مجموع السكان على التوالي ٦٤,٢٠٪ و٦٠,١١٪ و٠٨,٦٪.

اتحاد المسلمين في توقو:

لايمكن تحقق توسيع الجماعة الإسلامية في توقو إلّا بعد ما يتم القضاء نسبياً على كثير من الممارسات الدينية الباطلة، فانتشار الإسلام في توقو تم على ايدي الدعاة المتطوعين، وهؤلاء لم يكونوا يتمتعون في بعض الاحايين بمعرفة كبيرة لتعاليم الدين الإسلامي وعلى ذلك لم يسلم الإسلام في توجو من وجود التيارات المتناقضة بين التجديد والتقليد في حفظ تعاليم القـرآن دونما اهتمام بفهم النصوص، وعلى ذلك لقد ظهر جيل جديد من الشباب الذين تخرجوا من مركز الدراسات الإسلامية وناضلوا من أجل فهم تعاليم القرآن، وذلك بالقيام بالدراسة الحقيقية للكتاب، والتمكن من معرفة احكام التجويد واللغة العربية.

وليكون لهذا الاتجاه الجديد صدى، قام شابان مسلمان في توقو، ذلك الوقت بانشاء اتحاد المسلمين في توجو، لدفع عجلة النمو للإسلام والقيام بالدعوة الإسلامية من منطلق جديد.

هكذا قام قاسم مانو (قبيلة ايوى) ومحمد بلو الفولاني بانشاء هذه الجمعية بعد استقلال البلاد بمساعدة وتأييد الشخصيتين السياسيتين هما: السيد مام حسين وزير الداخلية آنذاك والحاج شافوو نائب رئيس الجمعية الوطنية في توقو، وادى هذا العمل إلى إنشاء اتحاد المسلمين في توقو في سبتمبر عام ١٩٦٣م وهؤلاء الاشخاص الأربعة هم الذين استولوا على المناصب العليا في المكتب، برئاسة الحاج شافوو وقاسم مانو، كأمين عام ومحمد بلو الفولاني كأمين للصندوق ومام حسين كمستشار.

وخلال الفترة التي استغرقت ٧ سنوات حتى عام ١٩٧٠م تم في ٢٢ سبتمبر عام ١٩٦٣ تشكيل المكتب الذي يتولى قيادة نشاطات الاتحاد الفني في جميع الميادين سواء في توقو أو خارجها ومع الدول العربية والمنظمات الإسلامية الأخرى.

وفي هذه الاثناء قامت في عام ١٩٧٠م أزمة حول المكتب بعد سوء التسيير لإدارة الاتحاد والاستئثار بالحكم الفردي للإدارة عقب المؤتمر الذي عقد، تم تشكيل مكتب جديد بتاريخ: ٣ مايو ١٩٧٠ بعد مرور ثلاثة أيام من النقاش الحاد واسندت إدارة هذا المكتب الجديد إلى الحاج مام حسين الذي إلتزم بدعم الاتحاد في نشاطاته من تربية الشباب وتنظيم الحج إلى الديار المقدسة الخ.

وبعد سنين دعا المكتب إلى عقد مؤتمر في ١٤ إلى ١٥ من شهر يوليو في سكودي، الذي دعا جميع المسلمين إلى توحيد العقيدة الإسلامية الصحيحة، وقد تم في هذه المناسبة تغيير المكتب واسندت ادارته إلى مانسا قاسم وعين ثلاثة أشخاص من مصر كمستشارين دينيين.

ورغم الجهود التي بذلت لايجاد انفتاح وتفاهم بين اعضاء المكتب، لم يتأخر انفجار أزمة جديدة حول المكتب في عام ١٩٧٢م الشيء الذي استدعى دعوة المؤتمر إلى الانعقاد في ٥ اغسطس عام ١٩٧٦م بعد أن تم حل المكتب.

ولقد تم في المؤتمر انتخاب مكتب جديد اسند إلى علي آدم اكراواتو ليسهر على نشاطات الاتحاد ويعمل لإعادة العلاقات بين جميع المسلمين.

المسلمون في أحد الاحتفالات الدينية في توقو

والجدير بالذكر أنه سجل في هذا المؤتمر حضور ثلاثة من كبار المسئولين السياسيين والعسكريين والإداريين كما تميز بصورة جوهرية بتدخل السياسة في الشئون الإسلامية.

وبعد خمس سنوات انعقد المؤتمر الخامس في ٢١ فبراير ١٩٨١م وأسندت رئاسة اتحاد المسلمين في توقو خلاله إلى الحاج مونوغو أبو بكر.

سيحتفل اتحاد المسلمين في توقو في وقت قريب بمرور ربع القرن من الزمن، وتعتبر هذه الفترة كبيرة بالنظر إلى بدء العمل الإسلامي وقليلة بالنظر إلى التنظيمات والنشاطات الهامة التي تحققت في فترة لاتتجاوز ٢٤ سنة.

وعلى الصعيد التنظيمي، اقر النظام الاساسي للاتحاد عدة أجهزة للعمل:

١ ـ المؤتمر.

٢ ـ اللجنة المركزية التي تنتخب من طرف الجمعية العامة أو المؤتمر الذي ينعقد كل سنتين.

٣ ـ مجلس الإدارة الذي ينتخب من طرف الجمعية العامة ويتم تجديده كل سنتين.

٤ ـ المجلس الأعلى المنبثق عن اللجنة المركزية يكون في عضويته بعض الشخصيات البارزين من المسلمين لدراسة المسائل المتعلقة بالإسلام.

٥ ـ انشاء فروع تابعة للاتحاد على امتداد التراب الوطني.

وبقيت هذه المؤسسات دونما تغيير منذ انشاء اتحاد المسلمين باستثناء حالة التوقف التي أدت إلى انشـاء لجنة البحوث الإسلامية في عام ١٩٧٦م، رغم تحقق الاستقرار النسبي للاتحاد لم تقم الأجهزة بأداء الواجبات المناطة بها بصورة فعالة، حتى إن بعضها بقيت شبه معدومة، على سبيل المثال لا الحصر اللجنة المركزية.

وعلى صعيد النشاطات فإن النظام الأساسي الذي تم اقراره في ١٩٧٠ قد حدد الأهداف المتوخاة للاتحاد في الآتي:

١ ـ الدفاع عن الإسلام.

٢ ـ انشاء مجلس أعلى يتولى تنظيم القرارات الدينية على امتداد التراب الوطني.

٣ ـ توطيد الاتحاد وايجاد تفاهم وإخاء بين المسلمين المتواجدين على تراب الجمهورية.

٤ ـ تقديم المساعدة والمساندة لأعضاء الجمعيات الإسلامية في حالة الضرورة.

٥ ـ متـابعة النشاطات الاجتماعية والثقافية والدينية والرياضية لمصلحة جميع الاعضاء وبصورة خاصة للشباب المسلمين.

٦ ـ بناء المساجد والمدارس والمراكز الثقافية ومبان أخرى تمارس فيها نشاطات المسلمين التي تهدف إلى نشر الإسلام.

٧ ـ إقامة الاتصالات الأخوية بين الجماعات المختلفة تستهدف عمل الخير في البلاد وفي العالم.

٨ ـ الاشراف على الحج إلى مكة.

ومع كل هذا بقيت الأجهزة التي اقرها النظام الاساسي ثابتة.

على كل الاحـوال ارتبـطت كل هذه النشاطات بصورة أكثر أو أقل بالمكتب، حسب نتائجها وفي الواقع لم تتمكن المكاتب المختلفة من السعي إلى اتخاذ سياسة لتحقيق الأهداف المتوخاة بسبب الانقسامات الداخلية بينها.

ويظهر سوء التسيير كقاسم مشترك بين جميع المكاتب المتعاقبة رغم النجاح النسبي الذي عرفه الاتحاد في الساعات الأولى من انشائه، وجدير بالذكر إن هذا النجاح مكن المسئولين من تبني سياسة حكيمة ساعدتهم على إقامة علاقات مع الخارج، استقبل الاتحاد بذلك مساعدات مالية من الدول والمنظمات الإسلامية العربية وهذه المساعدات دفعت بصورة سريعة المسئولين إلى اتخاذ طريقة غامضة للتسيير، ولم يتم أي مراقبة للحسابات ودخول المبالغ من قبل الاعضاء الآخرين على ذلك حدث تدهور في وقت قصير في الحالة المالية.

وبالإضافة إلى ذلك لم يتمكن أي مكتب إلى يومنا هذا من إعطاء نتيجة إيجابية في نهاية فترة انتدابه حتى ولم يتمكن بعضه من تقديم بيان مالي إلى المؤتمر، إذ أن سبب عدم وجود مصادر مالية قوية للاتحاد جعله غير قادر على اتخاذ سياسة خاصة بها، وعلى ذلك لقد حان الأوان للقيام بتغيير الوضع، وسياسة التسيير لصالح خدمة الإسلام، ويجب أيضاً القيام بتحسين حالة الإدارة للاتحاد، لتحقيق ديمقراطية حقيقة، ونلاحظ من هنا أنه في كثير من الاحيان نجد المسئولين الذين تنحصر الإدارة في ايديهم غير قادرين على توحيد وجمع كلمة المسلمين.

٤ ـ برنامج العمل الجديد

هذا البرنامج يشمل:

١ ـ إعادة الحركة للاجهزة والمؤسسات

لقد اعطى المكتب الأولوية لدعم الترابط وسير الهياكل التي تم إقامتها من جهة، وتسهيل إقامة العلاقات بين الفروع المحلية ومجلس الإدارة من جهة أخرى ومن هذا المنطلق تجلت ضرورة إقامة اتصالات دائمة بين مجلس الإدارة والمكاتب الإقليمية ومنذ بدأ المكتب القيام بنشاطاته، قام بجولة أجرى خلالها اتصالات أولية بالمكاتب الإقليمية، ذلك للوقوف على سير العمل وإعادة تنظيم المكاتب في حالة الضرورة.

أما دور المكاتب الإقليمية فهو يتمثل في تعبئة المخلصين للعمل، وعلى ذلك يلزم أن يكون الاهتمام منصبا على النشر والتوزيع، وأيضاً يلزم السهر في اختيار المسئولين العاملين وفرض توفر جميع صفات العاملين للدعوة الإسلامية.

إن اللجنةالمركزية التي كان من المقرر أن تعقد اجتماعاتها كل سنتين لم تجتمع إلا بصورة

فردية ومع ذلك، لقد قامت هذه اللجنة ببذل مجهودات قيمة، خلال وجودها منذ ٢٤ سنة وعلى ذلك يجب اعطاء هذه اللجنة حيوية تتمكن بها من تحديد توجيهات واضحة.

كما يجب أيضاً إعادة تنظيم المجلس الاعلى الإسلامي لإعطائه الوسائل الكفيلة لاداء واجبه الكبير والنبيل بصورة أكمل، واذا كان انشاء هذا المجلس أساساً قد تم في مؤتمر عام ١٩٧٠م فإنه يضم عضوية جميع اعضاء اللجنة المركزية واعضاء دائمين تم اختيارهم من بين علماء الدين الإسلامي.

ورغم أن المجلس لم يتمكن من عقد اجتماعاته بصورة منتظمة إلا أنه أجريت تغييرات في هيكله وعلى ذلك أسندت إدارة المكتب منذ عام ١٩٨١م إلى الأئمة الذين جاؤ إلى المكتب للنظر في القرارات المتعلقة بالحياة العامة ونشر الدعوة طبقاً لتعاليم القرآن، ومع هذا كله فتشكيلة المجلس تبدو ناقصة الأمر الذي تعذر معه عقد الاجتماعات.

وعلى ذلك كان من المفروض أن يتم تشكيل المجلس من عدة أنواع من الاعضاء كأن يكون تشكيله كالآتي:

- اعضاء مجلس الإدارة.
- الاعضاء المنتخبون من اللجنة المركزية من الائمة وشخصيات أخرى دينية لهم معرفة في القرآن والسنة.
- الاعضاء المشاركون الذين يتم اختيارهم من الأساتذة المبعوثين المكلفين بالتعليم الإسلامي ويجتمع المجلس أيضاً كلما دعت الحاجة، كتحديد تواريخ الأعياد الإسلامية الكبرى، وبدء شهر رمضان أو معرفة مسألة من المسائل المتعلقة بالاجتهاد الإسلامي.

٢ ـ التضامن بين الجماعات :

الدعاء في أحد الاحتفالات الدينية في توقو يؤديه إمام الجامع

مكنت الإسلام عالميته من فتح أبوابه أمام جميع الجماعات الإنسانية دونما تمييز للعنصر واللغة أو الجنسية فجميع المسلمين أخوة، وعلى ذلك يلزم السعي إلى اتخاذ اسلوب متحرك لتقريب مختلف الجماعات والعناصر المقيمة في توجو إلى اتحاد المسلمين، كما يلزم الادراك كليا بما يتعلق بحياة ونشاطات الاتحاد ويلزم في النهاية عقد اجتماعات بين مجلس الإدارة ومختلف الجماعات.

٣ ـ التربية والشبيبة وحالة المدارس القرآنية :

لانطيل الكلام عن الأهمية التي يحتلها الشباب في اهتمامات اتحاد المسلمين في توقو، ذلك بالنظر أن نشاطاته الأولية تركزت أساساً على هذه الأهمية وعلى ذلك قام مكتب الشباب بأول جولة خارج البلاد وأجرى خلالها مفاوضات مع المجلس الاعلى للشئون الإسلامية في مصر، حول إمكانية تقديم المساعدة لتربية الشباب وعلى ذلك لقد تم ابتعاث (٥) اساتذة من الأزهر الشريف إلى توقو في ٢٥ اكتوبر ١٩٦٤م لفتح مدارس التعليم العربي في لومى العاصمة وسكودى، ولقد بدأ ببناء هذه المدارس بمساعدة المملكة العربية السعودية والكويت ودول المغرب العربي.

وفي هذه الأيام يقوم كل استاذ على الاقل بالاشراف على مدرسة قرآنية تقليدية. وفي المركز الرئيسي مثل لومى وسكودي وكياليم الخ.. وصل المعدل الحقيقي لعدد التلاميذ المسجلين في المدارس إلى مستوى عال، حيث تتراوح عددهم بين (٢٥٠) إلى (٩٠٠) تلميذ لمدينة واحدة، يتم تدريس المرحلة الاعدادية والسنة الأولى من الثانوية.

المعدل الحقيقي لعدد التلاميذ في المدارس القرآنية الرئيسية

المدينـــة	عدد التلاميذ
١ ـ سكودى	٩٨٥
٢ ـ لومـــى	٧٣٩
٣ ـ يافلـــو	٤٥٠
٤ ـ كيـاليـم	٣٥٠
٥ ـ تشامبـــا	٣٢١
٦ ـ مانغـــو	٢٥٠

ويقترب عدد التلاميذ المسجلين في المدارس في توقو إلى ٥٠٠٠ أو ٦٠٠٠ تلميذ في السنة غير أن عدم التنظيم وعدم وجود نظام قويم حال دون معرفة المشاكل الحقيقية للتعليم الإسلامي في توقو، وبعد قضاء مرحلة معينة في المدارس المحلية استطاع عدد قليل من التلاميذ الذين كانوا يواصلون دراساتهم في المدارس الإسلامية، من الالتحاق في جامعات الدول العربية، غير أن إعطاء إحصائيات حقيقية لعدد الدارسين في الخارج يبدو صعبا.

ومن خلال هذا المعدل الذي يرتفع عاماً بعد عام تبدو الأهمية التي يوليها الشباب المسلمون في توجو للتعليم الإسلامي الحديث.

٤ ـ منح دراسية للتكوين :

كما اتضح لنا سابقًا أن هناك عدداً كبيراً من الشباب التوقوليين حصلوا على منحة للدراسات العالية من الدول العربية الصديقة والمنظمات الإسلامية وبالتحديد من المملكة العربية السعودية، وليبيا ومصر والكويت وتونس والسودان ومن البنك الإسلامي . . الخ.

ومن هنا أيضاً يتجلى الدور الأهم للمكتب الذي يجب أن يسهر بانضباط على تكوين الشباب ومساعدتهم على التوظيف غير أن عدم وجود تنظيم على هذا المستوى، دفع الكثير من الجهات التي كانت تتقدم بالمنح الدراسية إلى إيقاف مساعدتها وأن عدم وجود سياسة قوية للتكوين على مستوى اتحاد المسلمين يصعب معه تحقيق إقامة علاقات بينه وأجهزة الدولة التي تسهر لاعطاء التكوين النافع للشباب التوجوليين.

ومن هنا إذن يتحدد ضرورة وضع سياسة واضحة للتكوين لهدف عقلنته، ذلك بتوفير:

- المنح الدراسية للتكوين الجامعي.
- المنح الدراسية للتكوين المهني.
- المنح الدراسية للتكوين الديني التي تعطيها الدول الصديقة والمنظمات الإسلامية.

٥ ـ حصر علاقات الترابط :

سبق أن ذكرنا أن اتحاد المسلمين في توقو قد نجح في بعض الأحيان بالقيام بنشاطات كبيرة بالدعم والمساعدة المادى والمالي من الدول العربية غير أنه مع ذلك لقد تأثرت علاقات التعاون بين الاتحاد وبين الدول العربية والمنظمات الإسلامية نتيجة الصعوبات الكثيرة التي عاشتها كل دولة من جهة ونتيجة ضعف سياسة العلاقات الخارجية على مستوى مكتب اتحاد المسلمين في توقو من جهة أخرى، فالعلاقات التي تمت اقامتها من طرف المسئولين تحولت إلى علاقات شخصية وعلى ذلك يجب على المكتب بأن يقوم بإعادة الثقة إليه من المساندين

والمتعاطفين معه في واجب نشر الإسلام، وعلى هذا الاساس تبني اتحاد المسلمين سياسة الانفتاح التي دعت إليها حكومة توجو لسير جديد للعمل.

٦ ـ الدعوة الإسلامية :

لايمكن القول بأن اتحاد المسلمين في توقو قد تمكن من الحصول على إمكانيات حقيقية من الدولة لنشر الدعوة الإسلامية، وذلك يرجع ـ مرة أخرى ـ إلى غياب سياسة سليمة للدعوة إلى العقيدة الإسلامية حيث أنه كان من المفروض وضع برنامج عمل وطرحه على المسئولين العاملين للسير عليه، كما أن المسلمين لم يقوموا على مستواهم بأي عمل حقيقي للاستغلال المطابق للعقل للمؤسسات القائمة: مساجد، ندوات، محاضرات. الخ..

وعلى هذا يلزم المكتب وضع برنامج منطقي ومحدد لتسهيل عملية البرمجة التي تقوم بها أجهـزة الاعـلام، كما يلزم الاتحاد عقد مفاوضات مع المنظمات الإسلامية والدول المعنية للدعوة لايجاد الوسائل التربوية لها أو لتمويل اللقاءات العلمية التي تنظم بين المسلمين.

٧ ـ تطوير البحوث الإسلامية :

وفي سبيل دعم برنامج الدعوة إلى الإسلام يلزم المكتب احياء لجنة البحوث الإسلامية التي تم انشاؤها اثناء مؤتمر عام ١٩٧٦، فهذا الجهاز الذي انشىء لغرض البحث والتفكير يمكن أن يقوم بأعمال البحث والنشر في المواضيع الهامة في حياة المسلمين، مثل الزواج في الإسلام وتشييع الجنازة في الإسلام والاجتهاد في الإسلام.

والخلاصة يمكن القول بأن مايجب على اتحاد المسلمين في توقو هو العمل لفرض برنامج محدد للعمل وتوجيه إمكانياته إلى هذا المعنى إن شاء الله.

إلى جمهورية بنين الشعبية

يوم الخميس ٢٠/ ١٢/ ١٤٠٢هـ :

السفر إلى جمهورية بنين :

اخـترنـا السفـر بالسيارة على السفر بالطائرة لقرب المسافة مابين (لومي) عاصمة توقو و(كوتونو) عاصمة (بنين) أو العاصمة السياسية كما يحلو لبعضهم أن يسميها ولاتزيد المسافة بينهما على مائة وسبعين كيلا.

بدأت الرحلة في الثامنة الا ربعا صباحاً. وودعنا فندق السلام وأهله المسالمين الذين لم يكونوا بدعا في أهل توقو الوديين.

سارت السيارة مع طريق ذاهب شرقاً لايحيد عن ذلك الا بمقدار ماتفرضه عليه طبيعة ساحل البحر المحيط الذي يتعرج في بعض الأحيان.

فكان أول الأشياء الملفتة للنظر التي مررنا بها ميناء صغيراً قد اقاموه على لسان من البحر داخل في البر. وقد امتدت أشجار النارجيل النحيلة، كأنما تؤلف حاشية خضراء ظليلة ثم مررنا بمعمل صغير لتكرير النفط فميناء صغير ولكنه ذو معدات قوية تصله سكة حديدية، وقد أقاموه لتصدير الفوسفات الذي هو سلعة ثقيلة كما هو معروف.

المجمعات الافريقية :

مررنـا بتجمعات صغيرة للبيوت الافريقية ولكنها متعددة وقل أن يرى المرء بيتاً صغيراً منفرداً كما يكون بيت الاعرابي أحيانا في الصحراء عندنا، وإنما تكون البيوت الإفريقية في الأرياف ذات مجموعات صغيرة تتألف المجموعة الواحدة من عشرة أبيات أو عشرين أو نحو ذلك.

وهذه البيوت (التوقوية) التي نراها الآن هي إفريقية حقيقية بكل مافي البيوت الإفريقية من الخصائص. فهي من القش وشكلها مكعب، وأعاليها هرمية الشكل وألوانها رمادية لأن تعـرض القش للأمطار الكثيرة يجعله كذلك. والأهالي سود الألوان، بل هم من الجنس الأسود النقي السواد.

ووقفنا في محطة لبيع الوقود وكان الغريب في الأمر أن الجو جميل في هذه المنطقة الاستوائية الخالصة وذلك لأن الشمس لم تستو في كبد السماء بعد، والسماء غائمة وإن لم ترسل مطراً ونحن نماشي المحيط أو هو يماشينا فيغمرنا بنسماته البليلة.

وسائق سيارتنا (توقوي) لطيف بل مهذب وهم في النسبة إلى (توقو) يقولون: (توقولي) كما يقول الفرنسيون وذلك طرداً للقاعدة في هذا الحال عندهم مثل اسبانيولي للاسباني وكنقولي للكنقولي ـ المنسوب إلى الكنقو ـ وذلك منهم بلاشك إستثقال لتوالي حرفى العلة كما كان بعض اسلافنا يقولون: جسماني ونفساني وروحاني في الأشياء المنسوبة إلى الجسم والنفس والروح.

ومررنا في عدة أماكن بصيادي السمك وهم يسحبون شباكهم يخرجونها من البحر بعد العمل المضني في صيد السمك في الليل. ومن المناظر المميزة من السيارة منظر نسوة ريفيات وهن يحملن الحطب وغيره من حاجاتهن على رؤسهن ومنظر واحدة منهن تسير وصدرها عارٍ تماماً.

ولم آر لهم في هذه الأرياف زيا وطنياً مميزاً ربما كان ذلك لكونهم حدثاء عهد بالغابة وطبيعي أنهم ليس لهم هناك زي من الثياب خاص. لأن عدم ارتداء الثياب هو التقليد العريق في الغابات.

ومن الملفت للنظر أن ساحل المحيط ليس بالغ الخصوبة هنا يعنى أنه ليس فيه أشجار ملتفة كما تلتف أشجار الغابات، وربما كان السبب في ذلك هو أن المنطقة منبسطة خالية من الجبال على أن الريف الداخلي هو أخضر ذو أشجار عالية وإن لم تكن ملتفة.

وقد أخبرونا أنهم رغم كونهم لايشكون من الجفاف فإن الأمطار في هذه السنة أقل غزارة عندهم.

وفي هذا الجو الريفي الذي تغلب الأكواخ المبنية بالقش والأخشاب عليه لايعدم المرء رؤية أبنية قليلة من الأسمنت المسلح وإن تكن غريبة عن هذا المجتمع بمعنى أن الذين اقاموها ليسوا من الريفيين الإفريقيين من ذلك كنيسة قوية البنيان لاشك في أن الذين أقاموها هم من الأوروبيين، وقل مثل ذلك في كلية مسيحية.

وذهبت ابحث عن مسجد هنا وهناك فلم أجده في هذه المنطقة، لأنها في الأصل منطقة للبدائيين من غير ذوي الدين، لأن المسلمين (التوقويين) يكثرون في شمال البلاد، أما المسلمون الذين هاجروا إلى هذه المناطق والذين اسلموا من أهلها فإن أحوالهم المالية لاتمكنهم من بناء مساجد شامخة البناء، ظاهرة الشعار.

ومررنا بخور صغير وهو اللسان من البحر الداخل في البر فركب الطريق جسراً صغيراً حيث أفضى ذلك إلى منازل قليلة مبنية بلبن الاسمنت ومسقفة بالصاج.

على حدود بنين:

بعد أن سرنا خمسة وأربعين كيلو مترا وصلنا منطقة الحدود مابين بنين وتوقو وهذه المسافة هي ذاتها التي هي عرض دولة (توقو) من الناحية الجنوبية الواقعة على ساحل المحيط، فحدودها الغربية الجنوبية مع غانا هي تلك الواقعة في العاصمة وحدودها الشرقية الجنوبية هي هذه التي بينها وبين جمهورية بنين.

كانت الوقفة الأولى عند مركز المغادرة لتوقو، ولم يفتشوا امتعتنا ولم يقربوا سيارتنا لأن جوازينا سياسيان.

وبينما كان السائق عند ضابط الجوازات كنت أقف على باعة أو على الأصح بائعات متجولات وإن يكن واقفات على الحدود وأكثر مايبعن هنا الفاكهة وقد عمدن إلى وضعها في أكياس من اللدائن النظيفة، ووجود البائعات في إفريقية بدلاً من البائعين هو الأمر المعتاد لاسيما إذا كانت البضائع صغيرة والمبيعات غير ثمينة.

وسرنا قليلاً فوقفنا عند ضابط الجوازات لحكومة بنين، وقد تأخرنا عنده قليلاً لأنه طلب منا أن نملأ استمارات عنده يملأها القادمون.

وكنا قد أوجسنا خيفة من أن يمنعونا من الدخول غير أنهم ذكروا لنا أنهم تلقوا امراً من وزارة الداخلية في بلادهم بالسماح لنا بناء على طلب من وزارة خارجيتهم وذلك على ما أخبرناهم به من قدومنا برا قبل يومين.

وعند الحدود لم نعدم من يتكلم العربية وذلك في شخص جزائري يعمل في ورشة فنية، وقال لنا إذا وصلتم (كوتونو) فاذهبوا إلى فندق (بابو) لأن من بين نزلائه كثيراً من العرب.

وكانت معاملتهم لنا هنا جيدة تتسم بالذوق والمجاملة وعلى الحدود مباشرة في داخل بنين كان هناك سوق شعبية فيها مآكل وفواكه منها سمك مدخن وبرتقال مقشر وعادتهم أن يقشروا البرتقال ويبيعوه مقشراً بالعد لا بالوزن وذلك لأن برتقالهم المحلي صلب القشر يصعب تقشيره بالأصابع وليسوا من المكثرين من أكله لذلك ترى الرجل منهم يشتري الواحدة فيأكلها مقشرة دون أن يحتاج لتقشيرها.

وهناك فاكهة إفريقية التي هي في المناطق الاستوائية ومافي حكمها كالتمر عندنا تكون فاكهة وتكون طعاماً وهي الموز كما رأيت طائفة من النساء في السوق يبعن أطعمة مقلية بالزيت لا أدري ماهي.

في جمهورية بنين :

المشهور عن أهل بنين أنهم أكثر ثقافة من جيرانهم، وأرقى نظرة إلى الأمور ومما لاحظناه من النظرة الأولى لهذا الجزء من بلادهم أصبح لدينا انطباع بأن ذلك صحيح من واقع معاملتهم وتصرفاتهم أما المظاهر الجسدية فإن الفرق فيها لايكاد يلاحظ.

وانطلقت السيارة مع طريق يدع المحيط على يمينه كما فعلت عندما كانت تسير في توقو ثم تياسر الطريق حيث ركب جسراً حديدياً قد أقيم على نهر زاخر بالمياه.

وهذا الجسر لايتسع الا لعبور سيارة واحدة لذلك تنتظر إحدى السيارتين المتقابلتين حتى تعبر الأخرى ولهذا السبب تجمع صبيان افريقيون معهم سلال فيها السرطانات البحرية يعرضونها على الركاب وعندما لم نشتر من احدهم طلب (كادو) أي هدية بالفرنسية وقد أخبرونا أن سعر السلة الواحدة من السرطان بخمسمائة فرنك افريقي أي خمسة ريالات.

ثم اخترق الطريق منطقة ريفية خضراء مررنا فوق جسر آخر على نهر فيها تحف به المزارع المعتنى بها وأظهر الأشجار فيها هي أشجار الليمون والنارجيل وأما الطريق فإنه هو الممتد من توقو لم يتغير مستواه هنا وهو اسفلتي متوسط الجودة.

إلا أننا هنا أخذنا نرى بين الفينة والأخرى منازل على جانبي الطريق مبنية من لبن الاسمنت أكثر ماهي عليه الحال في (توقو).

وأما الحيوان فانه هنا في هذه المنطقة كما هو في توقو ليس كثيراً ولكن من الحيوان الذي تكررت رؤيته ماعز صغير ألوانه مختلفة.

ثم مر الطريق بمنطقة مستنقعات ورأينا العمال يجددون جسراً على نهر قريب من هذه المستنقعات.

ويرى المرء والسيارة تسير بعض الريفيات اللائي ليس على أجسادهن شيء من الثياب إلا فوطة على العورة المغلظة وبائعات عليهن لباس معتاد وهن واقفات على الطريق يرفعن ايديهن ببضائعهن للسيارات التي تمر ومن ذلك أن إحداهن كان معها أرنب وأخرى معها سمكة كبيرة.

وهناك بائعات قد وقفن بجانب بضائعهن لأنها بضاعة ثقيلة لا تعرض على اليد لأنها اكوام من الحطب المعد للوقود.

والأرض هنا أكثر عمارة بالزراعة ومن أوضح الأدلة على ذلك وجود أعداد كبيرة من أشجار

النارجيل القصيرة التي يظهر من حالها أنها قد غرست منذ سنوات قليلة وأشجار من أشجار العمبة (المانجو) كذلك.

ومن الأشياء الملفتة للنظر هنا أنه لا أثر للعشش ـ جمع عشة ـ ولا للأكواخ المصنوعة من القش، ولاشك في أن هذا نتيجة لأمر من أوامر الحكومة بالا تبني على هذه الطريق الدولية.

مدينة كوتونو :

على مشارف البلدة وقبل الدخول كان هناك حاجز للشرطة عرف شخصياتنا فأذن لنا ثم في أول مارأيناه منها ملعب للكرة واسع.

أما الأبنية التي رأيناها من البلدة عند الدخول فهي اسمنتية واسعة ذات طوابق متعددة والشوارع نظيفة ولم أر قبل الدخول أية اكواخ أو مايصدم النظر من البيوت الزرية مما جعلنا نتساءل عما اذا كنا حقا في عاصمة إفريقية.

ومن الأشياء اللطيفة أننا رأينا لافتة للدعاية لاسم أحد المسلمين وهو (عبدالله عيسى) وقالوا إن هذه دعاية لفوزه في نقابة المعلمين.

في وزارة الخـارجية :

كان وزير الخارجية قد طلب منا في مكالمته الهاتفية في لومي أن نتوجه إلى وزارة الخارجية لأنه أبلغ المسئولين هناك باستقبالنا وتسهيل الاتصال بإمام المسلمين والاطلاع على المؤسسات الإسلامية هناك.

فلما وصلنا مقر الوزارة لم نصدق أعيننا لأننا وجدنا البناء الذي تشغله الوزارة جميلاً مرتباً مبنيا بالاسمنت المسلح وبعدد من الطبقات وتبين لنا بعد ذلك أن هذا هو الطابع الغالب على الأبنية الحكومية هنا وأنهم بصدد اشاعته في الدوائر الرسمية الأخرى.

ووجدنا في انتظارنا موظفاً في الخارجية اسمه (الأبلي روجيه) وهو غير مسلم فرحب بنا ثم جاء مدير مكتب وزير الخارجية واسمه (البير أقوسو) وهو ذكي قصير شديد السواد وهو غير مسلم أيضـاً، وقال: إن وزير الخارجية قد أوصانا بكم خيراً وإننا قد خصصنا لخدمتكم الزميل هذا (روجيه) وكذلك جعلنا معه موظفاً آخر هو موسى صالح وهو عضو لجنة الحج، وهذا الأخير مثل وزير الخارجية من إخواننا المسلمين.

وقال: إن الأفضل أن تذهبوا الآن إلى الفندق وتستريحوا وهذا البرنامج المعد لزيارتكم تبحثونه مع هذين الزميلين وتغيرون ماترون أنه يحتاج إلى تغيير.

وانزلونا في فندق (دو بورت) وهو من فنادق الدرجة الأولى غير الجيدة أو الثانية الجيدة أجمل مافيه فناء واسع فيه حديقة صغيرة ومطعم منفرد عن الفندق.

وعلى الغداء كان معنا (روجيه) والأخ موسى صالح حيث اتفقنا على برنامج الزيارة.

جولة في مدينة كوتونو :

في الساعة الخامسة بدأنا جولة للتعرف على معالم هذه المدينة في سيارة حكومية صحبنا فيها الأخ (موسى صالح) أحد المرافقين الرسميين والأخ الحاج (عبداللطيف فالولا) وهو تاجر وعضو في المجلس الإسلامي لبنين مع أنه ليس عريقا في الإسلام وإنما أسلم أبوه على كبر ونشأ الأخ عبداللطيف مسلماً مخلصاً.

واسمها (كوتونو) من لغة قبيلة وطنية تسمى (الفوكانو) ومعناها الرجل الميت فكوتو ميت وذلك أنها كانت ميناء طبيعياً صغيراً لصيادي السمك فلما وصل الأوربيون لهذه البلاد واغلب الظن أنهم البرتغاليون أخذوا يمارسون تجارة الرقيق فيخطفون من يقع في أيديهم من الإفريقيين وبدأوا بصيادي السمك الذين يترددون إلى الماء لانهم لايجرأون على الدخول لداخل البلاد فكان من ذهب إلى هذا المكان ضربوه حتى يغشى عليه ثم أخذوه فسمى الإفريقيون المكان بهذا الاسم.

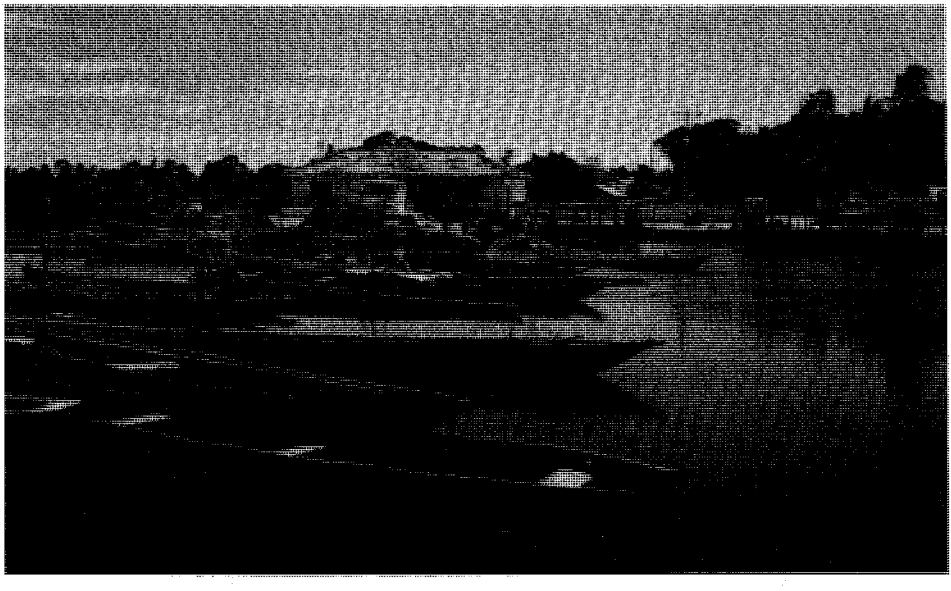

شاطىء في كوتونو

فكـان أن مررنا باقسام حديثة من المدينة فيها فندق شيراتون وسفارتا امريكا ونيجيريا ومسكن رئيس البلاد.

وكل الأبنية في هذه الأحياء الحديثة مبنية بالاسمنت المسلح الجيد وذات شوارع وأسعة وفق تخطيط سليم إلا أن الشوارع ليست كلها مسفلتة والمسفلت ليس لبعضه أرصفة.

ولكن الأبنية على حداثتها ليست بذات طابع معين، لأنه ليس هناك طابع معين قديم للبناء في هذه البلاد كما هو معروف.

يشكون كثرة المطر :

بدأ المطر يتساقط فانقبض مرافقانا من ذلك، وقالا على طريق الشكوى: إن الأمطار كثيرة وإن كثرتها تضر بنا لأنها تزيد على حاجة البلاد التي توجد فيها عدة أنهار وقالا إن السنة في البلاد تتألف من فصلين اثنين أحدهما مطير والآخر قليل المطر، وليس عندهم شتاء ولاصيف لأنهم تحت خط الاستواء.

ثم مررنا بوزارة الأشغال وبصوامع الغلال وبمبنى البلدية وكلها في ابنية جيدة من أحياء يخيل إليك اذا رأيتها أنك ليست في إفريقية، إلا أنها ليست في جمال الأحياء الجميلة من (أبيجان) والحي الذي كان أوروبيا في مدينة نيروبي عاصمة كينيا.

إجتزنا جسراً عريضا على خور اي خليج من البحر داخل في البر وقد بني هذا الجسر قبل الاستقلال.

ومـررنـا بأحـد الشوارع بمقبرة للمسيحيين قبورها عليها شواهد بيض وبجانبها مقبرة للمسلمين وبينهما فاصل وقد أقيم ذلك قبل الاستقلال.

ولفت الأخ (عبداللطيف فالولا) انظارنا إلى صيدلية لاتلفت النظر على البعد وقال إنها لسيدة مسلمة اسمها (معروفة).

نخيل الزيت ونخيل النارجيل :

يختلط نخيل الـزيت الذي هو اغلظ قواما من نخيل التمر بنخيل النارجيل الذي هو الطف قواما من نخيل التمر. والأول يثمر شيئاً شبيهاً بالبسر والثاني يثمر جوز الهند.

أما نخلنا العربي الأصيل، ذو المنظر الجميل والتمر الهضيم فإنه وسط في الشكل بين النوعين كما أن أهله السمر وسط في اللون مابين الأوربيين والإفريقيين وبلاده وسط في الجو مابين البلاد الاستوائية الحارة، والبلاد الشمالية الباردة.

ونخيلنا ينتج التمر الذي هو غذاء وفاكهة في بلاد صحراوية قليلة الغذاء والفاكهة أما نخيلهم بنوعيه الزيتي والنارجيلي فإنه لاينتج إلا الأدم فلا يستطيع الإنسان أن يعيش على ماتنتجه نخلة النارجيل وحده أو على ماتنتجه نخلة الزيت ومن الملاحظ أن النارجيل في هذه المدينة يبدو نضراً إما أن ذلك بسبب كثرة المطر، أو بسبب العناية مع كثرة المطر.

ومررنا بالمنطقة الصناعية في ضاحية من المدينة قالوا: إنها نشطة بالنسبة إلى مثيلاتها من الدول الافريقية ثم تركناها إلى طائفة من البيوت الشعبية الصغيرة المبنية من الاسمنت قالوا: إنها ثمرة جهود رجل مسلم اسمه (أبو بكر بابا موسى) تولى وزارة المالية وكان قبل ذلك مديراً لأحد البنوك فبناها للاستثمار وللإيجار وقد جعلها بيض الطلاء، خضر الأبواب والنوافذ فبدا شكلها جميلاً ساراً للناظر.

ولمناسبة بناء البيوت فقد ذهبوا بنا إلى الجهة التي قدمنا معها من (توقو) ليرونا مصنع الإسمنت في ضاحية من ضواحي هذه المدينة (كوتونو).

حي المسلمين :

عند رجوعنا إلى المدينة مررنا بحي اسمه (أبابا) قال مرافقنا: إن المسلمين أكثرية فيه وبعض سكانه من قبيلة اليوربا التي سكناها في غرب نيجيريا.

وزرنا مسجداً فيه ذا منارتين بيضاوين جميلتين وشكلهما غليظ مستدير أخبرونا أن المسجد قد بني من التبرعات المحلية التي جمعوها قليلا قليلا مع أنه لابأس بسعته، ولا شك في أن بناءه قد كلف نفقة كبيرة.

وعلى ذكر اليوربا علمنا أن القبيلة الرئيسية في بنين هي قبيلة (فون) وأكثر القبيلة هذه لايزالون على وثنيتهم.

أما الأقليات القبلية المهمة الأخرى فهي في الجنوب يوربا وفي الشمال هوسا.

ويذكر هنا أن (الهوسا) هم أكبر قبيل من الناس في نيجيريا وقلنا (قبيل) ولم نقل قبيلة. لأن الهوسا في الحقيقة ليسوا من قبيلة واحدة، وإنما هم أقوام من الناس لهم لغة واحدة هي اللغة الهوساوية.

أما اليوربا فإنهم من قبائل نيجيريا الشهيرة وعاصمتهم الرئيسية فيها مدينة (ابادان) ثانية المدن في نيجيريا من حيث عدد السكان.

ونيجيريا مجاورة لبنين ولها حدود مشتركة طويلة معها كما هو معروف وقد رأينا بقرب هذا

الحي عدداً من الأبقار الكبيرة الحجم التي اجتمع في ألوانها البياض والسواد من دون اختلاط فأصبح فيها على هيئة بقع متميزة.

مسجد زنقو :

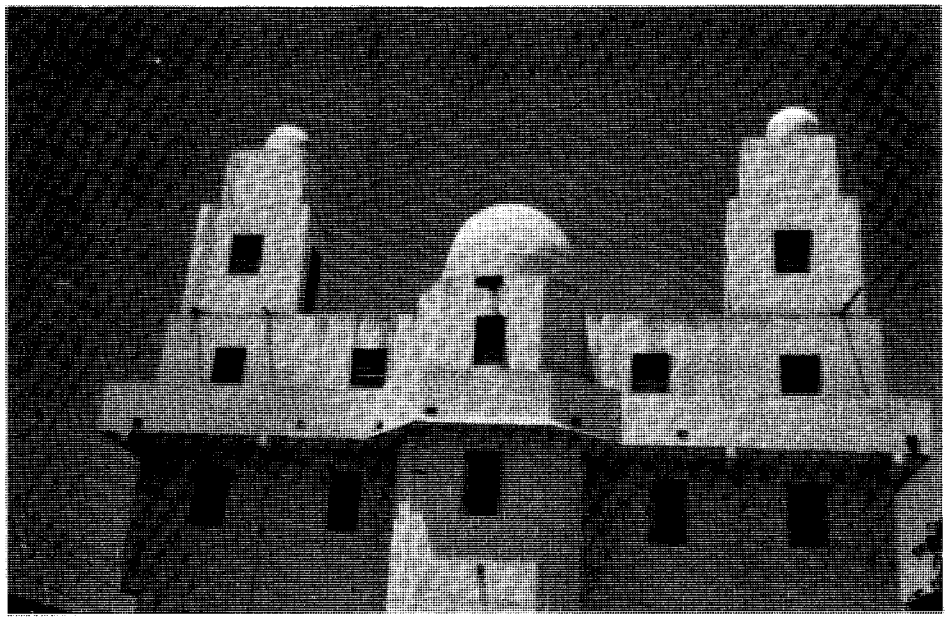

مسجد زنقو في كوتونو

وزنقو حي ذهبنا إليه لزيارة مسجد فيه يسمى باسمه قام على بنائه الإخوة من (الهوساويين) وينبغي أن يلاحظ أن (الهوسا) على كثرتهم في نيجيريا وما حولها كلهم مسلمون بحيث إذا قيل إن فلانا من الهوسا عرف الناس أنه مسلم و(مسجد زنقو) جميل المنظر، ذو منارتين مربعتين على هيئة صومعتين والصومعة هي المنارة الأندلسية المربعة.

ولم نستطع دخوله بسبب غزارة المطر فأجلنا دخوله إلى فرصة أخرى ومن الأمور السارة في هذا المجال أن المسجد في هذا الحي أعلى بناءً وأكثر إشراقاً من كنيسة في الحي مع أن الذين قاموا على بناء الكنيسة لديهم قدرة مالية أكثر مما لدى المسلمين لأن الجمعيات النصرانية في الخارج تمدهم بالمساعدات المستمرة.

ولمناسبة دخولنا هذا المسجد واعجابنا بالجهود التي بذلها اخوتنا المسلمون في بنائه وبناء

المسجد الذي قبله حدثنا الأخ (عبداللطيف فالولا) وهو خبير بالأمور الإسلامية، وذكي دقيق التقدير بأن المسلمين كانوا إذا احتاجوا إلى مسجد ولم يتيسر لهم بناء مسجد كبير أخرج أحدهم من بيته قطعة من الأرض، وبعض القادرين منهم قد يقدمون أرضاً فيجمعون الأموال، ويبقون مدة طويلة حتى يجتمع لهم من ذلك قدر كاف للبناء.

قال: وإذا لم يمكنهم هذا ولا ذاك فإن بعضهم يصلون في مكان يستعيرونه لهذا الغرض وقد يكون مخزنا أو ما أشبه ذلك.

وحتى نساء اليوربا رأيتهن هنا يخضعن لكبرائهم فينحنين بالتحية لهم على حين أن التقاليد الافرنجية تقتضي أن يعظم الرجل المرأة أكثر مما تعظمه ولكنها لم تؤثر عليهم في هذا المجال مثلما أنها لم تؤثر عليهم في اتباع عاداتهم الموروثة المتأصلة.

وكانت العودة إلى الفندق مع الشارع الواسع في المدينة واسمه (شارع ٢٦ اكتوبر) وهذا هو يوم استيلاء رئيس (بنين) على السلطة في البلاد.

وعلى جانب هذا الشارع سوق شعبي لم نستطع دخوله بسبب ضيق الوقت.

في جامع كوتونو :

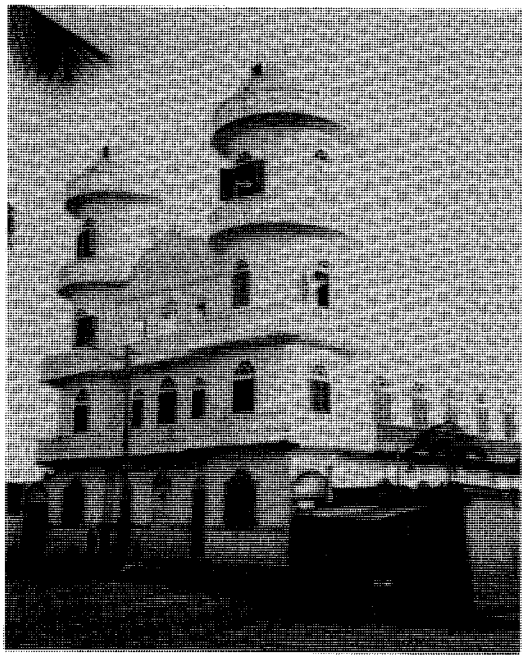

جامع كوتونو

كان موعد اللقاء بعدد من الإخوة زعماء المسلمين وائمتهم في المسجد الجامع الكبير في (كوتونو) للتعرف عليهم وبحث الأمور المتعلقة بالشئون الإسلامية في هذه البلاد معهم. وقد يسمى هذا المسجد (جامع جانكي).

وجدنا حشداً من المسلمين في الجامع منهم الشيخ (عبدالحميد كيلاني) إمام الجامع وهو يعرف العربية وقد أصبح هو المترجم من العربية إلى لغتهم الوطنية بعد أن كان صديقي السفير عبدالوهاب الدكوري هو الذي يترجم من العربية إلى الفرنسية، كما وجدنا معهم الحاج (أبو بكر بالاماسي) من اليوربا ويعرف العربية أيضاً.

وقد ألقى الحاج أبو بكر المذكور كلمة بالعربية باسم الإمام والمسلمين في هذه البلاد.

أما المسجد فإنه رغم جودة بنائه خالٍ من الفراش، لأنهم لم يستطيعوا أن يحصلوا على المال اللازم لذلك، وقالوا إنهم كانوا يجمعون من المسلمين في كل جمعة مبلغاً ضئيلاً من المال إلا أنه لايكاد يكفي لما يحتاجه المسجد من المصاريف المتكررة كالكهرباء ونحوها.

وأخبرونا بهذه المناسبة أنهم لم يتلقوا مساعدة على بناء هذا المسجد من الخارج فأخبرتهم بأن المملكة العربية السعودية تساعد المسلمين على المشروعات الإسلامية وبخاصة على بناء المساجد والمدارس الإسلامية وأن بإمكانهم أن يتقدموا بطلب المساعدة من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة حتى تساعدهم على فرش المسجد، وإستكمال مايحتاج إليه من مرافق أخرى. وعلى الأخص المساعدة على استكمال قسم جديد يعملون على إقامته خاص بالنساء أرونا إياه.

وكان في هذا القسم الذي لم يكتمل بعد طائفة من الأخوات المسلمات ربما جئن بهذه المناسبة وهي مناسبة زيارتنا لهذه البلاد وربما كن قد جئن مبكرات يشهدن الصلاة مع الجماعة مع أن وقتها لم يحن بعد.

ورأيت هنا مارأيته في نيجيريا من خضوع اليوربا وبين لوجهائهم وعلمائهم ومن ذلك أنهم إذا سلموا على الذين يعظمونهم ومنهم العلماء فإنهم ينحنون أمامهم حتى يصلوا إلى قرب الأرض بحيث يصبح الواحد منهم وكأنه جالس على إحدى رجليه مع انتصاب الرجل الأخرى.

عودة إلى جامع زنقو :

ولما كانت جولتنا في هذا الصباح مخصصة للاَطلاع على المشروعات الإسلامية التي في مقدمتها المساجد وليست جولة سياحية عادية فقد عدنا إلى جامع زنقو لرؤيته من الداخل

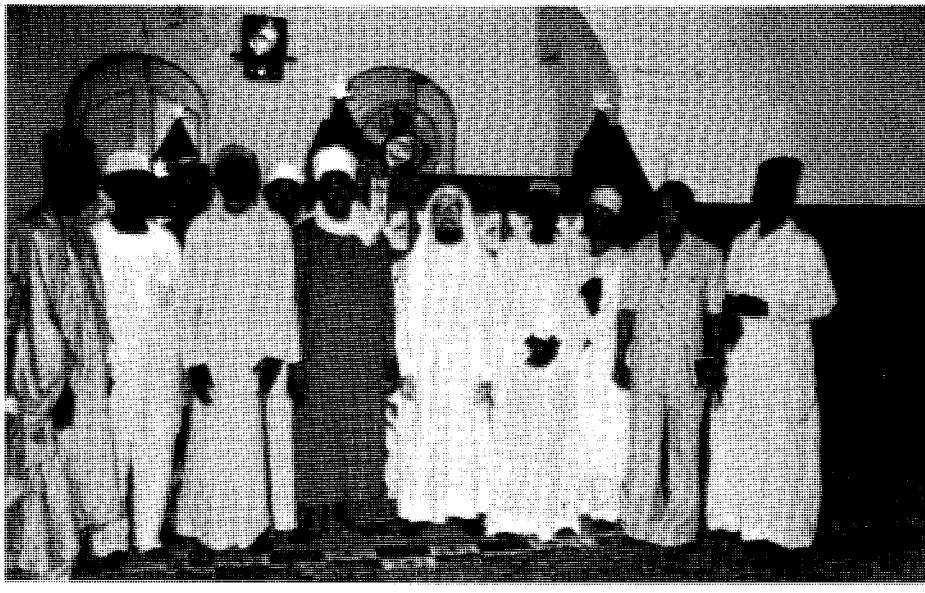

داخل الجامع في كوتونو مع شيخ الإسلام على يمين المؤلف ومع طائفة من المسلمين

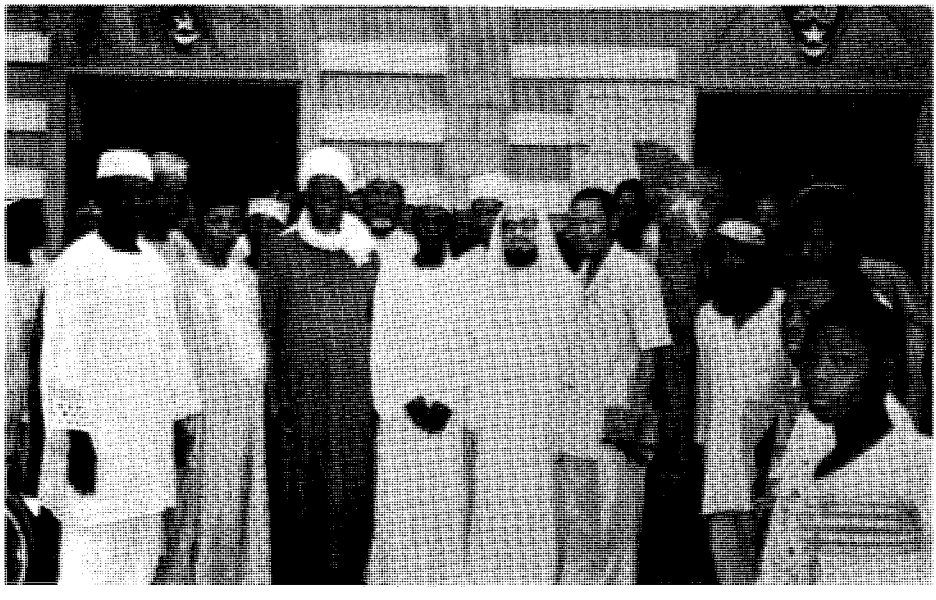

مع شيخ الإسلام في كوتونو

لأن غزارة المطر قد منعتنا من دخوله بالأمس.

وقد وجدنا في المسجد إمامه الشيخ محمد ابراهيم، ويلقب (مالم نيارو) اي المعلم نيارو. وهو من الهوسا.

وقال الإمام: لقد بني هذا المسجد قبل خمسين سنة وهو المسجد الثاني الذي تقام فيه صلاة الجمعة بعد المسجد الكبير.

وهـو مفروش بحصر من اللدائن. وذكروا أن المسجد يضيق بالمصلين وحتى الشارع الذي بجانبه يمتلىء بهم يوم الجمعة. وأنه يحتاج إلى توسعة غير أن الأمر يحتاج إلى شراء أرض مناسبة، وأن ليبيا وعدتهم منذ ثلاث سنوات بالمساعدة على ذلك، ولم تصلهم المساعدة حتى الآن.

وقد أخبرونا أن عدد المصلين يتزايد في كل عام وذلك نتيجة للزيادة الطبيعية التي هي أعـلى من الزيادة عند المسيحيين بسبب تعدد الزوجات ونتيجة لدخول اعداد جديدة في الإسلام وهي زيادة مطردة ولله الحمد.

وقد رأيت بجانب المسجد حافلة صغيرة رسموا عليها شعار المسلمين وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة وكتبوا فوق ذلك جملة (الله أكبر) بالعربية فسألتهم عن هذه الحافلة فقالوا إنهم اشتروها لحمل أموات المسلمين.

وأراد إخواننا مانريده نحن وهو التوسع في الحديث عن شئون المسلمين ماضيها وحاضرها غير أن ممثلي الحكومة الذين معنا ومنهم موظف وزارة الخارجية (روجيه) لم يرتاحوا لذلك لأنهم يخشـون أن يتـطرق الحـديث إلى مايسيء إلى علاقـة بلادهم بليبيا التي تقدم لهم بعض المساعدات الاقتصادية ومنها أنها تبيع عليهم مقادير من النفط فيما ذكروا ومن المؤسف أن المسجد مظلم في هذه الساعة من الضحى لأن الكهرباء غالية لايريدون أن يفرطوا بها في غير حاجة.

وأما الشوارع الداخلية في الحي فإنها في وضع سيء لأن أكثرها خال من الاسفلت وقد جعلته الأمطار الغزيرة أكثر سوءاً بسبب الحفر التي أحدثتها فيه المناقع الصغيرة التي تؤذي ركاب السيارات.

في مركز الفيصل :

مركز الفيصل اقامته رابطة العالم الإسلامي ليكون مركزا يضم مستوصفا ومكتبة ومسجداً وقد انجز منه المستوصف الطبي ويعمل بنشاط.

المؤلف مع بعض العاملين في مركز فيصل في كوتونو

ذهب الموكب إليه في سيارات عدة تتقدمها السيارة الحكومية التي تحمل معنا ممثلي الحكومة المرافقين فاستقبلنا في المركز طبيب المستوصف الحاج (طاهر وياما) والمدير الإداري (حسن علي أحمد) من الصومال.

وكانت جلسة غير طويلة في مكتب الطبيب الذي هو جيد التأثيث، مكيف الهواء، والتكييف هنا لايوجد إلا في الأماكن المترفة، وعند قلة من ذوى اليسار.

قال الطبيب والجميع يسمعون: إن المركز يراجعه في اليوم الواحد حوالي اربعمائة شخص فلم نصدق ذلك لأن هذا عدد كبير إلا أننا عندما رأينا اعداداً من الناس تبلغ أكثر من مائة

وخمسين مابين نساء وأطفال ورجال وهم ينتظرون دورهم في الكشف لدى الطبيب في اللحظة التي زرنا فيها المستوصف لم نستبعد ذلك.

بل إنه سرنا كثيراً لأننا رأينا اعداداً كبيرة من الناس تتجه لطلب المساعدة الطبية من جهة إسلامية فتجد تلك المساعدة من دون تمييز. وهذا فيه دعوة إسلامية غير مباشرة، ودخول إلى ميدان كان دعاة التنصير قد تفردوا به دون المسلمين. وقد رأينا أوراق الوصفات الطبية مكتوبة بالعربية والفرنسية.

وشكوى المسئولين عن المستوصف انحصرت في أن الأدوية الممتازة التي تصلهم من المملكة يتأخر وصولها في بعض الأحيان وأن المستوصف يحتاج إلى دعمه بالمزيد من المختصين الفنيين وذلك لكثرة مراجعيه.

ويقع المركز في حي (بب) ويشغل مكانا تبلغ مساحته مع أفنيته ستة الآف متر مربع.

يوم الجمعة ٢١/١٢/١٤٠٢هـ

إلى مدينة بورتو نوفو :

وهي العاصمة الرسمية للبلاد، أما (كوتونو) فيسمونها العاصمة الاقتصادية كما سبق ويصح أن تسمى أيضاً بالعاصمة السياسية لأن فيها عدداً من الوزارات ومن سفارات الدول الأجنبية وتبعد (بورتو نوفو) عن (كوتونو) ثلاثين كيلومترا.

وكان المطر ينزل، وقد أصبحت مناقعه في الأرض مشكلة لي لأنها تلوث اذيال ملابسي العربية ولابد من ملاحظتها عن ذلك باستمرار.

المشكلة والمأساة :

في ضاحية قريبة من المدينة تقع وسط ريف قليل البيوت كنا نسير على الخط الرئيسي الوحيد بين هاتين المدينتين بل بين شمال البلاد وجنوبها وهو في الوقت نفسه الطريق الدولي الذي يربط نيجيريا بمدينة (كوتونو) ومن بعدها بمدينة لومي عاصمة (توقو) ثم يدخل إلى غانا، ولذلك كان هذا الخط مزدحماً بالسيارات.

ورأينا السيارات فيه واقفة على كثرتها من الجانبين فهو خط واحد تتلاقى فيه السيارات الذاهبة والآيبة وقد وقفت في خط طويل لايدرك البصر مداه ولايعرف الناس أول الأمر السبب في هذا الوقوف فمن قائل: إن الشرطة توقف السيارات للتفتيش ومن قائل إن

مراجعوا مستوصف الملك فيصل في كوتونو

طائفة من مراجعي مستوصف الملك فيصل للعلاج في كوتونو

سائقين أو أكثر تخاصما على المرور فأغلق الطريق.

وسكت الناس فالحوادث تحدث في كل مكان ومن الصعب تلافي ذلك ولكن المهم هو أن تحضر الشرطة وتفتح الطريق للسيارات.

وأبطأت الشرطة ولايمكن التزحزح بالسيارة من مكانها لأن السيارات المقبلة مزدحمة جداً على الطريق الاسفلتي وليس له اكتاف، وهو مرتفع والذي يليه من الأرض منخفض وموحل بسبب كثرة الأمطار وفيه أشجار كبيرة كثيرة، لذلك لايمكن حتى للسيارات القوية (الجيب) أن تخرج عن الأسفلت.

وكان المستطلعون الذين يذهبون راجلين إلى الامام يسبقون سياراتهم يعود بعضهم بأخبار سئية ورأينا طائفة من النسوة يبكين وينتحبن فسألهن الدكوري عن بكائهن فقلن إن المرور واقف لأن الناس يقولون: إن جثث المصابين في الحادثة متناثرة على الأرض ولم يستطع أحد أن يمسها ولاتستطيع السيارات أن تتحرك.

وسألهن الشيخ الدكوري عما إذا كانت لهن علاقة بالمصابين فأجبن بالتفي، لابل قلن إنهن لم يرين حتى المصابين، وإنما هن مسافرات إلى نيجيريا التي لاتبعد عاصمتها (لاجوس) عن هذا المكان الا مائة كيلو متر ولكنهن يبكين رحمة للمصابين وأهليهم وسألهن عن دينهن؟ فأجبن: إنهن مسلمات فقرأ عليهن الآيات التي تأمر بالصبر والسكينة وقال هذا قدر الله وقضاؤه ولاراد لما أراد، فسكن جأشهن.

ثم جاءت الشرطة فحركوا المرور فتحركت السيارات بعد جهود منهم كبيرة، ولكن الاسعاف لم يصل حتى الآن ومررنا بمسرح الحادث أو المأساة واذا بالمصابين مبعثرين بعضهم قد مات فغطوا أجسادهم بقماش وبعضهم لايزالون أحياء يئنون ويصرخون وبينهم بعض الأطفال الذين يقطع صياحهم وانينهم نياط القلوب.

ولا أحب أن أثير الحزن في نفس القاريء الكريم في وصف هذا المنظر البشع الذي رأيته ولكني هنا رثيت مرة أخرى لمواطني الدول المتخلفة اذ لو كان حدث مثل هذا في بلاد متقدمة في الإدارة لكان من المحتمل بل من المؤكد أن تسرع الشرطة والإسعاف فيسعفوا المصابين، ويفتحوا الطريق للعابرين.

وتجاوزنا منطقة الحادث فسارت أرتال السيارات الكثيرة التي بعضها بل جزء كبير منها نيجيرية فحدود نيجيريا من هنا قريبة جداً.

وقبل الوصول إلى حدود نيجيريا بأربعة عشر كيلو متر فقط تياسرنا مع طريق مسفلت آخر

متجه جهة الشمال مع منطقة ريفية خصبة وعلى مفرق في الطريق كان هناك ريفيات يبعن قصب السكر على العابرين وبرتقالاً محلياً وجميع الزراعات هنا خضرة نضرة ربما كان ذلك لوفرة المياه والبعد عن تأثير البحر. وعلى يسار الطريق سكة للحديدممتدة إلى نيجيريا.

أما الحيوان الذي رأيناه هنا فهو طائفة من الخنازير قبيحة الشكل قصيرة القوائم ذات الوان حمر وسود.

مدينة بورتو نوفو :

قبل الوصول إليها اخترق الطريق بحيرة واسعة عميقة المياه اسمها (ويمي) فيها ميناء محلي للملاحة النهرية لأنها متصلة بنهر كبير.

ودخلنا المدينة من الطريق العام فبدت ذات أبنية جميلة المظهر كلها إسمنتية، ورأيت رجلا يسير على الطريق وقد ارتدى لباساً عربياً كاملاً ماعدا العباءة، وتبين أنه مسلم يتزين بهذا اللباس لأن اليوم هو يوم الجمعة.

والتمست أن أرى على الطريق العام مسجداً مشرف المنار فرأيت بدلاً من ذلك كنيسة كبيرة عالية الأبراج بيضاء الطلاء.

وتركنا الطريق العام إلى الطرق الداخلية التي وجدناها نظيفة مسفلتة إلا أن سفلتتها غير جيدة.

وبدا سائر الأهالي وهم باللباس العالمي المسمى بالزي الافرنجي ولكنه المخفف الذي يتألف من قميص قصير الكمين وسروال يكون على بعض الأشخاص قصير الرجلين.

وأقلهم يرتدي الملابس الوطنية التي تشابه الملابس اليورباوية الشائعة في غرب نيجيريا التي تتألف من قميص أطول من القميص الافرنجي ولكنه اقصر من القميص العربي وهو في الغالب ذو كمين طويلين ومن سروال تحته ضيق الحجلين وهما مايكون فيه الساقان من السروال.

وقد رأيت من السيارة أكثر من شخص واحد عليهم الملابس العربية التي تشبه الملابس التي عليَّ وذلك استعداداً منهم لصلاة الجمعة كما تقدم.

رفض استقبالنا :

كنا قاصدين بيت إمام المسجد الجامع واسمه الحاج (مجدد دين وامالا) وهو من قبيلة اليوربا التي أكثرها في نيجيريا إلا أنه من رعايا هذه البلاد.

فبقينا برهة نبحث عن بيته لأن الذين معنا من قبل الحكومة واحدهما مسيحي لايعرفونه فمررنا بمركز للقاديانية تلك الفرقة الخارجة عن الإسلام وأخبرونا أن المركز الرئيسي للقاديانية هو في نيجيريا وهذا أمر معروف.

وعندما عثرنا على بيت الإمام خرجت منه بنية صغيرة قالت: إنها ابنته وأن اسمها (فيصلات) ـ على لفظ جمع فيصلة ـ فطلبنا منها أن تخبره بأمرنا فذهبت وأبطأت، ثم عادت لتقول إنه يرفض استقبالنا. ولم يصدق مرافقونا ذلك، ولانحن صدقنا به أول الأمر لأننا إخوة مسلمون له، جئنا من المملكة العربية السعودية من أجل إخواننا المسلمين والنظر في شئونهم، كما أننا أيضاً ضيوف لحكومة البلاد ومن المظنون أن يقدر شخص مثله هذين الأمرين كليهما أو أحدهما.

وبعد لأي في داخل بيته ونحن خارجه ظهر المرافقون يقولون بصيغة أسف: إن الإمام يقول: إن الوقت ضيق على مقابلتكم قبل الصلاة.

وصدقنا ذلك بحسن نية مع أنه لايزال في الوقت قبل الصلاة بقية صالحة ولم نعرف إلاّ بعد ذلك بأنه رفض مقابلتنا لذلك عزمنا على اللقاء به في المسجد الجامع لأنه هو إمامه.

الغداء قبل الصلاة :

أحسن ما رأينا أن نشغل به الوقت الذي كنا قد خصصناه للجلوس مع الامام (مجدد دين) وغيره من زعماء المسلمين هو تناول الغداء في أحد المطاعم اغتناما للوقت.

فذهبوا بنا إلى مطعم وطني جيد اسمه (سوفونيه) ومررنا في طريقنا إلى المطعم بمسجد صغير حديث الطلاء عالي المنار، وقال لنا مرافقونا في هذه المناسبة: إن كل حي من أحياء هذه المدينة فيه مسجد.

وقالوا إن نسبة المسلمين في مدينة (بورتونوفو) هذه تبلغ حوالي ٤٠٪ وأن عدد السكان فيها يبلغ مابين خمسين الفا وستين الفا. وعدد المساجد فيها اثنان واربعون.

كان الغداء فرصة طيبة للراحة، وكان الطعام نظيفاً أكلنا ونحن سبعة طعاماً جيداً نظيفاً دفع قيمته المرافق الحكومي (روجيه).

جمعة بورتونوفو :

ذهبنا إلى الجامع الكبير قبل الأذان بفترة ولكننا وجدنا المسجد قد اكتظ بالمصلين حتى الممرات فيه مليئة ولم يبق من الأماكن إلا ماكان خارج الحصر التي فرشت بها أطراف المسجد أما داخل المسجد نفسه فإنه لايمكن الوصول إليه بسبب كثرة المصلين وازدحامهم.

وكان من الصعب علينا أن نجلس في المكان غير المفروش لئلا تتسخ ملابسنا التي نحرص عليها لصعوبة غسلها وكيها هنا فأنا أرتدي الملابس العربية ورفيقي الشيخ الدكوري يرتدي الملابس المالية الوطنية الفضاضة، وحتى هذه الأمكنة غير المفروشة يصعب الحصول على موقع خال فيها لايتعرض للشمس.

وأفضل بعض إخواننا الكرام فآثرني بمكان في مكان مفروش في الظل قام عنه وكان المكبر يذيع بصوت مرتفع الموعظة التي تكون قبل الخطبة الشرعية وتكون باللغة الوطنية.

وكان ابلاغ الموعظة هنا كما هي عليه الحال في مساجد اليوربا في نيجيريا لأن امام الجامع الشيخ (مجدد دين وامالا) هو يورباوي الأصل، وإن كان مظهره لايدل على ذلك فهو جسيم الخلقة مديد القامة على خلاف عامة اليورباويين الذين يغلب القصر، ولطف الأجسام عليهم.

فكان الإمام يلقي الجملة وهو واقف بجانب مكبر الصوت، فينقلها عنه بنصها شخص آخر أقرب منه إلى المكبر وهم يفعلون ذلك ترفعاً ـ بزعمهم ـ عن مخاطبة العامة مخاطبة مباشرة.

وهذا أمر مخالف للسنة في الاحوال المعتادة لأنه يدل على التكبر والتعاظم على الإخوة المسلمين فضلاً عن أن يكون ذلك في مكان العبادة كالمسجد.

أما الخطبة الشرعية التي يلقونها عادة بالعربية وتكون قصيرة لأنه قل من المصلين من يفهم معناها فإن الامام يلقيها إلى الناس مباشرة من مكبر الصوت كالمعتاد.

وبعد أن أقيمت الصلاة كان أهم مالفت نظري شدة رفع الصوت بتكبيرة الإحرام وهي تكبيرة الدخول في الصلاة من المأمومين.

ثم رفع المأمومون أيضاً أصواتهم بالتكبيرة الثانية للقيام وتكبيرة التشهد والتسليم بخلاف التكبيرات التي بين ذلك، ولعلهم فعلوا ذلك حتى يميز هذه التكبيرات من كانوا يصلون بعيدين عن الإمام، أو في الامكنة المنفصلة عنه، فقد لاحظت أن المسجد يتألف من عدة أماكن بعضها ملحق به كأنما هي زيادات الحقت بالمصلى الرئيسي بعد بنائه.

ثم رفعوا اصواتهم أكثر من ذلك بالذكر الجماعي بعد الصلاة من التكبير والتحميد والتسبيح ولبثوا على ذلك طويلا أقدر مدته بطول مدة الصلاة ثلاث مرات، لأنهم أوجزوا في صلاتهم.

وكنت قبل الصلاة اتضايق من نوعين من الناس الذين كانوا يتجولون بين الصفوف ويتخطون رقاب الناس

النوع الأول: الذين يبحثون عن مكان لهم للصلاة وهؤلاء قد يرون أن لعملهم مايبرره من ضيق المسجد بالمصلين، وإن كان النبي ﷺ قد نهى شخصا رآه يتخطى رقاب الناس في صلاة الجمعة فقال له النبي ﷺ: «**إجلس ياهذا فقد آذيت**».

النوع الثاني: وهؤلاء لاعذر لهم اطلاقاً فيما فعلوه وهم الشحاذون الذين كانوا يمرون بين الصفوف ويزعجون الناس وبعضهم من المكفوفين أو من كبار السن الذين يكون معهم من يقودهم فتكون المضايقة أكثر وبخاصة في هذا الجامع الذي تقاربت فيه الصفوف وضاق مابينها من أجل كثرة المصلين وقد استأنف هؤلاء المتجولون مهمتهم بعد انقضاء الصلاة لأن الناس يريدون أن يبادروا ابواب الخروج قبل الازدحام.

أما نحن فلم ينتظر مرافقونا حتى ينتهي الذكر بل طلبوا منا أن نتوجه للسلام على الإمام في المحراب حتى يرانا الناس ويسلموا علينا، وقد يطلبون إلقاء كلمة فيهم.

ورغم صعوبة الوصول إليه فقد وصلناه قبل انقضاء الذكر الجماعي الا أننا وقفنا في المحراب حتى انتهوا منه.

ثم اقبلنا بحسن نية نسلم على الإمام ونعانقه ونصافحه فاستقبلنا ببرود بل بتحفظ ولكنني انطلقت أخبره باسمائنا وبالغرض الذي جئنا من أجله فلم يعلق على ذلك بشيء وشغلنا الإخوة المصلون القريبون من الإمام بالسلام والمصافحة.

فلما فرغنا من ذلك ونحن واقفون قلت له إننا نريد أن نسمع منك وأنت إمام المسلمين مايجب أن تقوله فيما يتعلق بالتعاون مابين رابطة العالم الإسلامي والعاملين في الدعوة الإسلامية في هذه البلاد.

فكان رده على ذلك أن قال: لنذهب إلى مكان آخر فقلنا له إن الساعة قد بلغت الآن الثانية والنصف ولدينا موعد لابد من الرجوع إليه في (كوتونو).

فتغير وجهه واحتد في الكلام وقال أنتم جئتم لأنفسكم ولم تجيئوا إلينا، فقلت له: لقد جئنا مبكرين ولكن حادثاً في الطريق أخرنا ساعتين ثم جئنا إلى بيتك قبل الصلاة فلم يتيسر لنا اللقاء بك، واستشاط رفيقي السفير الدكوري غضبا من قولته تلك وقال لي وهو يسمع لأنه يفهم العربية: لقد رفض استقبالنا في بيته قبل الصلاة ولم نخبرك رجاء أن يصلح الأمر معه بعد ذلك.

ثم قال له: الا تخجل من كون إخوة لك في الدين غرباء عن البلاد يأتون إلى بيتك فتأبى أن تظهر إليهم فضلاً عن أن تضيفهم ثم تقول: إنكم جئتم لأنفسكم؟

فحاولت أن ألطف الجو إلا أن الإمام ازداد غضباً، ووقف الحاضرون معنا وهم يرون هذا التأثر ومظاهر عدم الرضا وإن كانوا لايفهمون العربية، وكان من أكثر الأشياء إيلاماً أن المرافق الحكومي (روجيه) وهو مسيحي كان حاضراً هذا المشهد لأنه دخل المسجد بعد انقضاء الصلاة.

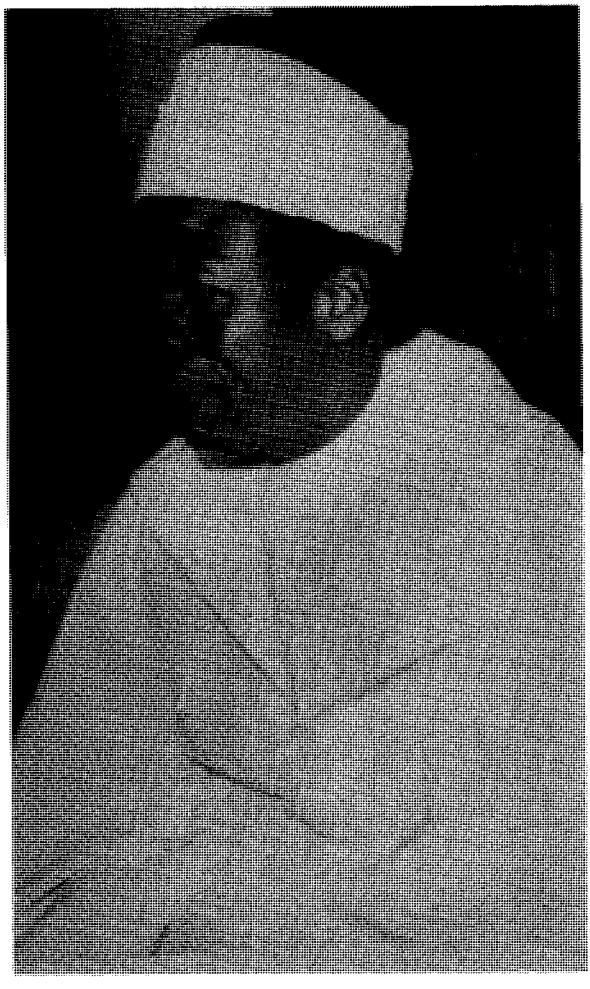

إمام الجامع في مدينة بورتونوفو في بنين

ولكن الإمام (مجدد) لم يلن أو يخفف من غضبه بل ازداد حدة وغضباً وهو يقول: أنتم العرب تعدون ولاتوفون (وَعْد بلا وفا ضحك بلا سبب) هكذا أورد هذا المثل ولا أدري العرب الذين يقصدهم بقوله لأنه بالنسبة لي لم أعرفه قبل هذه المرة ولم أزر بلادهم قبلها.

ثم أضاف قوله جاءتنا وفود ووفود، وكلها تعدنا وتخلفنا، ليس عندكم أيها العرب إلاَّ ذلك ولم يوضح أيضاً أي وفود يريد، ولم يذكر أي وفود التي جاءت ـ مع عدم معرفتنا بها ـ فإنها لاتنزل في ضيافته ولاتطلب منه شيئاً خاصاً بها وهذا مع موافقتنا له إذا كان قوله صحيحاً بأن الوعد وعدم الوفاء، أمر مذموم، ومذموم صاحبه، لكننا هنا وعلى هذا المشهد من إخواننا المسلمين وفي هذا البيت الطاهر من بيوت الله يكون قد اخذنا بجريرة غيرنا.

وقد حاولنا كما حاول الحاضرون أن يوضحوا له الأمر ولكنه أخذ يردد قوله: أنتم جئتم لأنفسكم لا لنا انتم جئتم لوزارة الخارجية ولهذا رجل الخارجية معكم.

وقد أخذ الشيخ الدكوري يشرح الأمر بالفرنسية لبعض الحاضرين. ثم انصرف مغضباً وتركنا واقفين.

ولم يكن هناك مجال في مثل هذا الجو لإلقاء خطاب أو موعظة لاسيما وأن أكثر المصلين قد خرجوا من الجامع اثناء هذا الجدال.

وكان أسفي بالغاً لما حدث لا بالنسبة لغضب المذكور وسوء فهمه لمهمتنا فهذا أمر يمكن احتماله ولكن لحرماننا من جلسة طيبة كنا نؤمل أن نحظى بها مع هؤلاء الإخوة المسلمين فنتذاكر في التعاون على الخير ونستزيد معرفة بأحوال المسلمين، ونعمل على مساعدتهم فيما يريدون أن نساعدهم عليه من أمور دينهم.

ومما عزانا عما فعله أخونا الشيخ الإمام (مجدد) أن عامة الناس بعد أن تركنا اقبلوا يصافحون ويسلمون علينا وهم فرحون بوجودنا بينهم حتى كنا نشق طريقنا إلى باب الخروج من المسجد بصعوبة.

وتقدم أحد الإخوة وهو يعرف العربية فذكر اسمه وقال: هذا الإمام. . . ، وقال آخر: لقد سبق أن أصيب في عقله ولا أدرى أذلك حقيقي أم أنهم أرادوا مجاملتنا من حيث لم يجاملنا الإمام.

وفي المساء :

بعد استراحة قصيرة كان انقضى وقت الظهيرة، ودخل وقت الاصيل بنسماته البحرية البليلة التي عجبنا من لطفها وبرودتها في هذا الجو الإستوائي وكنا نشرب الشاي بجانب

البركة التي خلت من السابحين وتحت فروع نخيله الزيتية الغليظة.

وحضر بعض الإخوة من المسلمين، ولم يكن في هذه الجلسة مايحسن ذكره وبعد المغرب كنا في هذا المكان وإذا بطائفة من النساء قد ضاقت بهن كراسي الموائد الخالية من مقهاته فلفتن بأصواتهن المتداخلة أسماع الحاضرين قبل أنظارهم التي عندما نظرت لم تجد مايستحق النظر ولكن الأسماع أيضاً كان لها استماع إلى بعض أحوال هذهُ المجموعة من النساء فقال بعضهن للسفير الدكوري: إنهن اثنتا عشرة امرأة يعملن مع الأمم المتحدة في برنامج لتنظيم الأسرة في إفريقية، وقد تبين أنهن كلهن مسلمات ماعدا اثنتين هما مندوبة (توقو) ومندوبة (الكنقو) لانهن من عدة أقطار.

ومن المخزي مانسبته إحداهن إلى إحدى الكافرتين بأنها حدثتهن أنها ارسلت إلى زوجها قناعا يستعمل عند الإتصال قائلة له إنني أعلم أنك بعيد عني وأنك قد تتعرف على غيري فاستعمل هذا لئلا تصاب بالمرض فأصاب مثلك إذا رجعت إليَّ.

ومن الأشياء المخزية أيضاً ماحدثته هذه الكافرة إحدى زميلاتها من المسلمات بأن الرجال في بلادهـا ذات الأغلبية الكافرة يتعمدون أن يتعرفوا إلى أخت الزوجة ولايراعون شعور الزوجة في هذا الشأن.

وهكذا اذا خلت القلوب من الدين لعبت بها الشياطين.

يوم السبت ٢٢/١٢/١٤٠٢هـ

في سوق شعبي :

كانت جولة اليوم على سوق شعبي اسمه (قان هي) ومعناها السوق المسقوف بلغة قبيلة (فون) لأنه كان أول سوق عام مسقوف عندهم وكانت الجولة بصحبة أحد أبناء بنين الذين يعرفون العربية واسمه (الفا محمد قاسم) من شمال البلاد ويقول: إنه يدرس الآن في معهد للتقنية (التكنولوجيا) في الكويت.

وهو يعرف العربية جيداً ومعنى (الفا) في اسمه في الأصل العالم أصلها الفاهم بالعربية حذف منها نصفها الاخير (هم) فأصبحت (الفا)، ولم يكن يسمى بها في غرب إفريقية الا العلماء ولكن صار يسمى بهم غيرهم على اسم عالم من العلماء استحق التلقب بها حقاً لفهمه وعلمه.

وهذا السوق يدل على وفرة الخضروات والفاكهة في البلاد لأنني رأيت فيه أنواعاً متنوعة واصنافاً مصنفة من الخضروات والفواكه.

ومن ذلك اكوام من (اللوبيا) ولكنها أقصر قليلاً من اللوبيا المعروفة عندنا بقليل وليست كاللوبيا الشائعة في بعض الأقطار القريبة من خط الاستواء، حيث تكون طويلة طولاً ملفتا للنظر بحيث يصل طول العود منها إلى أزيد من طول عود اللوبيا عندنا ثلاث مرات.

وحتى الخضروات التي تنمو عادة في المناطق المعتدلة موجودة هنا بكثرة كالفجل الأحمر والملفوف (الكرنب) والبصل الأخضر الجيد والجزر.

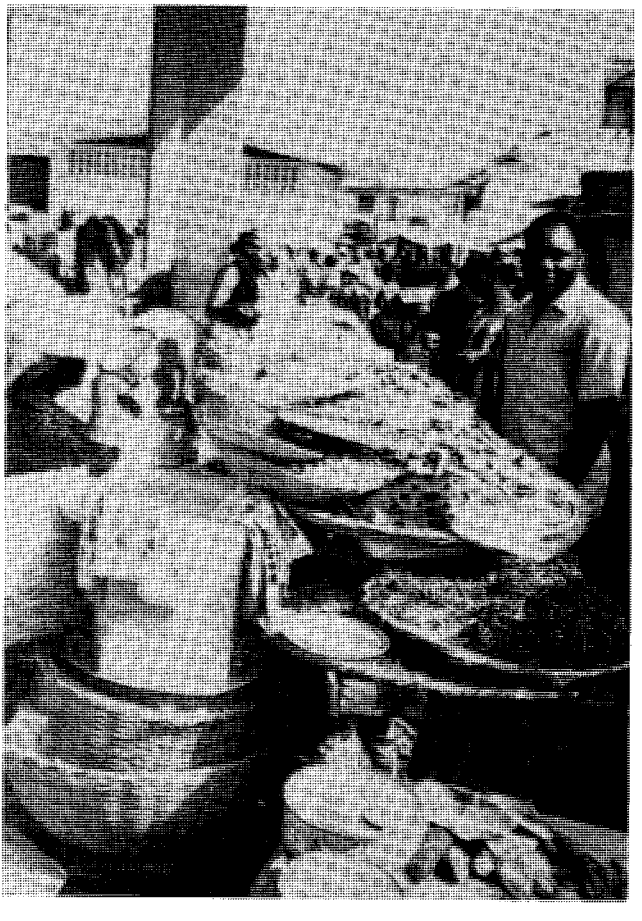

الخضروات في سوق كوتونو

وأما الفواكه المحلية فإن أكثرها ظهوراً هنا الباباي والبطيخ الأخضر الصغير والخيار والأناناس والموز.

وتوجد (البامية) ولكن حجمها كبير وهذه عادة الافارقة في بعض اقطارهم أن يجعلوها تكبر ويأكلونها كذلك وهم يبيعون الكيلو من هذه الكبيرة بخمسمائة فرنك إفريقي غربي.

وكل الباعة في هذا السوق من النساء، وأكثرهن من قبيلة (الفون) التي أكثرها ممن بقوا على الوثنية، لم يدخلوا في الإسلام ولا في المسيحية.

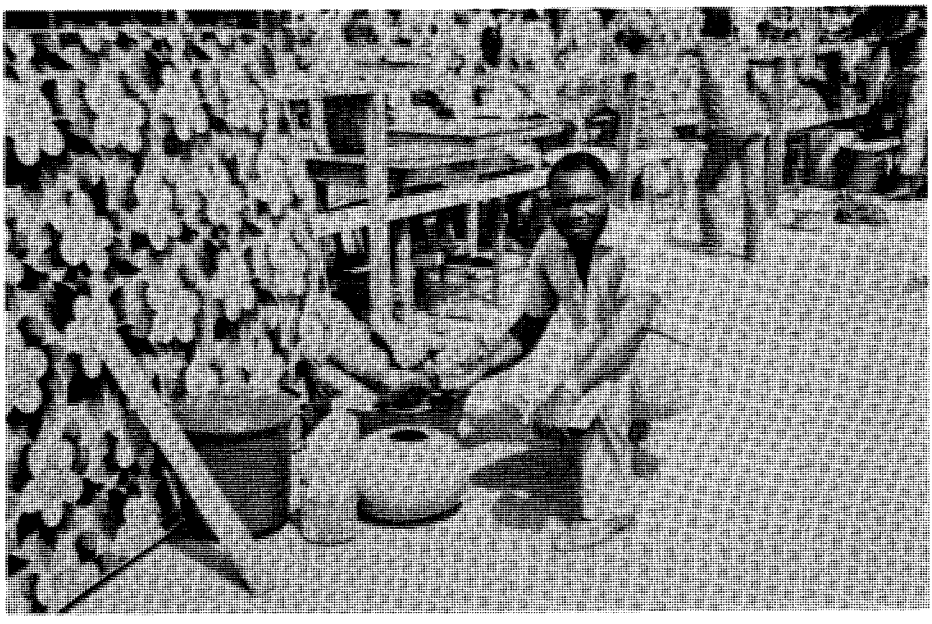

الكسافا في سوق كوتونو بجانب المرافق

وأكثرهن غليظات الأجسام يسارعن إلى التحدث مع الرجال الأجانب ومع ذلك رأيت واحدة منهن كبيرة السن عندما اردت التقاط صورة لجزء من السوق سارعت وأخفت وجهها وراء قبعة من القش كانت بجانبها وقالت للمترجم: إن الأوروبيين يأتون إلى بلادنا، ويلتقطون الصور لأسوأ مافيها من المناظر، ويتركون المناظر الجيدة.

وأكثر البيع في هذا السوق بالكومة لما يكوَّم تكومياً اي جزافا دون وزن أو كيل أو عد الا ماكان من أمر الموز ونحوه فإنه يباع بالواحدة.

وحتى الإربيان وهو الروبيان بلغة العامة من بني قومنا، والجمبري بلغة المصريين فإنه يباع بالكومة كما يباع وزنا بالكيلو وثمن الكيلو الواحد منه الف فرنك.

والسوق الكبير :

وانتقلنا بعد ذلك إلى سوق (دان توبا) الكبير وهو أكبر سوق في هذه البلدة ويقع بجانب

مجرى مائي يسمى خليج لاجين معظم مياهه من نهر (وي مي) رأيت فيه أول دخولنا إليه امرأة شابة عارية الصدر، فعلق المرافق على ذلك بأن الناس لايبالون بهذه الأشياء لأنهم ألفوها.

والصحيح أن عدم الإحتفاء باللباس عندهم ليس شيئاً جديداً ألفوه وإنما هو قديم لم يفارق بعضهم وبخاصة أهالي الأرياف والذين يعيشون في الغابات في مناطق منعزلة وبهذه المناسبة سألته سؤالا عرض لي عن الجرائم التي يمكن أن تحدث للمرأة منهم التي تسير هكذا فقال: إن ذلك نادر.

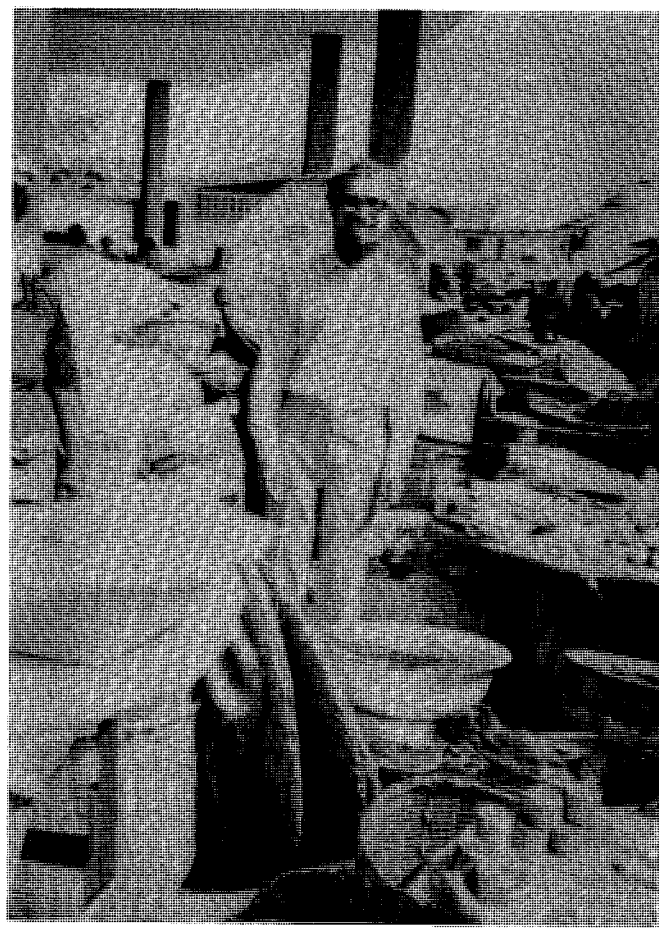

في سوق كوتونو

وفي هذا السوق فاكهة مستوردة كالتفاح وامرأة تبيع لحما بالمرق الحار ذكرت أنه حلال وأنه ذبحه مسلمون، ولا أدرى ما اذا كانت هي مسلمة إلا أن مرافقي ذكر أن لحم الخنزير لايباع هنا في المرق في العادة.

ثم انتقلنا إلى قسم مسقوف من هذا السوق فيه أقمشة من التي تلبس دون خياطة كالأردية والأزر التي تكون من قطعتين.

ومن لطيف المناظر هنا منظر امرأة جالسة تبيع بضاعتها وطفلها مربوط على ظهرها وهي تسير غير مبالية به بل إن وضعه في هذا الموضع قد أراحها من انطلاقه وركضه بعيداً عنها.

إمرأة من أهل بنين تحمل طفلها على ظهرها والخبز على رأسها

ولاحظت أن مظاهر الأمن متوفرة كالثقة بالذين يقلبون السلع وكغفلة أهل السوق عن بضائعهم بالحديث مع المشترين وقال لي الأخ المرافق (الفا محمد قاسم): إن الشرطة هنا يقظة وحالة الأمن جيدة وأنه حتى وقت الاستعمار الفرنسي كان الأمن جيداً، وليس كما هو عليه الحال في المستعمرات الانكليزية مثل نيجيريا المجاورة التي لايتوافر فيها الأمن في أكثر الأماكن.

والسوق مزدحم بالمشترين والمتفرجين بكثرة كاثرة وربما كان مرجع ذلك إلى محبتهم للشراء من البضائع المنشورة على الأرض أو المعروضة على صفة مبسطة بديلة من البضائع الغالية من المحلات التجارية الكبيرة.

والقوم مؤدبون مهذبون في نظرتهم وتعاملهم مع الغريب مثلي الذي لايستطيع أن يستر غربته في اللون عنهم.

ومن طريف مالاحظته من بساطتهم أن نسوة شابات منهم يبعن اسطوانات مسجلة عليها اغنيات راقصة كن يرقصن على انغام الموسيقى من أجل اجتذاب الناس للشراء ورأيت أحد المارة بهن وقد جعل يشاركهن الرقص على انغام الموسيقى ويجدر بنا بهذه المناسبة أن ننوه بأن اللبـاس الشائع عند نسائهم هو قميص قصير الأكمام وفوطة تلف من الوسط حتى قرب الكعبين وهو تكون من قماش القميص نفسه.

مغادرة بنين :

كانت مغادرة (كوتونو) عاصمة بنين الشعبية في الثانية الاربعا من ظهر هذا اليوم مع شركة الطيران الإفريقية (ايرافريك).

وكـان في الـوداع عدد من الإخـوة المسلمـين منهم موسى صالـح تراوري ممثـل وزير الخارجية، ومعهم مندوب المراسم..

وكـانت الـطائـرة متـوجهـة إلى لومي عاصمـة توقو فاستغرق الطيران بين العاصمتين المتجاورتين (١٧) دقيقة لاتزيد واعلن مكبر الصوت في الطائرة أنها سوف تلبث في مطار لومي خمسا واربعين دقيقة ولكننا لبثنا فيه ساعة غادرناه بعدها إلى ابيجان عاصمة ساحل العاج في طريق العودة إلى الوطن. ولله الحمد.

تعريف بجمهورية بنين

قدمنا في اليوميات كلاماً كثيراً عن بنين كما تكلمنا على الشؤن الإسلامية وعلى المؤسسات الإسلامية التي زرناها فيها، ومع ذلك أحببنا الا نخلي هذا الموضع من مذكرة عن أحوال البلاد عامة وعن أحوال المسلمين خاصة جرياً على العادة التي سرنا عليها في مؤلفاتنا التي يتفاوت التعريف فيها بأحوال المسلمين قلة وكثرة حسب المعلومات الميدانية التي أمكننا الحصول عليها.

تقع (بنين) في غرب إفريقية بين نيجيريا من جهة الشرق وتوقو من جهة الغرب والمحيط الأطلسي المسمى في هذه المنطقة خليج غينيا من جهة الجنوب أما حدودها الشمالية فإنها مشتركة بين جمهورتي فولتا العليا (بوركينا فاسو) حاليا والنيجر.

حصلت على استقلالها من فرنسا عام ١٩٦٠م وكان اسمها عند استقلالها (دا هومي) وقد غير هذا الاسم لسببين أولهما أن (داهومي) اسم يدل على القبيلة اذ معناه موطن قبيلة (داه) وهي قبيلة قديمة من سكان تلك المنطقة، غير أن البلاد يسكنها في الوقت الحاضر قبائل متعددة غير الذين ينتمون إلى تلك القبيلة.

وثانيهما: أن مملكة بنين التي كانت قائمة في جزء مما يسمى الآن نيجيريا وبلغت شأنا من الحضارة وانتظام الادارة تعد فخراً للإفريقيين فأسمى القائمون على أمر (داهومي) هذه بلادهم على اسم هذه المملكة، والافان جمهورية (بنين) هذه التي كان اسمها (داهومي) من قبل ليست في موقع بنين القديمة، تماماً مثلما فعل إخوان لهم فيما كان يسمى في زمن الاستعمار (بساحل الذهب) وعلى رأسهم قوامي نيكر وما فغيروا اسم بلادهم عند الاستقلال إلى (غانا) تيمنا بمملكة غانة الإفريقية التاريخية القديمة وإن كانت (غانا) الحديثة ليست في موقع (غانه) القديمة فتلك كانت إلى الشمال منها واقعة على ضفتي نهر السنغال الذي كان أسلافنا العرب يسمونه (نيل غانه) مثلما كانوا يسمون نهر النيجر (نيل السودان) ويقولون: إن نيل غانه شقيق نيل السودان وإن نيل غانه يصب في النهر المحيط الأعظم ويعنون به المحيط الاطلسي.

وتبلغ مساحة (بنين) ١١٣,٦١٣ كيلو متر مربع، كما يبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف المليون نسبة المسلمين فيهم مابين ٣٨٪ إلى ٤٠٪ حيث لاتوجد احصاءات رسمية كما أن هذه النسبة غير ثابتة فهي في تحرك مستمر إلى اعلى في صالح المسلمين ولله الحمد.

دخول الإسلام إلى بنين :

تجاور بنين من جهة الشمال ـ كما قلنا النيجر وفولتا العليا، والنيجر هي بلاد إسلامية قديمة وكانت جزءاً من سلطنة مالي العظيمة التي بلغت شأنا في الإدارة وضبط الأمن في العصور الوسطى وبالتحديد في القرن الثامن الهجري مالم تكن تبلغه أوروبا في ذلك الوقت.

وذلك بفضل أخذ أهلها بالإسلام وتطبيق الأحكام الشرعية، وكانت سلطنة مالي تمتد من المحيط الاطلسي إلى قرب بحيرة تشاد.

وقد ذكرت شيئاً عن ماضي سلطنة مالي وحاضرها في كتاب. (في ربوع السودان الغربي) أو (المنظور والمأثور في بلاد التكرور)..

كما كانت النيجر بعد ذلك جزءاً من مملكة (سونغي) التي أعقبت سلطنة مالي على بعض البلاد وكانت عاصمتها (قاوقاو) الواقعة في شرق مالي حاليا.

وقد عودنا اخوتنا المسلمون من أهل مالي الكبير الذي كان يشمل السنغال واجزاء من بلاد مجاورة أخرى أن يرحلوا في طلب التجارة إلى الأقطار الإفريقية في غرب إفريقية ووسطها وكانوا اينما حلوا تجاراً لاينسون نصيبهم من الدنيا ولكنهم أيضاً لاينسون واجبهم الديني فكانوا يؤسسون الجمعيات الإسلامية ويبنون المساجد ويكرمون طلبة العلم.

وقد حظيت البلدان القريبة منهم بأولوية الهجرة إليها فكان وجودهم فيها خيراً وبركة اذْ حملوا الدين الإسلامي إلى تلك المناطق.

ومنها الجزء الشمالي من (بنين) هذه إذْ انتقلت إليه في أزمان متفاوتة فصائل من قبائل وافراد من الجماعات الإسلامية المعروفة في تلك البلاد ومنها أناس من الفلانيين الذين نسميهم في بلاد الفلاتيين بالتاء واقوام من سكان مالي القدماء مثل السنغي والماندنغ وجيرانهم الشرقيين الهوسا والجارما وغيرهم فأسسوا المدارس وبنوا المساجد في تلك المناطق الشمالية من (بنين) حتى صارت الغلبة السكانية للمسلمين في بعض المدن والقرى.

أما جنوب (بنين) فإن دخول الإسلام إليه كان في عصور متأخرة أذْ كانت تسكنه قبائل وثنية تولت المؤسسات التنصيرية الأوروبية إدخال اعداد منها في المسيحية وبالتالي أدخلتهم في المدارس المسيحية ثم اتيحت لاعداد منهم فرصة اتمام تعليمهم العالي فصاروا مؤهلين لشغل الوظائف العليا في الدولة أكثر من أبناء المسلمين عندما نالت البلاد استقلالها.

ولذلك صار عدد المسيحيين في الوظائف الرئيسية في الدولة عند الاستقلال أكثر من عدد

المسلمين بكثير، بل إنه لاتناسب بين أعداد المسيحيين والمسلمين الذين يشغلون الوظائف الكبيرة في الدولة من جيل الاستقلال.

ولكن أخذ عدد المسلمين المشاركين الآن يزداد كما انتشرت المساجد والمدارس الإسلامية في المناطق الجنوبية التي كانت معتبرة مناطق خارج النفوذ الإسلامي وذكرنا بعض المؤسسات الإسلامية التي زرناها في اليوميات. وقد اخذ الإسلام ينتشر الآن بشكل يفرح له قلب كل مسلم متابع لشئون الدعوة الإسلامية.

ولايحد من انتشار الإسلام في (بنين) أكثر مما هو عليه الآن إلا نقص الدعاة المؤهلين، وضعف المتابعة للمسلمين الجدد الذين يدخلون في الإسلام بسهولة ولكنهم لايجدون من يرعاهم الرعاية اللازمة عند إسلامهم سواء من الناحية الدينية والناحية الاجتماعية.

نشاط المؤسسات الإسلامية في المملكة :

وقد قامت الجهات العاملة في الدعوة الآن في بلادنا بجهود مشكورة في تعضيد المؤسسات الإسلامية من مدارس ومساجد وجمعيات إسلامية خيرية وعلى رأس تلك الجهات رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض.

فأرسلت كل جهة من الجهتين مبعوثين ودعاة إلى الله للعمل لدى الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في إرشاد المسلمين هناك والمساعدة على الدعوة إلى الله بين أوساط غير المسلمين.

وأنشأت رابطة العالم الإسلامي إلى ذلك (مركز الملك فيصل الطبي) في (كوتونو) كما توالت ولازالت تتوالى المساعدات النقدية لبناء المساجد، وتشجيع المدارس الإسلامية في المنطقة.

الوضع السياسي :

تشترك بنين مع دول المنطقة في كونها كلها حكومات عسكرية سواء في النيجر أو مالي وفولتا العليا وإن كانت الاتجاهات السياسية تختلف في كل بلد عن الآخر وقد انخرطت بنين وفولتا العليا والنيجر في منظمة الوفاق التي ترأسها ساحل العاج، المعروفة بأنها غربية الاتجاه، ولفرنسا فيها نفوذ كبير كما تقدم.

أما بنين فإنها رغم سياستها الاشتراكية المعلنة فذلك يقتصر على التنظيم السياسي الذي يقصد منه السيطرة على مقدرات البلاد أما الاقتصاد فيها فانه حر أكثر من البلاد الأخرى.

ومازال الفرنك الافريقي المرتبط عضويا بالفرنك الفرنسي هو العملة السائدة في البلاد ومن مظاهر ذلك أيضاً انضمام بنين إلى منظمة المؤتمر الإسلامي رغم أن المسلمين في الوزارة قليلو العدد بل لايزيدون عن اربعة هم وزير الخارجية ووزير الاعلام ووزير الاشغال ووزير المالية.

وهناك فرصة في الوقت الحاضر لتعزيز مكتب الرابطة الذي سيفتح في القريب العاجل كما هو مقرر مع تعيين شخصية على المستوى المناسب فيه حتى تتابع التطورات المستجدة على الصعيد الإسلامي في بنين وماحولها وتكون عونا للرابطة في هذا الموضوع.

وبهذه المناسبة نقترح تعزيز مكاتب الرابطة في غرب إفريقية بالموظفين والإمكانات المالية حتى تقوم بالعمل المطلوب نحو متابعة التطورات التي تؤثر على مسيرة العمل الإسلامي هناك ويمكن عقد اجتماع بين الرابطة ومديري مكاتبها لتدارس هذا الأمر واتخاذ القرار اللازم لانفاذه.

شواهد لشهود عيان :

لم يسعفنا الوقت والجهد بزيارة كل انحاء بنين ومن الصعب علينا لو استطعنا التجول في انحائها أن نحصل من المعلومات على مايحصل عليه أبناء البلاد.

لذلك آثرت أن أنقل هنا أوراقا كتبها أخوان من أهل (بنين) وصفا فيها حال الدعوة في بعض المدن والقرى التي زاراها هناك، وتلك المعلومات لم تدون في كتب متداولة، بل لم تطبع أصلا لذلك كان ذكرها هنا هو بمثابة تدوين المعلومات الميدانية الحية مع الاشارة إلى أن المؤلف ينقل عن الأخوين المذكورين دون أن يتحمل تبعة ماقد يراه بعض القراء في كلامهما.

قال الأخ عبدالرحمن جمعه سارو احد الدعاة المبتعثين من قبل دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية وهو يتحدث عن المدن والقرى التي يوجد فيها المسلمون في بنين:

١ ـ قرية واسا WASA VILLAGE :

هذه القرية يكثر فيها المسلمون حيث تقدر سكانها بحوالي ثلاثة آلاف من السكان والمسلمون فيها يقدرون بنصف السكان ولهم أربعة مساجد يصلون فيها الصلوات الخمس ماعدا المسجد الجامع والذي يصلي بهم فيه الامام المسمى (الحاج موسى البررى) والذي يقوم بنشاط إسلامي هناك مع تعاونه مع أحد تلاميذ الشيخ آدم عبدالله الالورى الذي أسس مدرسة عربية في القرية ويبلغ عدد التلاميذ في هذه المدرسة سبعين تلميذاً.

ومناهجهم الدراسية تشبه برنامج الشيخ آدم في مدرسته بنيجيريا مركز التعليم العربي

الإسلامي وهي مدرسة جديرة بالمساعدة وخاصة إرسال الكتب المدرسية إليها وكذلك المساعدة المالية ليقابل مايفعله المبشرون في تلك الناحية.

٢ ـ قرية اَلْجَوْ :

هذه القرية قرية إسلامية حيث سكانها يبلغون أربعة الآف ومائة نسمة والمسلمون منهم يقدرون بثلاثة أرباع من السكان ولهم حوالي عشرين مسجداً يصلون فيها الرواتب وكذلك لهم مسجد كبير ولهم نشاط إسلامي يرأسه شيخ إسمه: سبطى وهو من أصحاب الشيخ الحاج عيسى صالح برى في مدينة جوغو وكذلك لهم مدرسة إسلامية يعلمون فيها أولادهم اللغة العربية والدين الإسلامي حيث أن التلاميذ في هذه المدرسة يبلغون مائتي تلميذ. واسم المدير فيها: المعلم محمد مصطفى هرون مع أعوانه المعلمين ولقد طلب شيخ المسلمين ومدير المدرسة المساعدات كعادة إخوانهم وخاصة المصاحف والكتب.

٣ ـ مدينة بنتى BANTE :

هذه المدينة مهمة جداً لأنها من أعجب مازرت ورأيت كادت هذه المدينة أن تكون أم الداهومي مع أنها بعيدة عن العاصمة وماذلك كله إلا لأجل رجل يقوم بنشاط إسلامي من هناك ولقد رتب هذا الرجل الدعوة وحكم الترتيب حيث أنه مدير المدرسة إنتدب إلى هناك ليكون مديراً وليرجع بعد سنوات قليلة على نية الحكومة التي ندبته إلى هناك إلا أن الرجل غير وجه كل شيء إلى أحسن مما يتصور وهذا الرجل من تلاميذ الشيخ الحاج شئث الثاني مدير مركز التعليم العربي الإسلامي بساكيتى.

كيف انتصر هذا الرجل على جميع الأديان هناك. هذا الرجل الداعي الكبير جاء ووجد مدينة بنتى يدين سكانها بالوثنية وبعضهم بالنصرانية وقليل منهم يدينون بالإسلام وحيث أن الرجل غيور على دينه بدأ يفكر في طريق ينجح فيه في نشر الإسلام ولقد انتهز فرصة مديريته في كسب الأولاد الصغار وتغييرهم إلى الدين الإسلامي وبتعليمهم بمبادىء الإسلام كما هو حال المبشرين وليس هذا فقط بل اشترى أرضاً كبيراً جداً وزرعه وجعل يقسم للمسلمين الفقراء الذين لايملكون شيئاً من قبل وسمى هذا البستان (حديقة المسلمين) ثم جعل يدعو الناس إلى الإسلام وكلما أجابه شخص أعطاه من البستان قدراً ما ولا يرضى أبداً أن لايملك أي مسلم أرضا يزرعه ويكفيه مايجد من محصولاته هو وعياله.

ثم يستعين المسلمين في بقية الأراضى ويزرعونها ويجمعون محصولاتها ويبيعونها وهو يجعل مايجد منها رصيداً للمسلمين وبذلك دخل أغلب سكان هذه المدينة الإسلام وقد كرم هذا

الرجل حتى لما أرادت الحكومة نقله ثار جميع أهل البلد وطلبوا من الحكومة عدم نقله.

ولقد حسده المبشرون وكتبوا إلى الحكومة أن الرجل لم يعد مديراً للمدرسة، ولم يعتن بأمور المدرسة إلا أنه صار داعية كبيرا للإسلام ويجب على الحكومة نقله من المدينة إلا أن الله سبحانه وتعالى اعان هذا الرجل وجعل أولاد مدارسه هم الأوائل في الدولة كلها وكلما يعقد الاختبار السنوي كانت مدارسه من أحسن المدارس في الدولة كلها وبهذا احتجت أهل البلد بإبقاء الرجل وأن الذين يكتبون ضده إنما يحسدونه وأنه إذا نقل فيحصل مالم تتوقعها الحكومة وأخيراً أصدرت الحكومة أمراً بابقائه في الناحية إلى الأبد حيث أنه مكث في المدينة أكثر من عشرين سنة.

والدعوة الإسلامية تمشي وتستمر حتى الآن واسم هذا الرجل الداعية إلى الله: الحاج منير هارون ارينيكاش.

Alhadji Mounirou Harouna Irenicache Directeur Ol'ecole Publique Bante Par Savalou Rep du Dahomey

واعتقد أنه إذا سوعد هذا الرجل يزيد من أعمال الخير أكثر فأكثر والرجل يشبه أستاذه الحاج شئث الثاني لأن أستاذه يقوم بمثل هذه الدعوة إلا أن طريقه غير طريق التلميذ طريقته التعليمية والدعوة إلى الإسلام بالاخلاق الجميلة وبفتح المدارس الإسلامية حيث أن كل بلد يزور الإنسان في جمهورية داهومي يجد تلميذه من أحسن من يقوم بالدعوة هناك. أرجو إرسال المعونات إلى المدير لأنه يستحق ذلك وهو محتاج لبناء فصول أخرى ولبناء المسجد في مركزه بساكيتى والله الموفق.

٤ ـ قرية كانا :

هذه القرية فيها نشاط إسلامي وهي لم تبعد كثيراً عن مدينة بوينكون التي يقوم بالنشاط الإسلامي فيها الشيخ أبو بكر الإمام وبعض الشخصيات الإسلامية البارزين هناك أمثال الحاج موسى لا أوربت والحاج ملوغن وراق وهؤلاء كلهم يقومون بالنشاط الإسلامي في مدينة بوينكون وقرية (كانا) كذلك فيها نشاط إسلامي برئاسة إمامهم الحاج ألفا عبدالمؤمن موسى وهذا هو الإمام في المسجد الجامع حيث يصلون صلاة الجمعة لهم مساجد يصلون فيها الفرائض كما لهم مسجد الجامع الذي بدوأ ببنائه من جديد ولم يتم بعد ولهم أيضاً مدرسة قرآنية فيها حوالي ثلاثة مائة تلميذ.

يعلم فيها الأولاد: المعلم ثالث ناصر والفا سعيد ناصر الذي هو نائب الإمام ومن

الشخصيات الإسلامية هناك : ألفا صالح عثمان ـ وعالم يحيى وعثمان موسى . وألفا سعيد .

٥ ـ قرية أبومى :

هذه القرية فيها نشاط إسلامي يسكنها أكثر من ثلاثة آلاف نسمة المسلمون فيها ربع السكان فقط إلا أن نشاطهم الإسلامي جيد واسم إمامهم الحاج إدريس إمام زنفو أبومى ولهم مدرسة قرآنية فيها حوالي ثمانين تلميذاً يعلم فيها الفا صالح بندى ناد يشوأ دونا الذي له ولد في الكويت يدرس فيها .

٦ ـ مدينة بوينكـون

هذه المدينة كبيرة وهي تبعد عن كوتونو العاصمة الداهومية بأقل من مائة كيلو متر بقليل، وتسكن هذه المدينة كما قدرتها بحوالي خمسة عشر ألف والمسلمون من جملة السكان يقدرون بثلث السكـان ولهم مسـاجـد يصلون فيهـا الصلوات الخمس، ولهم مدارس القـرآنية (الكتاتيب) ولهم أيضاً مدرسة تشبه مدرسة منظمة والمعلم فيها الإمام إمام الجامع ، وهو رجل شريف إسمه الحاج أبو بكر الإمام .

لهم مسجد كبير يصلون فيه يوم الجمعة ولقد هدم المسجد لإعادة بنائه من جديد وفعلا وجدتهم وأدركتهم يبنونه ولقد بنوا هذا المسجد بأحدث طريق ولايزالون يبذلون جهودهم فيه وهم أيضاً يطلبون المساعدات المالية ومن الشخصيات البارزة والعاملين للإسلام هناك .

١ ـ الحاج أبو بكر الإمام ٢ ـ الحاج عبدالله علي ٣ ـ جبريل آدم .
٤ ـ الحاج موسى ٥ ـ محمد خليف ٦ ـ اسماعيل أبو بكر ٧ ـ يعقوب بابا .

٧ ـ مدينة أجووَن ADJOHON

جمعية شمس الدين

إسم رئيس الجمعية : الحاج عبدالواسع تيجاني
السكرتير : الحاج ابراهيم حامد
أمين الصندوق : جمعه القارى

والجمعية تتكون من عشرين عضواً وهؤلاء هم الذين أسسوا الجمعية ولهم إجتماع في كل اسبـوع يجمعون فيه تبرعات اسبوعياً ومقداره أربع مائة فرنك ومن هذه الفلوس يدفعون رواتب المعلمين بالعربية لمدرستهم .

واسم المدرسة : مدرسة شمس الدين الإسلامية .
عدد التلاميذ : ٦٠ ستون تلميذاً .

عدد الفصول : ٣ ثلاثة فصل.

والمدرس مرسول من الحاج شئث ساكيتى مدير المركز للتعليم الإسلامي هناك. بمساعده الحاج فارارن يونس الذي يسكن كوتونو العاصمة.

وهذه الجمعية لهم مساجد يصلون فيها إلا أن المسجد الجامع يجمعهم يوم الجمعة والقرى المجاورة يأتون إلى هذه المدينة لأداء صلاة الجمعة ولقد بدؤا في بناء هذا الجامع إلا أنه لم يتم بعد ولقد توقف بناؤه منذ سنتين وكذلك مدرستهم بنيت ثلاثة فصول والمدرسة تستمر والجماعة مجتهدون في رفع كلمة الله في بلدهم إلا أن الإمكانيات المادية ليست لهم.

٨ ـ قرية بسلة

هذه القرية أو المدينة إسمها بسلّة تبعد بحوالي مائة وخمسة عشر كيلو إلى جوغو يسكنها سبعة الآف وثلاثة مائة نسمة ونسبة المسلمين فيها خمسة وستون بالمائة والبقية بين المسيحيين والمجوس الوثنيين.

لهم مساجد أكثر من عشرة مساجد يصلون فيها الرواتب ماعدا المسجد الكبير يصلون فيه الصلاة يوم الجمعة واسم إمامهم الفا حامد الإمام.

لهم مدارس قرآنية كثيرة ولهم مدرسة نظامية واحدة تسمى جامعة الجوهر.

عدد التلاميذ فيها : مائتان تلميذا.
مدير المدرسة : الحاج آدم.
عنوان المدرسة : حارة بكوكوى Bassilla Dahomey Bakouktouwe Line

والمعلم الذي يعلم الأولاد مع المدير : الفا سالم شعيب سابيجا ولقد زارهم قبل أيام السيد محمد المختار من تلاميذ الشيخ آدم ومن أجيجى نيجيريا وكذلك أحمد محمد السبلاوى من تلاميذ الشيخ آدم أيضاً، والمناهج الدراسية تحتاج إلى التنظيم وكلهم مستعدون لقبول أي اقتراح أو تنظيم لهم ومستعدون أن يمشوا عليها لذلك أرجو أن توجه عناية إلى هذه البلاد لأنهم فطريون تستطيع الدعوة أن تنفع فيهم أكثر من غيرهم لأنهم بعيدون عن التيارات الغربية الحديثة.

ولقد قال أهل البلد إنهم مستعدون لبناء المسجد الكبير لأن مسجدهم غير كاف وغير واسع.

٩ ـ قرية وكـــي WAKEY

هذه القرية تقع في شمال داهومي قريبة إلى مدينة جوغو وسكان هذه القرية يبلغ خمسة الآف نسمـة. نسبـة المسلمين فيهم يبلغ الثلث من السكان. وللمسلمين خمسة مساجد يصلون فيها الصلوات الخمس. يجمعهم مسجد كبير (المسجد الجامع).

اسم الإمام : ألفا آدم.

ولهم مدرسة واحدة عدد التلاميذ فيها : مائتان ونيف وهي أقرب إلى مايسمى بالمدرسة القرآنية (الكتاب).

واسم المعلم فيها : ألفا أبو بكر.

١٠ ـ قرية سمرة SAMMARAH

هذه القرية تقع في شمال داهومي وهي لاتبعد كثيراً عن مدينة جوغو بسكانها يبلغ حوالي عشرة الآف نسمة.

نسبة المسلمين فيهم حوالي ثلثي السكان. لهم أكثر من عشرين مسجداً لكل مسجد إمام وفي وسط القرية لهم مسجد كبير يصلون فيه يوم الجمعة إمامه رجل يدعى عبدالرحمن الإمام رحمة الله عليه لأنه توفى قبل وصولنا هناك بأشهر ولم يعين الإمام الجديد ويصلي بهم الآن رجل وهو نائب الإمام الأول. ولهم مدرسة يدرس فيها إبن الحاج الشيخ عيسى صالح برى إسمه الحاج موسى الحاج عيسى برى.

يبلغ عدد التلاميذ مائتين وعشرين، وهي مدرسة ابتدائية والقريتان زرناهما بمساعدة الشيخ الحاج عيسى صالح برى ويمكن إرسال المكتوبات بواسطة الشيخ عيسى لأن بينهم الإتصالات.

وكل قرية تطلب إرسال الكتب إليها وكذلك المساعدات المالية كعاده إخوانهم.

١١ ـ قرية منافير أو (ملافى) (MALLAFI)

هذه القرية قرية كبيرة وهي حدود بين النيجر والداهومى من الجهة الشمالية يسكنها أربعة الآف وخمس مائة نسمة وأغلبهم مسلمون ولهم نشاط إسلامي ويرأس ذلك النشاط الأستاذ أبـو بكر جده وألفا ابراهيم فلانى ولهم مساجد يصلون فيها كما أنهم يصلون الجمعة في مسجد أكبر من غيره في القرية. ولهم مدارس قرآنية.

قال الشيخ عبدالرحمن جمعه سارو:

وبالجملة زرت هذه القرى والمدن التالية :ـ

Porto Novo	برتونوفو
Bobe	بوبى
Ketou	كيتو
Sakete	ساكيتى
Adjohoun	أجوهون
Avrankou	أفيركو
Adjarra	أجارا
Azowisse	اصوفيسي
Cotonou	كوتونو
Ouidah	ويدا
Abomey-Calavi	ابومى كلافى
Akassato	اكاساتو
Zinvie	زينفى
Allada	ألادا
Segbrohoue	سيقبروان
Lokossa	لوكوسا
Athieme	أتيمى
Grand-Popo	غراندبو
To Godo	توغودو
Abomey	أبومى
Bohincon	بوينكون
Savalov	سافالو
Cana	كانا
Dassa - Zoume	داسازومى
Save	سافي
Zagnanado	زغنانا نادو
Agonlin	اغولى
Cove	كوفى

Massi	ماسى
Parakou	باراكو
Tchaourou	شاورو
Bimbereke	بنبراكى
Kandi	كندى
Nikki	نيكى
Shegbana	شيبانا
Sinende	سيندى
Mallafi	مالافى
Djougou	جوغو
Natitingou	ناتنينغو
Kouande	كوندى
Dan	دان
Dangbo	داقبو
Tanssaagon	تاساغو
Ouassa	أواسا
Tourou	نورو
Kokoubou	كوكوبو
Beterou	بتيسرو
Kpessou	بيسو
Wewe	ويوى
Daringa	دارنيقا
Onklou	أوكولو
Danogo	دانوغو
Partago	برتاغو
Vanhoui	فنهوى
Serou	سيرو
Bantte	بنتي
Sogbodome	سوبر دومى
Agon	اغون

هذه هي إجمالي المدن والقرى التي زرتها في جمهورية الداهومى والمرجو تقديم مايمكن تقديمه إليها ليكون ذلك تشجيعاً لهم على قيامهم بالنشاط الإسلامي.

وقال الأخ عبدالله أبو بكر وهو طالب في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وهو يتحدث عن المدن والقرى التي ينتشر فيها المسلمون في شمال بنين وفي شمالها الشرقي:

مدينة باراكو وحركات المسلمين:

تعتبر مدينة باراكو مدينة هامة لموقعها في وسط جمهورية بنين، وهي عاصمة الشمال بصفة عامة، وتبعد عن المحيط الاطلسي أى كوتونو بأربعمائة وخمسة وثلاثين كم ٤٣٥، وكما انتهت إليها السكك الحديدية من كوتونو، وتتعاقبان مع الطريق البرى من كوتونو إلى باراكو.

وبها مصنع للثياب والطراز وأخرى للمشروبات، مما يجعل مدينة باراكو تحتل مكانة الثاني بعد كوتونو.

حركة المسلمين في باراكو:

الحمد لله جعل أهل هذه المدينة متدينين بالإسلام، وإن كان هناك من بقى على دين الآباء، ولكنهم لاتأثير لهم على المجتمع الإسلامي، بل هناك خطط تبذل على مستوى المحافظة لإيصال الإسلام إلى جميع المحافظة.

ومما يزيد قولنا وضوحاً، أن الزائر لهذه المدينة من الطريق البرى من الجنوب (أى كوتونو) يشاهد عند دخول مدينة باراكو، على الطريق بجانب السوق مسجدين كبيرين عاليين على الطراز الحديث، لايبعد أحدهما عن الآخر بأكثر من خمسمائة متر، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على حركة مسلمى هذه المدينة، وتمسكهم بالإسلام، وبذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الله.

وقد اتخذ البناء العلوى للمسجد الكبير، الذي تقام فيه صلاة الجمعة ـ مدرسة يدرس فيها أبناؤها، وأبناء الوافدين إليها من بعض الأقاليم والمحافظات وهي على مستوى المتوسطة، وبداخل المدينة فرع تابع لها على المستوى الابتدائي.

والمسجد الثاني لم يتم فتحه بعد، وهناك عدد من المساجد التابعة لأحياء المدينة، ومعظمها مزودة بالمكبرات الصوتية، والتي تستعمل في النداء إلى الصلاة، مما يجعل المسلم الغريب لايشعر بغربة في هذه المدينة.

ولقد قمت بزيارة المركز التعليمي العربي الإسلامي بالمدينة، حيث استقبلني الإخوة

القائمون بالتدريس في المركز، وزودوني بمعلومات، ووثيقة تتعلق بما اتفق عليه اتحاد مسلمي جميع الاقاليم التابعة للمحافظة وهو:

١ ـ وحدة صفوف جميع السكان المسلمين في البلاد.

٢ ـ يجب على كل عضو أن يعتبر نفسه منظما وسفيراً للإسلام وداعياً له.

٣ ـ يجب على كل عضو أن يتخلق بالأخلاق الفاضلة وبآداب والتعاليم الإسلامية في علاقاته ومعاملاته وروابطه الاجتماعية.

٤ ـ ويجب على كل عضو أن يحارب الفساد والظلم، مع توجيه الشعب إلى صرف أموالهم في المشاريع الاجتماعية والأعمال الخيرية.

٥ ـ يجب على كل عضو ملازمة مسجد الضاحية أو القرية التي يقيم فيها.

ومما يتعلق بالمدرسين الدينيين، نص الاتفاق على مايلي:ـ

١ ـ يدرسون ويحلون جميع المشاكل الدينية في المحافظة.

٢ ـ يستشيرهم الرئيس وكل عضو في المكتب التنفيذي في الأمور والمسائل الدينية.

٣ ـ يكلفهم الاتحاد بالقاء الدروس والمواعظ والندوات الدينية في أي وقت وإلى أي مكان يستدعى له الحاجة. يمكن تكليفهم بمهمات أخرى.

مدينة نيكى ومكانتها التاريخية وأوضاع المسلمين :

مدينة نيكى لها مكانة هامة بين أقاليم محافظة بورغو، بل بين جمهورية بنين، وأن هذه المحافظة جرت تسميتها باسم قبيلة (باريبا) التي هي أكثرية سكان هذه المحافظة، وتعتبر مدينة نيكى موطنا لهذه القبيلة.

ولهذه القبيلة تاريخ وتقاليد تخصها قبل مجيء الاستعمار، ولها مملكتها التي قسمها المستعمرون بعد الاستعمار.

ومن هذه المدينة مدينة نيكى تبدأ أنتشار قبيلة باريبا، لتكوّن دويلات ذات سيادة شبه مستقلة، ولكنها ترتبط بمدينة نيكى ارتباطاً وطيداً.

كما أن لهذه القبيلة حفلة سنوية تجتمع فيها جميع ملوكهم وسلاطينهم في هذه المدينة، ومن الجدير بالذكر أن هذه الحفلة توافق ليلة اثنتى عشرة من ربيع الأول الليلة التي ولد فيها نبينا محمد ﷺ، ولقد أصبحت هذه الحفلة رسمية لدى الدولة، بحيث تعطل لهذه الحفلة يوما ـ وهي الثاني عشر من ربيع الأول في كل سنة يشارك فيها رئيس الدولة ووزراؤه، والسفراء الأجانب المقيمون في جمهورية بنين.

ويقول فنسان مورتيل :-

وفي داهومى في الشمال حفلة باريبا التقليدية تطابق على الاطلاق مع حفلة المسلمين، وهذه الحفلة القومية البربوية (المسمى غَاني) في نيكى أصبحت اليوم إسلامية.

أوضاع المسلمين في نيكى :

لقد كان للعلماء والشيوخ مكانة لدى قبيلة باريبا عامة ولدى ملوكهم خاصة، إذا أراد أن يمر أحد أمام بيت السلطان أو الداخل في بيته، عليه أن يخلع نعليه دون العلماء والشيوخ، لما لهم من احترام وهيبة لدى هؤلاء الملوك، وقد يبلغ بالملك أحيانا أن ينزل من كرسى ملكه ليجلس عليه العالم أو الشيخ احتراما له.

ومما هو جدير بالملاحظة في هذه القبيلة، أن من دخل منهم الإسلام يكتفى بأن يعرف الصلاة فقط دون أن يتعلم بقية الأركان، واذا اضطر إلى معرفة شيء مما يتعلق بالدين سأل العلماء، وكأنهم يجعلون معرفة أمور الدين من خصائص العلماء فقط، مما أدّى بالتالى إلى قلة وجود العلماء أو المتعلمين في هذه القبيلة.

ولقد سنحت لي الفرصة إلى السفر إلى مدينة نيكى، وأجريت المقابلة مع القائم بالدعوة وشؤون المدارس بمدينة نيكى وماحولها، الأخ جرجيس إبراهيم محمد الدندى وقد استقبلني استقبالاً حاراً، وشرح صدره لي بأن أجابني عن كل ماسألته ـ عن هذه المدينة وعن المسلمين فيها.

الحـــوار :

وبعد افتتاحي المقابلة بالثناء على الله والصلاة والسلام على النبي ﷺ، أول سؤال سألته هو:-

ماهو وضع المسلمين في هذه المدينة (مدينة نيكى)؟

دعا الله سبحانه وتعالى أولا بأن يوفقنى لما فكرت فيه في مثل هذه الأمور وتحملت مشقة السفر، حتى وصلت إليهم، لأطلع على أوضاع المسلمين في هذه المدينة، ثم أردف قائلاً: حقا ـ الحمد لله على وجود المسلمين في مدينة نيكى، لأن هذه المدينة قبل اليوم، هي بطن وأساس قبيلة باريبا، ولأن الإسلام لما دخل هذه المدينة في أوائله ما اعتنقه ملوك هذه القبيلة، وأما الآن الحمد لله ـ بتوفيق من الله ـ وبفضل مابذله الدعاة السابقون من الدعوة والوعظ، جعل الإسلام يجد مكانا هاما في مدينة نيكى.

وأمّا الذين بذلوا جهدهم بالدعوة في مدينة نيكى، هما: الفلانة، والهوسا. بأول فلانى

دخل هذه المدينة وعين إماما، هو: الحاج محمد سيلا، وكان أحد أبناء الملك اسمه: غونو كوباغى، قد ساعده الإمام بالأدعية إلى أن وصل إلى الملك، مما جعله يعتنق الإسلام.

وبعد ذلك جاءت قبيلة هوسا إلى هذه المدينة من بورنو. ومنهم جدى وعاشت القبيلتان مع حسن الجوار، وبدأت قبيلة هوسا بتأسيس المدرسة.

مدينة بنبركى وأوضاع المسلمين فيها :

مدينة بنبركى، من المدن التي اكتسبت شهرتها منذ قدوم الاستعمار إلى جمهورية بنين، حيث اتخذوا معسكرهم الثاني في هذه المدينة بعد معسكر (ويدا) في الجنوب، وهي بلدة ذات سلسلة جبلية في جهة الغرب، وبها تكثر الادارات الحكومية ونقاط التفتيش، ومنبسطة من الجهه الشرقيه حيت الكتره السكانيه.

ولقد أعيد لها مكانتها المهمة ثانية بعدما انخفضت بسبب انسحاب الفرنسى من البلاد، كما أخذ تكثر فيها المباني الحكومية والإدارية بالإضافة إلى مدرسة ثانوية واحدة تخدم هذه المدينة والقرى المحيطة بها.

ومن الجدير بالذكر أنه كان للمدرسة التبشيرية الباقية من أيام الاستعمار دور هام في هذه المدينة، كدور المستشفى الكبير على بعد كيلو متر واحد نحو الشمال ولكن مع ذلك لم تستطع هاتان الجهتان إبعاد المسلمين عن التمسك بدينهم الحنيف.

ولقد قام المسلمون باقتطاع مساحة من الأرض على جانب الطريق الرئيسي لبناء مسجد جامع جديد، وتبرع أحد المحسنين من مدينة باراكو بعشرين طنا من الاسمنت للمسجد، وإمام هذه المدينة من قبيلة هوسا.

مدينة كندى وحركة المسلمين فيها :

مدينة كندى من المدن ذات الأهمية في حاضر البرغو الإسلامي، لموقعها على الطريق الرئيسى الذي يفصل بين إقليم سى يانا وإقليم بانيكوارا، كما تمتع بقدم وصول الدعاة فيها، وإقامتهم بها، وهما: قبيلة تورى من مالى، ـ وقبيلة هوسا من بورنو من نيجيريا، ولاتزال الإمامة حتى يومنا هذا تتداول بين هاتين القبيلتين.

ولقد تتلمذ على أيدى علماء هاتين القبيلتين أبناء هذه المدينة بعد دخولهم الإسلام، وكذلك أبناء القرى المجاورة لهذه المدينة، كما تم تبادل الزواج بين القبيلتين وبين القبائل التي دخلت في الإسلام، وأدت بذلك إلى سهولة انتشار الإسلام في هذه المدينة والمدن والقرى المجاورة لها.

وكما اشتهروا بحبهم للعلم وقطع المسافة في طلبه، مما جعل هذه المدينة من الشمال عامة تعد من الأوائل التي تخرج أبناؤها من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة كما وفق أحد ابنائها في العام ١٤٠٨هـ إلى الالتحاق بالدراسات العليا في قسم العميده.

وبالمدينة مسجد كبير، تقام فيه صلاة الجمعة، ولقد ضاق هذا المسجد بالمصلين لتزايد عدد المسلمين، وبما قام به هؤلاء المتخرجون من الدعوة وتفهيم إخوانهم مبادىء الإسلام، ونتج عن ذلك تمسك أبناء هذه المدينة بتعاليم الإسلام.

كما يوجد العديد من المساجد في ضواحي المدينة، وقد زود المسجد الكبير في حج العام الماضى ١٤٠٧هـ بمكبرات صوتية من أحد فاعلى الخير من المملكة العربية السعودية، وبالتحديد المدينة المنورة.

حركات المسلمين في كندى :

ولقد قام المسلمون بما جمعوا من الصدقات ببناء مدرسة، لصقت بناؤها بالمسجد، وإن كانت لاتتسع إلا لعدد قليل، ولها فرع داخل المدينة كما يوجد هناك مدارس أهلية، وكما أن لسفير المملكة العربية السعودية الموجود في جمهورية النيجر دور هام في بناء المسجد، حيث عين للمدرسة أستاذاً للغة الفرنسية على نفقته.

وأما القائمون بحركة التدريس، فهم من أبناء هذه المدينة المتخرجين الجامعة الإسلامية في المدينة المنوره منهم

الاســـــم	كلية التخـــرج	سنة التخـرج
١ ـ حسين يعقوب تورى	كلية الدعوة وأصول الدين	١٤٠٤/ ١٤٠٥هـ
٢ ـ جعفر موسى بكر	كلية الدعوة وأصول الدين	١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ

مدينة بنيكوارا وأوضاع المسلمين فيها :

إقليم بنيكوارا أحد أقاليم بورغو في بنين، وهي عبارة عن التجمعات والقرى ذات الكثافة السكانية، والمتباعدة المسافة، لذا أطلق عليها هذا الاسم.

وأهلها بصفة عامة أهل زراعة، وخاصة زراعة القطن، ويعد هذا الاقليم أكبر منتج للقطن في محافظة بورغو، وكما تتمتع بالثروة الحيوانية، لقربها من حدود بوركينا فاسو (فولتا العليا سابقاً).

وقد قمت بزيارة لهذا الإقليم قبل أربع سنوات، ولكني ماتمكنت من السفر إليها خلال بحثي هذا، إلا أنني اكتفيت بأخذ المعلومات عن القائم بالدعوة بمدينة كندى، لماله من خبرة لهذا الاقليم، وسألته:ـ

ـ هل من الممكن أن تحدثني عن أوضاع المسلمين في بنيكوارا؟

ـ بنيكوارا هي مجموعة قرى ذات جماعات كبيرة، والقرى هذه هي: تُرَا، قُتُوغُو، سَمْبُرُوغُو، وَانْغَرَا، غُومْبَاروا، غُومُورِى.

والمدينة التي يكثر فيها المسلمون هي: مدينة وانغرا، والذين أدخلوا الإسلام إلى بنيكوارا هم قبيلة تورى من كندى وقبيلة هوسا.

ـ وهناك قبائل يشاركون هاتين القبيلتين في تكوين مجتمع إسلامي. والجمعية موجودة في كندى هي التي أسست جمعية بنيكوارا، وهما يمشيان على طريق واحد وهدف واحد، وهو نشر الإسلام.

ـ وهل أهل بنيكوارا يدخلون في الإسلام؟

ـ نعم يحبون الإسلام حباجما، إلا أن الإمكانيات هي التي تنقصهم، وكما في الآونة الاخيرة قاموا بإرسال أبنائهم هنا في كندى، كي يتعلموا في مدرستنا، والحمد لله الآن جمعيتنا تقوم بإرسال الدعاة إليهم، ليبينوا لهم ماهو الإسلام.

ـ وهل توجد المدارس في بنيكوارا؟

نعم توجد، إلا أنها ليست على المستوى الموجود في كندى إذ إنها عبارة عن أكواخ يقيمونها بعد جمع الحصاد أو الزراعة، في كل سنة كوخا.

ملا نفيل وأوضاع المسلمين :

إقليم ملا نفيل هو المنطقة التي تنتهي عندها حدود جمهورية بنين من الشمال، ويفصل الحدود بينها وبين جارتها النيجر الجسر الذي أقيم على نهر النيجر، ويقام حالياً جسر جديد لازدياد الحاجة المتدفقة بينهما.

مكانتها التجارية في بنين :

وموقع هذا الإقليم الجغرافي، جعلها تحتل مركزاً هاماً في التجارة، ليس فقط بين المحافظات التي تتكون منها المنطقة، بل تجاوزت ذلك لتكون بين الدول المتجاورة وهي: بنين، ونيجر ونيجريا، وبوركينا فاسو (فولتا العليا سابقا) وتوقو.

تذكر كثير من الكتب ـ وكما هو الواقع ـ أن الإسلام دخل في بنين من الشمال عن طريق

نهر النيجر ثم تغلغل نحو الجنوب، وعلى أيدى السنغاليين والفلاتيين.

مثال ذلك ماذكره آدم الألوري :

(ويعود تاريخ الإسلام بهذا القسم (أى المقاطعات الشمالية) إلى عهد الأمير المجاهد أبي بكر بن عمر اللمتونى الذي بدأ جهاده من مركز المرابطين قرب السنغال. ومازال يواصل جهاده صوب الشرق الجنوني يفتح البلاد وينشر فيها الإسلام).

كل هذه الحركة الإسلامية. إضافة إلى تحليل الإسلام للبيع وتحريم الربا، جعلت ساكن هذه المدينة يفضل أن يكتسب معيشته عن طريق التجارة أكثر من أن يكون موظفاً حكومياً، وبالتالي جعلت تكوين مجتمع هذه المدينة ذا صبغة إسلامية من حيث البناء واللباس أكثر من بقية الأقاليم.

وظاهرة تركيب هذا المجتمع يتكون من ثلاث قبائل، وهم: قبيلة فلاته وقبيلة الدندى، وقبيلة الهوسا، وفي هذه المدينة فقط رأيت اختلاط قبيلة فلاته بغيرها في تكوين المجتمع.

ولقد قمت أثناء بحثي هذا بزيارة هذه المدينة برفقة داود عثمان ـ الذي التحق بكلية الدعوة وأصول الدين في المدينة المنورة عام ١٤٠٨هـ ـ لسابق معرفته للمدينة، وذلك يوم الجمعة حيث أقمنا فيها يومين.

وعندما وصلنا توجهنا أولا إلى بيت مستضيفنا، ورحب بنا لماعرف أن هذه مهمتنا، وبعد ذلك توجهنا إلى المسجد الكبير، وهو في غربي البلدة، ذو مساحة شاسعة، ثم دخلنا المسجد، وبعد قليل من الوقت احتشد المسجد بالناس، حيث لايقل كل صف عن أربعين مصل، ولم أقف على عدّ عدد الصفوف، كما ملأت ساحتها المحيطة بالحائط أيضاً.

قلت وفي هذه المدينة رأيت المسلمين يتخذون العمائم لباسا، مما أشعرني بسابق إسلامهم، ولكن مع الأسف لم نر واعظاً أو داعياً يقوم ليلقى كلمة حق دخل الإمام، وبعد الإنتهاء من الصلاة، توجهت نحو الباب الذي يخرج منه الإمام وسلمنا عليه هو وشقيقه، الذي تعارف مع رفيقي داود عثمان منذ اقامتهما في المدرسة العربية الإسلامية بلومى عاصمة جمهورية توقو، وعندئذ علم الإمام أننا طلاب العلم.

ثم واصلنا السير إلى بيت الإمام، وبعد فترة من الجلوس، شرحت له الغرض الذي من أجله زرنا المدينة، فانشرح صدره ليجيبنى عن كل ما أطلبه منه، ثم وعدته بأننا سنحضر صباح الغد مصاحبا معنا المسجلة.

وفي صباح الغد يوم السبت وتحت المطر الغزير خرجنا ومعنا المسجلة، متوجهين نحو بيت الإمام، حيث قدم إلينا كل مايقدم تكرمة للضيف، بعد المناولة، أجريت معه المقابلة حول أوضاع المسلمين في هذه المدينة.

ـ وبعد أن حمدت الله عز وجل وصليت على النبي ﷺ، طلبت منه أن يعرّف شخصيته؟

ـ وأجاب قائلاً : اسمي : إبراهيم، واسم والدى عمر، ووالدتي بيرو، ولدت في مدينة كندى.

ـ أريد أن تعطيني لمحة عن تاريخ إقامة المسلمين في هذه المدينة، أول من وصل إليها؟

ـ إن كل مايحدثنا الآباء عنه هو أن أول من أقام بهذه المدينة هم الفلاتيون ثم يليهم الهوسويون.

ـ كيف تتكون مجتمع هذه المدينة؟

ـ إن مجتمع سكان ملانفيل تتكون من عشر قبائل.

ـ وهل من الممكن أن تذكر لنا هذه القبائل؟

ـ هم : الفلاته، الهوسا، الدندى، الفاو، سنغاى، برغو، كورثى، زرما، يوربا، كونوكولى.

ـ ومع هذا المجتمع التي تكون من قبائل مسلمة، لماذا لاتوجد لكم مدرسة رسمية أو ماتريدونها؟

ـ المدرسة طلبنا تأسيسها من زمن بعيد، وقمنا فعلا لذلك، ولكن لما شرعنا في العمل منعنا المسؤولون في الإقليم، زاعمين أن ذلك سيخفض عدد طلبة المدرسة الفرنسية، ولانزال الأرض المخصصة للمدرسة موجودة قرب المسجد الكبير حتى الآن.

ـ ولماذا مع كون سكان الملانفيل كلهم مسلمون، ألا تستطيع أن توحد كلمتهم في مثل هذا المشروع الذي يعود على المجتمع بالمنفعة؟

طأطأ رأسه قائلاً : إني أحسب أن ذلك يرجع إلى تعدد القبائل، لأن هناك بعض الأوامر إذا أمرتهم به لايأتمرون، مثل اصلاح المسجد الكبير ومقبرة المسلمين، هذا ما أحسبه.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
إلى فولتا العليا (بوريكنا فاسو)	
من نيامي إلى واغادوغو	٩
في مطار واغادوغو	٩
الإجتماع بأعضاء الجمعية الإسلامية	١٢
في المصرف الوطني	١٤
الجامع الكبير	١٥
جولة في مدينة واغادوغو	١٧
حديقة الحيوان	٢٠
حي كمسونقو	٢٥
إلى مركز الرابطة	٢٦
هكذا يسلمون على رؤسائهم	٢٨
جنازة مسيحية	٢٩
زيارة الجمعية الإسلامية	٣٠
في المدرسة الإسلامية	٣٢
جمعية العلماء	٣٣
جمعية أنصار السنة	٣٣
في حضرة الأمبراطور	٣٥
قصر الإمبراطور	٣٧
داخل قصر الإمبراطور	٣٨
مجرد تكروني	٤٣

الموضوع	الصفحة
عشاء فولتاوي	٤٤
في السوق الطويل	٤٥
أرض الجمعية الإسلامية	٤٨
مسجد فيصل	٤٩
حي بلاط الملك	٥١
ومسجد آخر يحتاج إلى نفقة	٥٣
الجمعة في واغادوغو	٥٦
مقابلة رئيس الجمهورية	٥٩
تصريح للتلفزة والإذاعة	٦٣
مغادرة واغادوغو	٦٤
إلى بوبو جولاسو	٦٥
في مطار بوبو جولاسو	٦٦

فولتا العليا (بوريكنا فاسو)

النشاط الإسلامي	٧٢
الطريقة التيجانية وأتباعها	٧٦
الجمعيات الإسلامية	٧٦
التنصير في فولتا العليا	٧٧
هيئات التنصير	٨١
احتياجات الدعوة في فولتا العليا	٨٢
التعليم الإسلامي	٨٣
النهج السليم لنشر الدعوة	٨٣
توصيات الوفد	٨٣
المرئيات والاقتراحات	٨٦

إلى ساحل العاج

من باماكو إلى ابيجان ٩١
في مدينة ابيجان ٩١
حي أبوبوجار ٩٦
في روضة الأطفال الإسلامية ٩٧
حديث عن الإسلام والمسلمين في ساحل العاج ٩٧
العودة إلى المدينة ٩٨
فندق العاج ٩٩
حي ترش فيل ١٠١
مسجد السنغاليين ١٠٢
المسجد الجامع ١٠٢
مسجد الفلانيين ١٠٤
نساء الهمج ١٠٥
حي بيافرا ١٠٥
وحي الهضبة ١٠٦
وحي الأجانب ١٠٦
صلاة العيد في التلفزة ١٠٧
مغادرة ابيجان ١٠٩
إلى توقو ١٠٩
معلومات عن ساحل العاج ١١٠
المسلمون في ساحل العاج ١١٠
رئيس ساحل العاج ١١٢
الجمعيات التنصيرية ١١٣
الملاحظات ١١٤

الموضوع	الصفحة

جمهورية توقو

في مطار لومي ١١٩
في مدينة لومي ١١٩
أكثر ما في دار السؤ ١٢٠
الإتصال بخارجية بنين ١٢١
صباح توقو ١٢١
البط الأسود والبط الأبيض ١٢٢
جولة في مدينة لومي ١٢٢
دين العاريات ١٢٣
على الحدود بين غانة وتوقو ١٢٤
تتسوق وهي عارية ١٢٥
إلى جامع لومي ١٢٥
حديث عن توقو ١٢٩
اللغات في توقو ١٣٢
الأديان في توقو ١٣٢
الإستعمار وتوقو ١٣٢
الإسلام في توقو ١٣٥
مستقبل الإسلام في توقو ١٣٦
تقرير هام ١٤٠
تطور المسلمين التوقوليين ١٤٢
ترتيب القبائل حسب نسبة الإسلام ١٤٦
إتحاد المسلمين في توقو ١٤٧
برنامج العمل الجديد..... ١٥١
التضامن بين الجماعات ١٥٢

الموضوع	الصفحة
منح دراسية للتكوين	١٥٤
حصر علاقات الترابط	١٥٤

إلى جمهورية بنين الشعبية

السفر إلى جمهورية بنين	١٥٩
المجمعات الإفريقية	١٥٩
على حدود بنين	١٦١
في جمهورية بنين	١٦٢
مدينة كوتونو	١٦٣
في وزارة الخارجية	١٦٣
جولة في مدينة كوتونو	١٦٤
يشكون كثرة المطر	١٦٥
نخيل الزيت ونخيل النارجيل	١٦٥
حي المسلمين	١٦٦
مجسد زنقو	١٦٧
في جامع توكونو	١٦٨
عودة إلى جامع زنقو	١٦٩
في مركز الفيصل	١٧١
إلى مدينة بورتو نوفو	١٧٣
المشكلة والمأساة	١٧٣
مدينة بورتونوفو	١٧٦
رفض استقبالنا	١٧٦
الغذاء قبل الصلاة	١٧٧
جمعية بورتونوفو	١٧٧
وفي المساء	١٨١

الموضوع	الصفحة
في سوق شعبي	١٨٢
والسوق الكبير	١٨٤
مغادرة بنين	١٨٧
تعريف جمهورية بنين	١٨٩
دخول الإسلام إلى بنين	١٩٢
نشاط المؤسسات الإسلامية في المملكة	١٩٣
الوضع السياسي	١٩٣
شواهد لشهود عيان	١٩٤
مدينة باراكو وحركات المسلمين	٢٠٢
مدينة نيكي ومكانتها التاريخية	٢٠٣
أوضاع المسلمين في نيكي	٢٠٤
مدينة بنبر كي وأوضاع المسلمين فيها	٢٠٥
مدينة كندي وحركة المسلمين فيها	٢٠٥
مدينة بنيكوارا وأوضاع المسلمين فيها	٢٠٦
ملا نفيل وأوضاع المسلمين	٢٠٧

مَطابع العَـرَزدق التجارية - الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣